بحوث ودراسات
في علوم اللغة والأدب
٦

الدكتور
فخر الدين قباوة

قراءة موجهة لمصادر التراث في رحاب المكتبة العربية

مناهج ونماذج



دار الملتقى

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة موجهة

موافقة وزارة الإعلام . دمشق
بتاريخ : ٢٠٠٢ رقم ٧٢٨٨٣
الجمهورية العربية السورية
دار الملتقى ـ حلب
قراءة موجهة لمصادر التراث
د. فخر الدين قباوة

الدكتور
فخر الدين قباوة

قراءة موجهة

لمصادر التراث في رحاب المكتبة العربية - مناهج ونماذج

دار الملتقى
حلب - سورية

التصنيف الموضوعي : ٤١٠
الموضوع : اللغة العربية
العنوان : قراءة موجهة لمصادر التراث
التأليف : الدكتور فخر الدين قباوة
عدد الصفحات : ٢١١
قياس : ١٧ × ٢٥
عدد النسخ : ١٠٠٠
التنفيذ الطباعي والتنضيد

التنفيذ الطباعي والتنضيد:
الحجازي للتنضيد الضوئي
حلب : هـ ٥٧٤١٢٦٧ ٠٢١
جوال: ٥٩٧٧٥٥ ٠٩٣

دار الملتقى
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - حلب - طلعة الإنشاءات
هاتـف : ٢٢١٤٩٦٧ ٠٢١
تلفاكس : ٢٢٨٩٣٤١ ٠٢١
محمول : ٤٦٦٩٩٨ ٠٩٣
٣٤٨٢٠٩ ٠٩٣
ص. ب : ٧٨٤٢
www.dar-almultaqa.com
E-mail: info@dar-almultaqa.com

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

فهرس المحتوى

المقدّمة

حمداً لله حمد الشاكرين ، لِما أفاض من نوره الكريم على ملكوت السماوات والأرض ، وهيأ للخلق من سبل للخير والإحسان ، وصلاةً وسلامًا على الرسول الأمين صلاةَ وسلامَ المؤمنين المحبين ، لِما وجّهنا إليه من الهداية إلى الحق وصلاح الدنيا والآخرة ، فكان أسوة حسنة للناس أجمعين ، في العلم والعمل والتقوى والجهاد والفداء .

وبعد فكثيراً ما يقف الدارسون والباحثون إزاء النصوص التراثية ، تعترض الصعوبات فيها سبيل التفكير والفهم عليهم وتستغلق العبارات والإشارات والمقاصد ، فلا يجدون للعمل مسالك يسيرون فيها للاستفادة المرجوّة . وقد لمستُ آثار ذلك منذ خمسين عامًا في أيام الشباب ، حين كنت أتحسس مطالع السبل للدراسة والفهم والاستيعاب ، إذ فرض علينا أستاذنا الكبير سعيد الأفغاني ـ رحمه الله وأحسن إليه ـ قسمًا من « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » ، لمتابعة موضوعات نحوية شائكة معقدة في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق ، فكنا مجموعة من الزملاء الأصحاب نلتقي في جلسات خاصة لقراءة ذلك ، من مطبوعات عتيقة خالية من التنسيق والضبط وعلامات الترقيم ومن الخطأ الطباعي إطلاقًا ، وممزوج ما فيها من النثر والشعر والآيات ، حتى ليتعذر الفصل والتمييز في ذلك على غير الحُذّاق والنابهين .

كنا نقرأ معًا تلك النصوص قبل الدخول إلى قاعة الدرس في الكلية ، فنجد من الصعوبات والمعضلات قدراً كبيراً ، نتعاون على حل بعضه بحوار وجدال وافتراضات آنية ، ورجوع إلى ما تيسر حينئذ من مصادر علمية منشورة ، ثم نلج قاعات الدرس فنجد من فضل أستاذنا الراحل ما يرمم معلوماتنا ويزيح الحجب ويسدد الخطا إلى طريق الصواب . وهكذا استطعنا أن نتوجّه في نصوص « المغني » وأمثاله ، من مصادر

التراث النحوي والأدبي واللغوي ، بفهم واستيعاب للعلوم والمعارف والتجارب ، خلال السنوات الأربع من مرحلة التلمذة الجامعية .

ثم كان لي تجربة أعقد وأعسر ، حين وُضعتُ في ميدانَي البحث والتحقيق لنيل درجتَيِ التخصص والعالِمية ، فاضطُررت إلى التمرس بكثير من النصوص التراثية ذات الميادين والمستويات المختلفة ، لتأليف أبحاث مطولة ، وتحقيق نصوص مغرقة في القدم زاخرة بالمشكلات والقضايا والمعضلات . وهنالك أحسست فعلاً بقصور الأدوات والمعارف والخبرات ، إذ لم نجد قبلُ مَن وجّهنا في تلك السبل العصيبة ، من مصطلحات ومفاهيم وأساليب ومضامين متفاوتة متباينة ، يجمع بينها الخدمة المخلصة للعلم الشريف ومنطلقاته الكريمة . على أن رحمة الله ـ تعالى ـ يسرت لي العمل وأخرجتني من الشدائد بكسب كبير ، هو التملك لاستخدام ضخم من المصادر التراثية ، والتمرس بنصوصها لتعزيز مقتضيات البحث والتحقيق .

ثم دخلت ميدان التدريس والإشراف على إقراء الطلاب والتوجيه لأبحاثهم ، فازددت يقينًا أن أسلوب التجربة الفردية العشوائية يستهلك السنوات والجهود والأموال من طاقات الأمة ، ويكون مردوده زهيداً جدًّا بالنسبة إلى القدرات المهدرة والمقاصد المرجوة . فلا مفر ، والحالة هذه ، من شق طريق علمي قاصد يضع التجربة ، بعد نصف قرن من المعاناة ، في بؤرة الشعور والاهتمام والرؤية ليتملاّها البحث ، ويدركَ أبعادَها ومجالاتها المختلفة ، ويصف مضامينها وما في مطاويها من سعة وعمق ودقة ، ويرسم خطوطها العريضة والدقيقة في أُطر نظرية ونماذج عملية ، توضح المسالك وتهدي إلى سواء السبيل .

لقد تلمست حاجات ملحة عند الطلاب ، تقتضي تدريبهم على بعض تلك التجارب التي مررت بها ومارستها في السنوات المديدة ، فكان أن اقترحت على نفسي تدريس طلاب السنة الثانية ، من قسم اللغة العربية ، نصوصًا في اللغة والأدب والإعراب والصرف والنقد ، أتمرّس بها معهم في معالجة المصاعب وفتح المغاليق واكتشاف مجاهل التعبير والتفكير والتصوير والرؤى والانفعال .

شرعت في ذلك منذ خمس وثلاثين سنة ، فاخترت مقتطفات من مصادر تلك

العلوم ، وسرت فيها لتوجيه النصوص وتعيين وسائل الحل في مخزون المكتبة العربية ، لما يعترض من صعوبات . وكان الطلاب في هاتيك السنوات الخُضر الوارفات على قدر ، من الثقافة والمعرفة والخبرات والحماسة والجدّ ، يُمِدّ الإجراءات بفيض من النجاح والنمو والعطاء . ثم توالت سنوات عجاف ، صار فيها رُوّاد قسم اللغة العربية من رواسب مستويات الحملة للشهادة الثانوية ، في العلم والهمة والاهتمام ، فضاقت بهم تلك الجولات وتعذر عليّ المسير ، وشعرت بتراكم العثرات والمتاريس والسدود أمامهم وعجزهم عن المضيّ. عند ذلك نقلت هذه العمليات الإجرائية إلى السنة الثالثة من القسم ، واخترت لطلابها من تلك المقتطفات ما نشرته تحت عنوان « نصوص نحوية » ، عالجت بعضها معهم في عدة سنوات .

ثم توالت سنوات شِداد دونها العجاف في الجدب والعقم ، إذ أُقحم في قسم اللغة العربية من الطلاب ، باسم الاستيعاب الجامعي مَن لا رأي له فيه ولا حاجة به إليه ولا قدرة منه عليه ولا أمل عنده في تعاطيه . وإذ ذاك رُدمت القنوات الواصلة ، وتعطلت مسارب التلقي والتفاعل ، واستحالت القراءةُ مع الوافدين على الكلية في مثل تلك النصوص ، أو إحالتُهم عليها للمطالعة والتمرس والاستفادة .

فقد انتقلتْ إلينا برياح شرقية عاصفة منهجية المدارس إلى الجامعة ـ وهي ما كنا عارضناه وقررنا رفضه في مؤتمرات ولجان رسمية ـ فصار لكل مادة كتاب مقرر هزيل أعجف يؤلفه الأستاذ أو بعض طلابه ، ويكلَّف الطالب إياه بعيداً عن المصادر التراثية ، ثم يَحذف منه المدرس بعض الفصول والأبواب ، ثم يختصره الطلاب بتعيين ما هو أهمّ أو مهمّ أو غير ذي أهمية ، ثم يلخص بعضهم ما اختصر في وريقات محشوة بالأوهام والتمزق والركاكة والضحالة والهجنة .

وبعد محاولات يائسة مع أولئك العجزة من الوافدين ، والانتهاء إلى الطريق المسدودة ، طويت أوراقي ورجعت القهقرى عما كنت أريد ، وأنا أردّد قول عنترة :

إذ يَتَّقُونَ بِيَ الأسِنَّةَ ، لَم أخِمْ عَنها ، ولكنِّي تَضايَقَ مُقدَمِي

ولبثت أنتظر الفرج من باب آخر ، ينفسح فيه المجال لنشر ما طوي وتجديد العهد بالأمل المنكوب . ولما أُنشئت الدراسات العليا في القسم المذكور ، وشغل مقاعدها

طلاب من صفوة الصفوة ، يمتازون بما كان لدى أسلافهم الأوائل حين تأسيس الكلية ، تبدَّى لي أنه قد أتى عام فيه يغاث الناس وفيه يَعصِرون ، فدبّ الحنين إلى العهد القديم وانتهى بكاء الأطلال . وهكذا رجعت إلى الموضوع في خزائنه ، أتصفَّحه وأمسح الغبار عن مُحيّاه .

كنت خلال السنوات السمان والعجاف والشِّداد أنتجع مواقع الغيث لأجمع شتات ما ينثره الواقع ، من جهود الزملاء الكرام في العلوم المختلفة ، وهم يوجِّهون مع طلابهم نصوصًا في : الفقه والأصول والتاريخ والأدب واللغة والنحو والطب والفلك والرياضيات . . . فأجد نُثارًا موزعًا ، لايجمع بينه رابط أو نظام إلاّ أنه في محاولات للعمل الجادّ من حقول التحليل والتوجيه . وقد حملني ذلك على التفكير في وضع منهج عملي متقن ، يسيّر العمليات الإجرائية ويكون له خطوات عامة معيّنة ، تتوالى منتظمةً متسلسلة يؤدي بعضها إلى بعض وتنتهي بنتائج علمية مقررة .

أخرجت الموضوع من خزائنه لأولئك الطلاب المتعطشين للعمل ، وقد صار غنيًّا في مكتسباته واعدًا بما يعجب الزُّرّاع . لقد تألق بوجه جديد مشرق تتفتح قسماته في المكتبة العربية ، بين المصادر والمراجع المختلفة ، لاكتساب الخبرة في توجيه النصوص وتعزيز خطواته بالأمهات والبُنيّات والحفدة ، من تراثنا العربي العظيم . مارست ذلك بشوق وجد وانطلاق ، في جامعات المشرق والمغرب على مدى عديد من السنوات ، فرأيت منجزات غنية بالعطاء في الخبرة والعمل الإيجابي المنجب . ولبثت أوسّع الجوادّ وأفرع فيها السبل ، وأعمق النظر وأُبعد توجّهاته ومراميه ، حتى استقام لي بحثًا بِكرًا تحت عنوان « **قراءة موجَّهة لمصادر التراث في رحاب المكتبة العربية ـ مناهج ونماذج** » .

وعندما صنفت كتابي « **تحليل النص النحويّ** » ، استوقفتني ظواهر متباينة من نماذج القراءات للتراث . فقد لمحت اختلافات دقيقة تفصل بين مستويات القراءة ، تبعًا للمقاصد والغايات التي تشغل الطلاب والأساتذة الكرام . استقريت تلك الخلافات وجمعت بين المتشابهات والنظائر منها ، فكان لدي ضروب ثمانية من المهامّ القرائية للنصوص ، يتتابع تسلسلها من البساطة إلى التعقيد ومن الخصوص إلى

العموم ، فذكرتها هناك بإشارات خاطفة ، لعل بعض الباحثين يتولاها بالتنمية والكفاية ، فينير للناس سبل الأعمال العلمية ويحقق الرجاء . ولكن الأصداء كانت خافتة جدًّا كأننا في عالم الأشباح ، أو الأجساد بلا الأرواح .

رجعت إلى ما ادخرته من زاد متنامٍ معطاء ، أتفحص أضواءه وأصقل تشعبات أشعته ، في ميادين العمل والتنفيذ لسنوات بعد سنوات ، فإذا هو بين يديّ بحث غني مشرق وضّاء ، يقدم منهجًا جديدًا ويصلح للتجربة والتقويم بين المصادر والمراجع من تاريخنا العظيم . وبعد المراجعة والتعديل والتسديد استقام عوده وأصبح أهلاً لكتاب ، يكون حلْقة من سلسلة « **بحوث ودراسات في علوم اللغة والأدب** » ، وينتظم بين أشقائه في بناء الصرح العلمي النبيل ، ويكون نبراسًا للدارسين والباحثين والموجِّهين في جميع العلوم الإنسانية والطبيعية والتطبيقية ، فيعتمد عليه رجال الشريعة والأدب واللغة والتربية والاجتماع والفلك والطب والرياضيات والصيدلة والفيزياء . . . ثم يضيفون إليه من تجاربهم ما يسدد خطاه ويقوّم منآده .

ومن ثَم انقسم الزاد المدخر بين يديّ إلى تمهيد وبابين .

ففي التمهيد بسطت مناهج قراءة النص ، وبينت ما يكون من عمل في المستويات الثمانية : الأداء والفهم والحفظ والتقويم والبحث والتحقيق والتوجيه والتحليل . فكان هذا الأخير في قمة المراتب لأنه يستعين بجميع ما تقتضيه أشقّاؤه السبعة ، من أنواع النشاط الفكري والعلاجي ، وضروب الثقافة والعلوم والمعارف .

وقد خصصت مستوى التوجيه قبله بتفصيل ظاهر ، لأنه العنصر الجوهري الأصيل في هذا الكتاب ، فذكرت استيفاءه تجارب المستويات الستة التي تقدمته ، وما يضيفه إليها من تدريب للقارئ على الاتصال بالمصادر والمراجع ، لربط النص بها في حل المسائل والمشكلات والمعضلات .

وعلى هذا يكون نهج العمل ، في مستوى قراءة التوجيه ، البدء بالتعريف الوافي لصاحب النص ، ثم تكون الدراسة المفصلة للكتاب المستقى منه ، لبيان موقع النص المختار فيه . وبعد القراءات المتوالية للنص المختار ، يحين تحسُّسُ مواقع الإشكال

منه ، في العلوم والفنون والآداب المختلفة ، لإزالة الحجب وتفسير المقاصد والمرامي القريبة والبعيدة ، باعتماد المصادر النوعية المتخصصة ، وإيرادها كوسائل للتوثيق وفتح باب الاختبار والتحقق ، أمام كل دارس أو باحث أو ناقد . وبعد ذلك كله توالى البابان ، وفيهما تنفيذ عملي لما جاء في رسم النهج لهذه القراءة الموجَّهة .

أما الباب الأول فكان لمصادر القراءة والنوادر ، فتوزع على فصلين : أولهما تحت عنوان « المصادر والمراجع » ، حيث تحدثنا عن المكتبة العربية ، ثم ميّزنا بين المصدر والمرجع ، كما ميزنا بين دائرتَي المعارف العامة والخاصة مع ذكر وبيان لأشهرهما ، ولقوائم الكتب والمقالات ، وأتبعنا ذلك أهم المصادر والمراجع في العلوم موزعة بحسب التخصص ، ومصحَبَة أسماءَ المؤلفين وأمكنة الطباعة وتاريخها . وثاني الفصلين تحت عنوان « نوادر أبي زيد » ، إذ ترجمنا أبا زيد الأنصاري : حياته ونشاطه وعلومه ومنزلته بين العلماء ، وما ترك من آثار في المصنفات والرجال .

ثم خصصنا كتاب النوادر بدراسة مفصلة ، قرّرتْ أنه لم يكن ذا عنوان محدد ، وإنما وَضع له هذا الاسمَ بعض المتأخرين ، ثم ألحق بالتسمية آخرون ما يزعمون فيه أن الكتاب « في اللغة » . والصواب أنه كتاب أدبي ، وهو مجموعة نصوص من الشعر والرجز والعبارات النثرية ، تمثل ريادة لاختيارات المقطعات في تاريخنا الأدبي . وقد ألحق به اللغويون والنحاة شروحًا وتعليقات ضافية ، أوهمت المتأخرين أنه كتاب في اللغة ، حتى صنفه كل الباحثين في عداد المصادر اللغوية .

ولهذا اضطُررنا أن نعرض تاريخ حياة هذا الكتاب ، في رواية صاحبه عن العرب والمفضل الضبي ، ثم النُّسخ التي عُرفتْ منه في القرون المتوالية ، والتي وصلت إلينا منها ، والأسانيد العلمية الموثقة التي نقلت إلينا نصوصه ، مع رسم توضيحي يقرب ذلك . وقد تبين لنا من العرض والرسم أنه توارد على أخذ الكتاب بالرواية الفعلية رجال اللغة والنحو والأدب ، في قرون متوالية وقنوات متعددة متداخلة ، تمثل العناية البالغة والتوثيق العلمي الرفيع .

وأما الباب الثاني فكان للنماذج التطبيقية ، في ثلاثة فصول : أولها تحت عنوان

« نموذج موجَّه » ، اقتصر على نص من مستهل كتاب « النوادر » ، فعرض صورة للنص المطبوع ، ثم وزعه في عناوين وفقر مناسبة ، مع الضبط اللازم وعلامات الترقيم المناسبة ، ومع ما يقتضي ذلك من تفسير وشرح ، وتلبث أمام المسائل والمشكلات والقضايا في علوم : القرآن والحديث والرواية واللغة والإعراب والصرف والبلاغة والنقد والأدب والنفس والاجتماع والتاريخ والتراجم والعروض والقافية والاصطلاح والأنساب . . . كل ذلك تُفسَّر دلالاته ومراميه وأبعاده بالتفصيل ، ملحقة بها المصادر والمراجع المعتمدة .

ثم كان الفصل الثاني ، وفيه ما يقدمه النص الموجَّه للتاريخ من حقائق ومعلومات ، فإذا نحن أمام نموذج حي من التوثيق للعلم والمعرفة ، في رواية أبي زيد للنصوص ، وروايات تلاميذه ومن خلف بعدهم ، في أسانيد علمية متقنة بارتباط تاريخي وثيق . وقد تناثرت في أرجاء النص مقولات ومصطلحات ومفاهيم مسندة ، تمثل حرص الحضارة العربية الإسلامية على التوثيق والدقة والبيان ، وتميُّزها بذلك من دون سائر الحضارات ، في ميادين النظر والتمثيل والتفسير والتحليل والتطبيق . وفي خلال ذلك تبدت لنا : ملامح اجتماعية ولغوية عن حياة الجاهلية والإسلام ، في العلاقة بين الرجل والمرأة ، وبين الراعي والرعية ، وما يكون من نقد وثورة وعصيان ، وعن خصائص عروبة اللسان ، ثم أساليب من الاستدلال في نوعيه المباشر وغير المباشر .

والفصل الثالث من هذا الباب أورد « نماذج للتوجيه » ، فاختار مجموعة من النصوص المختلفة الموضوعات والمصنفات ، هيّأها للقراء يُجرون فيها تنفيذ المنهج المقترح ، للتدريب على مصداقيته واستيعابه جميع العلوم الكتابية . وقد جمع هذا الفصل عشرة نصوص ، من علوم الفقه واللغة والنقد والإعراب والصرف والشعر والتراجم والتاريخ والشرح والتعريب والتفسير . كل ذلك محقَّق ومصوَّب ما كان فيه من تصحيف أو تحريف أو تشويه للتعبير والمقاصد .

وبهذا نكون قد استوفينا ما وعدنا من تنفيذ وبيان ، فرسمنا النهج للأجيال الصاعدة ، وحققنا خطواته في نموذج علمي قيّم ، وعرضنا نماذج جاهزة للتدريب

والاختبار . وكلنا أمل أن يتقبل الزملاء ذلك بقبول حسن ، يقوّمون دروءه ويرممون فجواته ، ويغنونه بالتجربة والتسديد وعناصر الكمال ، مشكورين مأجورين . والحمد لله أولاً وآخراً .

كلية الآداب بجامعة حلب في ١ من جمادى الأولى لسنة ١٤٢٣

و ١٠ من تموز لسنة ٢٠٠٢

الدكتور

فخر الدين قباوة

تمهيد

مناهج قراءة النصوص

القراءة للنصوص تختلف أساليبها تبعًا للمُهِمّات التي يقصدها القارئ أو يكلَّف إياها. ولذلك يكون لدى الإنسان عدة مناهج تتوالى في مستويات، يختار منها ما يناسب مقاصده قبل أن يشرع في إنجاز عمله، ليسير فيه بوعي ونجاح في تحصيل مُهمته المستهدفة. وإلاّ كانت عمليات القراءة ضائعة فاقدة محتواها، واختلطت المساعي والتوجهات بعضها ببعض، تتبادل العرقلة والتخريب للمقاصد، وضاعت الجهود المبذولة فيها.

وحينما تقرَيت الواقع العملي لما يكون من قُرّاء النصوص، في الحياة العلمية والتعليمية من خلال أعمالي في الدراسة والتدريس والبحث والتأليف والتحقيق والإشراف والتقويم، تبدّى لي أنه يمكن توزيع تلك العمليات الإجرائية الحيوية في ضروب ثمانية هي ما يلي، بحسب تسلسلها من البساطة إلى التعقيد، ومن الخصوص إلى العموم:[١]

١ ـ مستوى الأداء :

عندما يكلف الإنسان تبليغ الآخرين نصًّا مسجلاً، فإنه يستعد لنقل الصور الصوتية بشكلها الكامل المعبر عن المقاصد والمرامي القريبة والبعيدة. وهذا يعني أن تأخذ قراءته طابعًا تعبيريًّا جهريًّا، يُشغل بالأصوات ليؤديَها في صورها الكاملة من الفصاحة والبيان الإعرابي، تنقل المضامين للتبليغ بيسر ووضوح. وإنك لتتلقى مثل هذه النماذج من أفواه الأطفال، وكثير من المرتّلين والمنشدين والمغنّين والمذيعين والمتلفزين، وألسنة هواة التسلية يمارسها جمهور المثقفين في النصوص الأدبية والعلمية والإعلامية.

---

(١) انظر تحليل النص النحوي ص ٢٢ ـ ٢٣.

والمعروف في حياتنا العامة أن هذا اللون من الأداء يتطلب الانصراف إلى الجانب الفيزياويّ من النص. أعني الانشغال بالصور الصوتية فقط، من أنماط الحروف والحركات والسكنات والصيغ والإعراب، دون متابعة لإدراك المضامين المعنوية. وتلك ـ لعمري ـ آفة تربوية وتعليمية، تزرع في نفوس الطلاب أساليب منحرفة، يمارسونها في جميع المناسبات المشابهة لما أتقنوا، وتفوّت عليهم فرص الاستفادة مما ينقلون إلى الغير، فتصبح عملية الأداء لديهم آلية صِرفًا.

بل إن هذا التبليغ السطحي الأجوف لا يمكنه أن يؤدي وظيفته المرجوة، على وجهها الفعال، إذ ينقل المعالم الصوتية خاوية من دلالاتها الدقيقة ومراميها الحقيقية. ذلك لأن انصراف القارئ إلى مجرد الأداء التصويتي، وإغفاله لمتابعة المعاني الدقيقة الكاملة للنص، يقدمان هياكل فيزياوية جُوفًا ضائعة متهافتة ليس فيها قدرات إعلامية، لنقل حياة النصوص كما صوّرها المؤلفون، بعد أن فُرّغت من محتواها الإبلاغي وألقيت أشباحًا بلا أرواح.

فالقراءة المفيدة للسامعين حق الإفادة تقتضي أن يراعي المؤدي لها مضامين المفردات والتراكيب والتعبير عامة، لتُساوِق أمواجُ التأدية تيار التفكير ومنعطفاته، وتُشغل جميع قنوات التواصل اللغوي، وتتعاون أدوات الإسماع والإفهام في تحقيق الإبلاغ التام المفيد، حيًّا كما أطلقه صاحب النص المقروء.

وهذا يعني وجوب الملاحظة لمقتضيات أداء الحروف والصيغ والتراكيب، في مواقعها الخاصة والسياق العام للمقال والمقام، وتلوينها بما يتطلبه التنغيم من ضروب الخبر والإنشاء، وتموجات النبر والإيقاع والفصل والوصل، وأنواع الوقف للفواصل والنقاط والاعتراض، وإشارات التفسير والقول والاستفهام والتعجيب[١] وجميع مقتضيات التعبير الإنساني القويم.

وبذلك يتدرب القارئ، منذ الخطوات الأُولى في حياته العلمية، على استخدام قدراته الذهنية والصوتية متساوقة في منظومة موحدة، يساعد بعضها بعضًا في تحقيق

(١) ينظر الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد ص ٥٩ ـ ٧٤.

مهام الأداء الواعي السديد . نعم لا شك أنه يكون بعض ذلك التساوق واردًا في القراءة التقليدية الجوفاء ، إلاّ أن ذلك محدود الأبعاد ، تقتصر مهمته العقلية على تحسس أصوات التركيب لنقل أصدائها .

أما الفهم لمضمون الكلام والاستيعاب لمراميه القريبة والبعيدة فليس لهما حضور واقعي ، ولن يكون لهما أثر في التأدية غير المعبرة . وفي ذلك افتقار لحيوية النص لدى المتلقي ، وافتقاد لكسب المعلومات لدى القارئ ، وهي خسارة مزدوجة بائسة ، تُصرف فيها جهود ضخمة من الجانبين ، فلا يكون مردود الفائدة موازيًا أو مناسبًا للقدرات المبذولة .

٢ ـ مستوى الفهم :

كثيرًا ما تكون الغاية من المطالعة هي إدراك المضمون الفكري للنص ، باستيعاب المعلومات التي يحتوي عليها ، ويقدمها للقُرّاء . وهنا تأخذ عملية القراءة طابع التفكير الواعي ، يتلمس دلالات المفردات والجمل والتراكيب والعبارات ، والعلاقات النحوية والفنية لعناصر الموضوع وارتباط بعضها ببعض ، ويستوعب الحركات المعنوية الجزئية في مطاوي التعبير ، والتيار الكلي الذي يوحد عناصره ويجمع بين جوانبه .

وبالإضافة إلى ما ذكرنا في مستوى الأداء ، من استخدام للقدرات العقلية والبصرية والتعبيرية ، فإنه يجب هنا تغليب الإدراك الفكري على الإدراك البصري . وإذا كان الفهم للمعاني والدلالات هناك وسيلة لتسديد الأداء فإن العمليات ستنعكس هنا ، لتكون الصور الصوتية معابر لتوضيح مضامين الكلام ، حتى يتحقق الاستيعاب الدقيق والوعي الكامل للمقاصد القريبة المنال والبعيدة الأغوار .

وغالبًا ما تكون هذه القراءة صامتة ، فتغيب معالم التصويت الجهرية ، لترتفع حدة العمليات العقلية في تمثل الصور المرسومة عناصر فكرية متواشجة . وبهذا تقدم عناصر التفكير دقائق المعاني المعجمية والتركيبية والمفاهيم العلمية أو الفنية ، وتقيم تواصلاً بين المفردات والجمل والعبارات والسياق العام ، وتجلّي العلاقات المعنوية الجزئية والكلية ، لخدمة الفهم والإدراك العقليين ، وتمكين الذاكرة الفكرية من الإحاطة

بالموضوع وضبط محتواه ، من جوانبه المختلفة وزواياه المتعددة وأبعاده المتنامية .

ثم إن حدة العمليات العقلية تنشط ، في هذا النوع من القراءة ، للقيام بمُهمة التحليل والتركيب . أعني نثر المعاني المتراكبة ، لاكتشاف الأشباه والنظائر ، والجمع بين هذه وتلك ، وإقامة علاقات معنوية جديدة توحد مسيرة التفكير بين جنبات النص ، ولضبط محتواه بصورة عقلية مع الترددات الصوتية المرافقة والصور المادية المرسومة . وبهذا تُقتنص المضامين المعنوية في أُطر متعددة الطبائع والتقاطع والتكوين ، متداخلة القنوات متشابكة الأداء ، ليكون الفهم في أعلى درجاته من التيقظ والاستيعاب والاحتفاظ .

وهذه الصورة الحية من القراءة يمارسها جمهورُ المتعلمين في المدارس والمعاهد والجامعات ، وجميعُ القرّاء للنصوص العلمية والأدبية والفنية والإعلامية . وهي غالبًا ما تكون صامتة ، وتستعين بالجهر أحيانًا للتوفيق بين التصويت والتفكير ، وتوضيح معالم الدلالات والمضامين وقنوات الارتباط .

على أن غلبة القراءة الصامتة هنا لا تعني الإعفاء من الفصاحة في أداء الحروف والصيغ والتراكيب ، مع الإعراب اللازم الدقيق ، ومراعاة مقتضيات التنغيم ، ودلالات علامات الترقيم ،(١) بل توجب مراعاة ذلك كله بدقة وإمعان ، لتتفاعل قدرات البصر والبصيرة ومختلف الأجهزة العصبية ، مشاركة في ترسيخ المعلومات بأقصى وسائل التقييد ، وأكثر وسائل التثبيت ، وفي تحقيق غايات الطاقات المستهلكة.

كذلك هي حال قراءة الفهم الناجحة ، تسعف الإنسان في تيسير حاجاته ، وتنجز له ما يبتغيه من تخزين المعلومات والحقائق والتجارب والانفعالات والأخيلة الحيوية ، بأخصر سبيل وأنجع الأساليب . وهي السمة الغالبة في مستويات التلقي لدى جميع الناس ، قارئين ومتعلمين ودارسين ومثقفين وباحثين ومحققين . والعجيب حقًّا أن تكون هذه الصورة العملية للقراءة الصامتة في حياتنا العامة هزيلة فضفاضة رجراجة ، معفاة من شروط الفصاحة والإعراب والتنغيم والترقيم .

---

(١) الحق أن كل علامة للترقيم هي بمثابة جملة أو جملتين أو أكثر . مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ص ١٨٤.

فالطفل منذ أيامه الأولى في ممارسة هذه القراءة يُلقى له الحبل على الغارب ، ليتوجه كيف يشاء وكما تيسر ، على غير هداية أو بصيرة ، فيتخذ لنفسه عادات بصرية وذهنية في فهم النصوص ، ثم يسير على ذلك مع ما فيه من الخلل والقصور . وقلما يخطر للمعلم أو الأب على بال أن يستوقف الطفل مرة ، ليختبر نهجه في تناول المعلومات ، ويحاول تقويم السبل الملتوية التي ستصير عادة متأصلة فاسدة .

بل إن جماهير المربين لينسون بحث هذه المعضلة العصيبة ، في مؤتمراتهم وندواتهم التربوية عن مشكلات القراءة والتعلم ، وكأنها مسألة بعيدة عن ميادين أعمالهم ومهام وظائفهم ، لأنها عندهم من نافلة القول ، أو هي مسألة تتوضع خارج إطار التربية والتعليم .[١]

٣ ـ مستوى الحفظ :

هذا الضرب من القراءة شبيه جدًّا بسابقه ، وهو يعتمد على الوسائل الواردة هناك ، مع كثير مما مضى في المستوى المذكور قبلهما أيضًا . ثم يضاف إلى ذلك كله أن الحفظ للنصوص يتطلب قراءات متوالية ومتقطعة ، لتلاحَظ مع الدلالات والمقاصد ألوانُ العلاقات الصوتية بين المفردات والتراكيب ، وصور التشابكات المعنوية ، والارتباطات النحوية والفنية ، والحركات الجزئية والكلية للنص .

وبهذا يتيسر تثبيت كافة الانطباعات حية نابضة ، في الذاكرات الحركية والفكرية والصوتية والشكلية واللونية معًا ، فتتعاون تلك القدرات على الاحتفاظ بالنص متساوقًا متكاملاً ، في جميع صوره الفيزياوية والدلالية والوظيفية ، لخدمة الإدراك والعلم والبحث والاستذكار .

وضروب هذا المستوى من القراءة مشهورة وشائعة في الرياض والمدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والكنائس ، ولدى رجال قراءة القرآن الكريم وحفّاظ الحديث الشريف ورواة النصوص الأدبية ، وميادين التمثيل للأقاصيص والروايات والمسرحيات والأفلام . وهي تتنوع بين الصامتة والجهرية ، وإن كانت الثانية غالبة

(١) المهارات اللغوية وعروبة اللسان ص ٦٢ .

ومسيطرة ، بخلاف ما تكون عليه القراءة في المستوى المتقدم . ولهذا تسير هذه في الخطوط المرسومة لقراءتَيِ الأداء والفهم ، كما قلنا من قبل ، مع اهتمامات خاصة تناسب الاستذكار وتثبته .

٤ ـ مستوى التقويم :

يغلب على هذا النوع من القراءة ما لمسناه ، من عمليات وخصائص وسمات ، في المستوى الثاني الذي هو للفهم . وتتوالى تلك الإجراءات متأنية متعمقة مدققة متحسسة ، ترصد الظواهر والخفايا لعناصر النص ، في التعبير والتفكير والتصوير والإيماء والإيحاء والجماليات سلبًا وإيجابًا ، من الزوايا المختلفة . وقد تلجأ إلى مراجعة الروايات المختلفة للنص ، بغية اكتشاف الأشكال الحقيقية للصور التي أنجزها المؤلف من عالم أو أديب .

وتُختبر تلك المعالم المتعددة الأنماط ، بالمقاييس النقدية المعتمدة في ميدان النص نفسه ، وبمعايير العلوم الإنسانية والطبيعية ، في مختلف العصور والحضارات عامة وما يتعلق بعصر النص وموطنه خاصة ، لتحديد نجاحه في تحقيق غاياته .

وبهذا يستطيع القارئ تلمس الظواهر والسمات ، وتجلية القيم الإيجابية والسلبية بأدلة واقعية ملموسة مقررة ، وتحديد مدى التأثر والتأثير بين النص وبين المتقدمين والمعاصرين والمتأخرين والبيئة والفنون أو العلوم المختلفة . ومن ثَم يحاول الناقد تعيين ماللنص من قيمة وظيفية وإنسانية وحضارية ، في عصره ومستقبله من تاريخ الفنون والعلوم .[١]

٥ ـ مستوى البحث :

كذلك أيضًا تشبه هذه القراءة ما عرضناه في المستوى الثاني ، بالإضافة إلى ما جاء في مستوى التقويم . فالقراءات تكون متوالية متأنية متعمقة مدققة متحسسة ، بهدف اكتشاف مادة للبحث المزمع القيام به ، في الميادين المتعددة ، من ذاتية وفنية واجتماعية وتاريخية ودينية وسياسية وفكرية واقتصادية ولغوية . . .

---

(١) انظر تحليل النص النحوي ص ١٣٢ ـ ١٦٣ .

ولما كان مقتضى البحث اكتشافَ إجابة علمية عن سؤال أساسي ، هو عنوان الموضوع المطروح ، مع إجابات فرعية للأسئلة المتفرعة عن الأساسي نفسه ، فإن الباحث يكون همه تتبع المعلومات والمقاصد والاقتباسات والشواهد والعبارات والأدلة التي تساعد على تلك الإجابات ، وتعززها بالبيان والترجيح ، أو الاستئناس والتزكية ، أو التحقيق والتوكيد ، وتغنيها بما يوصل إلى نظريات أو حقائق ذات صلاحية للاختبار والاعتماد .

وفي أثناء ذلك يرصد الباحث أدلة التقليد والتوليد والابتكار والتجديد ، من زوايا الأسلوب والمضمون والتفكير والخيال والانفعال . ولابد هنا من الرجوع إلى الروايات المختلفة للنص ، إذ قد يكون في بعضها إشارات أو لمحات ذات قيمة فعالة . ولسوف نورد في فصل بعد النموذج الموجه ، إن شاء الله ، عرضًا مفصلاً يقدم الصورة العملية في المثال ، لِما لم يستطع أن يوضحه المقال .

٦ ـ مستوى التحقيق :

تكون القراءات ههنا متعددة متلبثة ، على غرار ما مضى في المستويات السابقة ، وتتوالى أيضًا فاحصة مقومة ناقدة بدقة أظهر ، للوصول إلى الصور التعبيرية لصاحب النص نفسه . ولهذا يكون الرجوع إلى أقرب الروايات من المؤلِّف وأصحها نسبة إليه . فإن تيسرت نسخة بخطه كانت منتهى ما يصبو إليه القارئ ، لأنها النص الحقيقي ناجزًا وثابتًا ، ولاسيما إذا كان آخر صورة أخرجها المؤلف من ذلك النتاج .

وإلاّ فليستعن بالنسخ التي قرئت على المؤلف ، أو نقلت من نسخته أو من نسخ تلاميذه أو ممن قرؤوا عليه أو عليهم أو نسخوا عنهم . . . ويراعى في ذلك أن يكون مع النَّسخ أو القراءة معارضة بالأصول المعتمدة ، وتسجيل لما يحقق المعارضة والتصويب . وهذا يقتضي نقد الأسانيد ، للتحقق أن ما جاء فيها سليم من الاصطناع والسهو والتلفيق . ويستعان على ذلك بما يقدمه تاريخ العلماء ، من تواصل وتلمذة واستفادة ، وصلات تاريخية بين الرواة والنساخ أيضًا .

فالنُّسخ القديمة الموثقة تحفظ النصوص في أقرب ما يكون إلى الصدق والصواب ، وتعين على التحقيق القويم . فإن فقدت تلك الأصول اعتُمد على ما يكون

بعدها ، في تسلسل زمني متتابع لاستخدام أقدم ما يمكن .

وهنا أيضًا لابد من نقد الأسانيد والروايات ، لاختيار ما هو صحيح النسب والانتساب إلى صنيع المؤلف . ثم يصار إلى نقد المتن بالقراءات المتعددة للنص في النسخ المختارة ، لتحقيق العبارات كما وضعها صاحب الكتاب ، في أقرب النسخ إليه ، مع التعليق بما في غيرها من خلاف في المعلومات والتعبير والضبط .

وللوصول إلى ميادين الصواب في هذه القراءة المحقِّقة ، بين اختلاف النسخ المتأخرة ، يستعان بالمصادر التراثية لذلك النص ، وما هو شرح أو تفسير أو اختصار له أو اقتباس منه ، وبخصائص أسلوب المؤلف نفسه ومنهجه في التفكير والبحث والتوجه العلمي ، وبأصول العلم أو الفن بعينه ومصطلحاته ومفاهيمه ، وبمصادر اللغة والنحو والأدب والتاريخ والعلوم المختلفة التي تساعد على الترجيح أو التحقيق .

٧ ـ مستوى التوجيه :

تستوفي هذه القراءة جميع العمليات الواردة في المستويات المتقدمة ، سواء أكانت مكررة أم متفردة . فلا حاجة إلى إعادة ذلك هنا ، وقد بسطنا القول فيه مرارًا . ويهدف هذا اللون من القراءة إلى ربط النص المقروء بالمصادر والمراجع المختلفة ، لتدريب الموجَّه على الاتصال مباشرة بها اتصالاً عمليًا ، ومعرفة مضامينها ومناهجها وتنسيقاتها وأساليبها في البحث والعرض ، ومصطلحاتها والمفاهيم التي تنطلق منها ، وقيمتها العلمية بين نظائرها ، وطريقة الاستفادة منها وقت الحاجة .

ومع ذلك ، يحصل الموجَّه على فهم كامل دقيق شامل لحقائق النص ومعلوماته ، وأحكام صحيحة في المسائل والمشكلات العلمية والفنية والفكرية واللغوية والتاريخية . . . فيتهيأ له التكوّن العلمي الفعال ، والخبرة العملية الجاهزة للممارسة ، إذ يمتلك زمام المكتبة وأساليب الفهم والبحث والتذوق والنقد والتحقيق ، والوصول إلى معلومات علمية موثقة وحقائق موضوعية مؤكدة بالمصادر المعتبرة . ثم يتزود بالمعلومات اللازمة ، لتنسيق المحاضرات والمناظرات ، والدراسة للنصوص والشخصيات والموضوعات والقضايا العلمية وقت الحاجة .

ولهذا يكون البدء بالتعرف لترجمة مؤلف النص ، من خلال حياته وعصره

وثقافته ومعارفه والعلوم التي شارك فيها ، والشيوخ الذين أخذ عنهم أو اتصل بهم ، والمؤلفات التي صنفها ، والتلاميذ الذين جالسوه ونهلوا من علمه ، والمذاهب التي ينطلق منها في ميادين العلوم والفنون ، والمناهج التي تغلب على توجهه في التفكير ، والأساليب التي يستخدمها في البحث والتأليف والاحتجاج والاستدلال ، ومنزلته العلمية في اختصاصاته وثقافته .

ثم يلي ذلك دراسة الكتاب الذي يحتوي على النص ، بالتحقق لعنوانه ومحتواه ، وتعرّف موضوعاته وتنسيق أبوابه وفصوله وجزئياته ، والغاية التي صنف لها ، والمنهج الذي ينتظمه ، والأساليب المعتمدة فيه ، والمصطلحات والمفاهيم والتوجهات السائدة بين جوانبه ، والمضامين المستسرة في طياته ، والقيمة العلمية لهذا كله . وبعد هذا يقف القارئ إزاء النص المعنيّ بالتوجيه ، لتبين موقعه من الكتاب والباب والفصل والموضوع المبسوط ، واستيضاح علاقته بذلك كله ، للشروع في التوجه والاستغراق .

وهنا بعد القراءات المخصوصة التي ذكرناها مرارًا ، يكون القارئ قد استوعب الصورة العامة للنص وبعض منافذ لتبيان عناصره الأساسية والفرعية ، وحدود عباراته وتراكيبه وجمله ، فيضع له توزيعًا تحريريًّا يناسب ذلك ، في فقر تمثل تسلسل جزئيات موضوعه وتساوقها ، وبضمنها تتوضَّع العبارات والتراكيب والجمل متمايزة بعلامات الترقيم اللازمة .

فالنقطة للوقف الواجب بانتهاء التركيب وبدء جملة مستأنفة ، والفاصلة لما بين الجمل وأشباهها المديدة من التوابع ، ولتفصيلات العامّ وبسط الجزئيات المتلاحقة ، والنقطتان تكونان قبل القول وما يشبهه من محكيات مطولة ، وقبل النصوص المقتبسة من آيات أو أشعار أو مقولات ، وبين المجمل وما يليه من تفصيل ، وخطا الاعتراض يميزان الجمل الاعتراضية مما حولها ، وعلامات الاستفهام تختتم العبارات الاستفهامية ، وعلامات التعجب تذيل ما يرد من صيغ التعجب والتعجيب .

ويراعى في ذلك ألاّ تتداخل أو تتعاند العلامات المتشابهة وتفسد تواصل ما بين عناصر التركيب ، وألاّ يكون فاصلة بين المبتدأ وخبره ، أو بين الشرط وجوابه ، أو

بين الفعل وفاعله أو مفعوله ، أو ما أشبه ذلك من التراكيب الأصلية . وإذا كان في أحدها طول ظاهر فليكن بين العنصرين فاصلتان تحجزان مفردات التطويل ، وتوضحان صلة كل عنصر بصاحبه .

ثم إن النصوص المقتبسة يكون لكل نوع منها رموزه المخصصة له . فالآيات الكريمة يحيط بكل نص منها قوسان مزهَّرتان ،(١) والنصوص النبوية وأقوال العلماء والأدباء تحاط بقوس مزدوجة صغيرة ، والأشعار توزع في أبيات وأشطار ، والأراجيز المشطورة يكون كل شطر منها في سطر منفرد لأنه بيت واحد متميز ، والعبارات المقحمة للتصويب تكون بين قوسين معقوفتين . والنقاط الثلاث المتتابعة ترمز إلى ما حذف أو سقط من النص . ومع هذا يكون توظيف علامات الترقيم هنا بكامل صورها ، عدا أن الشعر لا يجوز أن تتخلله أو يكون في آخره نقطة ، ويحسن تجنب علامات الاعتراض فيه .

وإذ ذاك يكون النص قد أصبح جاهزًا للعمل ، فيشرع القارئ في توجيه عباراته وألفاظه ومشكلاته . فالغني من النصوص يفجأ الخبراء بالمسائل ، تستفزهم وتطالبهم بالحلول الموضوعية العاجلة . وإلاّ تراكمت وتفاقمت ، وخيمت عَتَمة بعضها على وجوه بعض ، فتعذر المسير في تلك الدروب الضبابية الغائمة ، إذ تكدست في المسالك عراقيل ومتاريس وحجب متكاثفة ، تمنع كل بصيص من الوضوح والبيان والفهم .

وهذه المشكلات تتوالى ، في موضوعات اللغة والمعجمية ، والصرف والإعراب والبلاغة وموسيقى الشعر من عروض وقافية ، وميادين الأدب والرواية والنقد ، والقراءات والتفسير وأسباب النزول والفقه وأصول الدين ، وتراجم الرجال وأعلام القبائل والأماكن والحيوان والسلاح والنبات ، وأقوال من اقتباسات نبوية

---

(١) أي : في كل قوس زخرفة يسيرة تميزها من سائر الاقواس الأُخرى . ولا بد من الإشارة إلى أنه قد شاع استعمال أقواس للآيات في أجهزة الكبتار ، أي : الكمبيوتر ، مزخرفة كل منها بصورة صليب مغلظ ، تضليلاً للمسلمين وتشويهًا للتوحيد القرآني . وهذا النموذج هو السائد الآن في معظم البلاد العربية والإسلامية ، لجهل أبنائها بمضامين صناعة الأجهزة وما لها من أنظمة وبرامج تنفيذية . فلْيُتنبّه لهذا في العمل العلمي الشريف .

وصحابية وخرافات أسطورية وإسرائيلية ، وأحداث للتاريخ من وقائع ومعاهدات وهجرات وأحلاف ومؤامرات ، ومذاهب سياسية ودينية وطائفية وعلمية ولغوية وفنية وأدبية ، وأحكام في الشرع واللغة والأدب والفنون والعلوم ، وأقوال منسوبة أو أغفال ، وألفاظ مشتركة أو غائمة أو غريبة أو شاذة أو ملحونة ، وعبارات مستغلقة عسيرة المنال ، ومصطلحات في الفقه وأصوله ومختلف المعارف والثقافات ، ومفاهيم خاصة أو عامة في دوائر معينة من التاريخ والبلدان والمذاهب . . .

تلك السيول من المثيرات المتدفقة يدفع بعضها بعضًا ، ويعرقل مسيرته وعطاءه ، فتصبح المطالعة للنص شائكة المسالك مستغلقة الأبواب مبهمة المعالم ، لا تنطق حتى ينطق الحجر . وحينذاك يتعين على القارئ أن يقف عند كل منها على حدة ، يكشف عنها الحجب ويزيل ما فيها من الغيوم ، ويتبين دلالاتها الوضعية والاصطلاحية والفنية ، ليعيِّن المقصد الحقيقي لها في سياقها العام وعبارتها الخاصة ، فتساعد على تبديد الحجب مما حولها ، وتنير السبيل للهداية في متابعة المسير ، وتناول العقبات التالية .

ومثل هذه العمليات يحتاج إلى مصادر علمية موثقة متعددة المناحي ، تقدم الحلول الموضوعية المناسبة لكل مسألة أو مشكلة أو معضلة . أعني أن نوعية الإشكاليات هي التي تفرض جانبًا معينًا من مخزون المكتبة ، للمطالعة في مصنفاته وأسفاره ، ابتغاء وضع اليد على مفتاح البيان والتفسير . وعندئذ يختار القارئ أيسر المفاتيح المستقاة وأدقها وأخصرها ، ليعلق مضمونه في الحاشية مع الرقم المناسب للمسألة ضمن السياق ، ثم يتبعه بالإحالة على المصدر المعتمد ، والمصادر والمراجع المساعدة في ذلك . هذا إذا كانت المعلومات المستوفاة تقتضي الإحالة والبيان للمصادر والمراجع . أما إذا كانت تلك المعلومات معجمية عامة شائعة في المعاجم ، أو مدلولات موضوعية يسيرة مألوفة ، أو مسلَّمات مشهورة ، وليست مقولات شخصية في بعض المصدر المنجد ، فإنها غنية عن الإحالات والتعيين .

وعلى هذا فإنه يُرجع في الآيات الكريمة إلى القرآن العظيم وكتب التفسير والقراءات ، وفي الأحاديث النبوية إلى كتب الصحاح والمسانيد والمجموعات الموثقة

من كتب السنّة الشريفة وشروحها المعتبرة ، وفي الشعر إلى دواوين أصحابه والاختيارات والمصنفات الشعرية والأدبية واللغوية ، وفي أقوال العلماء والأدباء إلى مصنفاتهم وما روي عنهم ، وفي تفسير المفردات إلى المعاجم القديمة ومصنفات الاصطلاح ، وفي تحديد الأمكنة إلى كتب البلدان ، وفي التعريف بالعلماء إلى مصادر التراجم والرجال والطبقات ، وفي تبيان الأحكام والمفاهيم والمعلومات الفنية إلى المؤلفات العلمية المتخصصة في ذلك .

وهذه التوجيهات تأخذ أحيازها في حاشية النص فِقَرًا متمايزة تناسب السياق والمقام . فالنصوص القرآنية يعلق عليها بذكر أرقام الآيات واسم السورة التي تتضمنها ، والقراءة الواردة يبيَّن القارئ أو القرّاء الذين رويت عنهم . أما الحديث الشريف فيحال على المصدر الذي يرويه بنصه كاملاً ، وإلا أحيل إلى ما يتضمن أكثر ألفاظه ونُصّ في التعليقة على أنه جاء بلفظ آخر . وكذلك حال الأشعار والمقولات العلمية والفنية تُردّ إلى الديوان والمصنف اللذين لأصحابها ، مع النص على وجود خلاف فيما هو حاصل . وتفسير المفردات والعبارات يختار له ما يناسب السياق ومقاصد القائلين فقط ، ويصاغ بعبارات موجزة مكثفة تساعد على البيان والفهم ، في جمل تامة متلاحقة متعاطفة تمثل فقرة كاملة .

ولا حاجة هنا إلى ذكر المصادر المعتمدة كما أشرنا قبل ، إلاّ إذا انفرد بذلك عالم أو كتاب مخالفًا غيره . ومثل هذا وارد أيضًا في تفسير الأحكام الشرعية والألفاظ الفنية والعلمية والمفاهيم والمصطلحات المتخصصة .

أما تراجم العلماء والشعراء فيُختار لها تعريف يسير ، يعيِّن الاسم والنسب والعصر والموطن والفنون أو العلوم التي تميز بها المترجَم ، مع ذكر تاريخ الولادة وتاريخ الوفاة ما أمكن ذلك . وتكون الصياغة مكثفة في عبارة واحدة وفقرة متميزة ، يتبعها إثبات أخص المصادر بذكر أسمائها وأرقام الأجزاء والصفحات وأسماء مؤلفيها ، إن كان ثمة لبس أو اشتراك . ولا حاجة إلى بيان أسماء المحققين والناشرين وتاريخ النشر وموطنه ، كما تفرض أساليب المستغربين ، لأن ذلك كله سيرد في فهرس المصادر والمراجع بالتفصيل ، وحرام أن تستهلك عشرات الأسطر والصفحات فيما سيكون تكراره بعدُ بنسق منهجي مفيد .

ومن الواجب هنا أن نذكر ما يفرض على الباحثين في بلاد العرب ، من أساليب أعجمية ملتوية معكوسة السياق لبيان مصدر المعلومات . وذلك بتقديم اللقب على الاسم وبسط عبارات متطاولة فضفاضة مستعجمة متقطعة ، ومذيلة بخطوط وإشارات ورموز وطلاسم سحرية . فيكون لكل كتاب مثل هذا البيان في أول مرة من وروده ، ثم يعاد بصورة مطولة في فهرس المصادر .

إنه تعقيد غير لائق بالبحث العلمي ، يستغرق مجالات واسعة تُستهلك بدون فائدة ، وتعوّد الباحث على أمشاج من التعبير . ثم هو أمر ينكره العمل المنهجي في الأوساط العلمية العربية، لأنه يمثل الثقافة الأجنبية المستبدة، والانقياد للاستعلاء الغربي والعولمة المفروضة بالقوة والنفوذ والغطرسة ، والعبودية لما يرسمه الفرنجة من مناهج وأساليب ، وهي بعيدة كل البعد عن أوضاع تراثنا وأصحابه من العلماء والأدباء .

فنحن لدينا من المؤلفين من له عشرات أو مئات المصنفات ، ومن العناوين ما يشترك في أكثر من كتاب ، ومن الصياغات العربية ما يأنف التقطع والتمزق في التعبير ، وفي تاريخ التراث تقاليد منهجية سار عليها القدماء والمتأخرون ، هي أهل للاقتداء والوفاء . ولسنا في حاجة إلى التعبد بمهازل المستشرقين والمستغربين ، وقد كفانا الله ـ عز وجل ـ مؤونة التطفل والاستجداء ، حين كرمنا برحمته وبهذه العربية الغالية ، وبهذا التاريخ العلمي العريق ، وبهؤلاء الأفذاذ من العلماء والأدباء والفلاسفة الأعلام ، وبهذه المناهج الموضوعية المتبعة ، وبهذا التراث الذي يضاهي تراث العلم كله ، بل يفوقه في الكمية والكيفية والاستيعاب والتفنن ، وتعدد الميادين المطروقة والعلوم والفنون المبسوطة على مدى التاريخ ، وسعة المواطن والأحقاب .

وقد طالما ناشدنا المسؤولين عن البحث العلمي ، في المجالس المختصة ، أن يعفى الطلاب الباحثون من هذه الترهات والأباطيل ، وأن تعاد إليهم أصالتهم العربية في بيان المصادر والمراجع . وذلك بأن يُكتفى في الحواشي بذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه وأرقام الأجزاء والصفحات ، ثم يكون البيان الموجز في الفهرس بزيادة ما يوضح مكان الطباعة وتاريخها فحسب . ولكن إجابة المسؤولين كانت الرفض المطلق ، والإصرار على التبعية لسبل الاستعلاء والالتواء ، لأن أكثرهم من إفراز

الثقافة الأوربية ، أو عشاق مناهجها وأساليبها ، ولو كانت من باطل الأباطيل.[١] إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ومن الواجب جدًّا ، بعد ما فصّلنا من أمر التعليقات ، أن يجمع ما هو منها خاص بنص قصير محدد في فقرة واحدة متتابعة الجمل والعبارات ، وإن كانت من ميادين مختلفة في التعريف والتفسير والبيان . وإلاّ كانت مزقًا وأمشاجًا تتوزع الأسطر ، وكأنها من النثر المُشعَّر الذي يدعى بالشعر المنثور أو القصيدة النثرية أو ما أدري وما لست أدري . فالمعلومات التي تخص آية كريمة ، أو حديثًا شريفًا أو مقولة علمية أو بيتًا شعريًا ، تجمع كلها في نسق علمي مترابط ، وتعرض بتتابع متسلسل يؤدي بعضه إلى بعض ، ويمثل شخصية بيانية متكاملة ، في فقرة أو أكثر يحددها المضمون ومقتضيات المقام .

وإذا كان النص كبيرًا يستوعب كتابًا وجب أن يختم بالفهارس الفنية اللازمة ، إذ كل موضوع يقتضي فهارس تناسب محتواه ومادته التعبيرية . فالنصوص القرآنية يكون لها فهرس للآيات تسرد فيه السور وتحتها أرقام الآيات مقابَلة بأرقام الصفحات ، والأحاديث الشريفة تسرد أوائلها تبعًا لأطراف ألفاظها ، وكذلك شأن الآثار والأمثال والأمثلة . أما الشعر فيتطلب فهرسة لقوافيه بذكر ألفاظها منسوقة على حسب حركة الروي والترتيب الألفبائي . وأما النص اللغوي فيحتاج إلى فهرس للألفاظ وآخر للتراكيب وآخر لمسائل العربية : في المعجم والصوت والإعراب والصرف والبلاغة والعروض .

وختامًا لكل من هذا وذاك وذلك فهارس أساسية لابد منها . أحدها للأعلام من أفراد وقبائل وجماعات وأمم وأمكنة وحيوان وأشياء ، والآخرُ للمصادر والمراجع

---

(١) نظير هذا ما يلقاه طلاب الدراسة العليا ، من فرض للغات الأجنبية في دورات واختبارات عسيرة معقدة ، تكلفهم الأشهر والسنوات أحيانًا ، فيما لا يكون له صلة بأعمالهم في البحث أو التحقيق . وقد أُلزم جميع هؤلاء ذلك ، مع اختلاف تخصصاتهم ، ليكونوا مثل المتخصصين في اللغات الأجنبية نفسها . ولا شك أن أكثر طلاب الدراسات اللغوية والأدبية والشرعية مثلاً لن يكونوا في حاجة إلى ما يكلّفونه ، وتكون جهودهم وسنواتهم سدى وحسرة . ولكنه التعنت القاهر والتبعية التعيسة على غير هدى .

المطبوعة بإيراد أسمَيِ الكتاب ومؤلفه مع تحديد مكان الطباعة وزمانها ، والمخطوطة ببيان رقمها واسمَيِ المكتبة الخطية ومكانها ، والأخيرُ لمحتوى النص بتوزيعه على عناوين رئيسية تماثل ما كان فيه بدقة ووضوح ، مع السرد تحت كل منها لما فيه من عناوين فرعية ، ومتشعبة عن الفرعية هذه .

وبمثل هذه التجارب والممارسات ، يُضطر الموجَّه الموجِّه للنص أن يستقريَ المصادر والمراجع في كثير من العلوم والفنون ، ويمارس استخدامها عمليًّا باليد والعين واللسان والجنان ، فيكتسب الخبرات الواقعية لتملّك أزمّة خزائن المكتبة العربية ، بجميع ميادينها واختصاصاتها ، ويصبح قادراً على الرجوع إليها في كل مناسبة ، ليجد الحلول للمسائل العارضة ، ويجمع المعلومات والحقائق في موضوعات علمية أو فنية أو أدبية خاصة . ومن ثَم تتكون لديه قدرات البحث والنقد والتحقيق والتقويم ، وسبل خدمة الأمة والمكتبة اللتين زودتاه بنُسغ الحياة والنمو والمعرفة والكرامة الإنسانية .

تلك هي الخطوط الرئيسية في هذا الضرب من القراءة ، عرضناها بإيجاز وبساطة . ولسوف نبسط معالمها وتفصيلاتها عمليًّا ، إن شاء الله ، في نموذج تطبيقي من الصفحات القادمة .

٨ ـ مستوى التحليل :

يستقطب هذا الضرب الأخير من القراءات تلك الوسائل التي تمارسها المستويات السابقة أيضًا . وقد كنت خصصت النحوي منه ببحث واف ، في الحلقة الأُولى من هذه السلسلة ، مع نموذج تطبيقي على نص من كتاب سيبويه ، [١] وكان لي أن عرّفت تحليل النص بأنه " تحديد عناصره المكونة له ، ودراستها لبيان السمات الفكرية والتعبيرية ، وتحديد القيم العلمية والمنهجية والتاريخية لها ، بالأدلة والأمثلة الكافية " . وهو مشهور متداول منذ عدة أجيال ، لدى من يحلل النصوص الأدبية والعلمية والفنية .

وباختصار للعرض هنا ، فإن الخطوات العملية لهذه المقولة النظرية هي متابعة

---

(١) انظر تحليل النص النحوي ص ٢١ ـ ١٦٣ .

ما كان في المستويات السبعة المتقدمة ، مع إجراءات خاصة تتمثل في تحليل البنى السطحية والعميقة والأصلية والفرعية للنص ، ورصد المعاني الإيمائية الدقيقة تعزيزاً للأفكار الأساسية ، وتتبع ما للمفردات من المستويات الدلالية في المعجم والمجاز والفن والاستعمال الخاص . ومن ثَم تتيسر الإحاطة بامتداد النص وسبر أعماقه ، واكتشاف أبعاد التفكير والتعبير والتصوير ، وربط أجزائه بالبيئات اللغوية والاجتماعية والفكرية والدينية والفنية والاقتصادية والسياسية . وبذلك تتمثل الظلال والأخيلة والحوادث والأفكار والتجارب والانفعالات ، والآثار الموسيقية والنفسية والقيم الجمالية ، فتتفاعل وما يوحيه النص من عواطف وصور وجمال .

ومن خلال هذا كله ، تتكشف فاعلية الثقافات العامة والخاصة ، وتتميز الجهود الشخصية للمؤلف وأساليبه الفريدة في التقرير والاستدلال والتقويم ، وفي تخطيط تفكيره وتوزيع عناصره وتفرعاتها ، وارتباط الكليات بالجزئيات . ويصدر عن هذا وصف لطوابع التفكير والعطاء والتخييل والانفعال ، ولنهج التأليف والتنسيق وضروب الاستدلال الظاهرة والخفية ، وللأحكام والمقولات المقررة ، وللاستخدامات اللغوية والاصطلاحية والفنية ، وللسياقات التعبيرية البسيطة والمركبة .

ويختم ذلك كله بالحصيلة التقويمية ، حيث تجمع نتائج ما كان في ميدانَيِ الفكر والأداء من خصائص وتميز ، وما يمثله النص من قيمة تاريخية في عصره والأحقاب التالية ، وما يحمله من تأثر بعصره وما قبله ، وتأثير في معاصريه والأجيال المتعاقبة بعد ، من مسيرة تاريخ العلم والفن ، لدى أمة صاحبه خاصة والإنسانية عامة .

* * *

هذه هي المستويات العامة لقراءات النصوص ، عرضنا صورها بشيء من الإيجاز والبيان ، على أمل أن تفتح باباً جديداً في الدراسات بين الزملاء الأكارم ، يقوِّمون درأها ويبسطون ميادينها ، ويغذّون فيها تلك المعالم بالتنظير والتوسعة والتطبيق ، لتستمر مواكب العطاء والتنمية في نطاق البحث والتأليف . وغير خفي أن ما يخصنا هنا من هاتيك المستويات هو الضرب السابع . أعني مستوى التوجيه ، وسيكون له مجالات واسعة مفصلة ، في الفصول القادمة ، بمشيئة المولى تعالى .

الباب الأول

مصادر القراءة والنوادر

الفَصْلُ الأَوَّلُ

المصادر والمراجع

تبين لنا في التمهيد المتقدم ما للمصادر والمراجع ، من أهمية بالغة في توجيه النصوص وقُرّائها ، وأن الهدف البارز في هذه الإجراءات العلمية هو ربط النص بالمكتبة العربية ، وتدريب القارئ على الاتصال بها عمليًّا ، وبشكل مباشر جاهز للاستخدام إبان الحاجة ، بعد التعرف لمضمونها ومحتوياتها ، ولمنهج كل نوع معرفي ومصنف منه ، والقيمة العلمية له في فنه ومستواه .

وعلى هذا ، فقد وجب علينا افتتاح الفصول بما يكون تعريفًا للمكتبة العربية ،[1] وأهم ما فيها من مصنفات تخدم النصوص والموجَّهين فيها أو الموجِّهين لها ، لتصبح أدواتُ المعرفة والتوجيه حاضرة في أذهانهم وبين أيديهم ، يستعينون بها في كل حين . والحق أن القرّاء في افتقار ماس إلى تدرب مستمر لإتقان التعامل ومحتوياتِ المكتبات ، وتكوين خبرة دقيقة عالية وكِفاية جاهزة فعالة ، للاستفادة من أنواع المصنفات والأسفار في ميادين العلوم والفنون والآداب . ومن ثَم يستطيع كل منهم تناول ما يحتاج إليه بعينه مباشرة ، ويستمد منه ما يريده بأيسر سبيل .

وللوصول إلى تلك الدرجة العملية الحاضرة في القلب واليد واللسان ، تتوجب متابعة الممارسة والتدرب ، في منهجية علمية واقعية ، لتحديد وتثبيت أساليب العمل

---

(١) ينظر : موسوعة المصادر والمراجع للدكتور عبد الرحمن عطبة ونظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب للدكتور أمجد الطرابلسي والمكتبة العربية للدكتور عزة حسن والمراجع العربية لعبد الله إسماعيل الصاوي ومصادر التراث العربي للدكتور عمر الدقاق ولمحات في المكتبة والبحث والمصادر للدكتور محمد عجاج خطيب ومدخل لدراسة المراجع لعبد الستار الحلوجي والدليل الببليوغرافي للمراجع العربية بالعالم العربي للدكتور سعد الهجرسي ودليل المراجع العربية لعبد الكريم الأمين والمراجع العربية العامة لمحمد علي القاسم نزار .

الهادف ، بعيدًا عن العشوائية والتعثر والاضطراب بين الخطأ والصواب رجمًا بالغيب .

والمسعف في سرعة الاستفادة من جمهور المؤلفات أن يطلعَ الباحث على خطبة الكتاب أو مقدمته لتعرّف المنهج والمحتوى والأساليب والرموز والمصطلحات ، ويتصفحَ الفهارس الفنية فيه لحصر كل مسألة فيما هي منه . وإذ ذاك تتضح للموجَّه قنوات الاتصال بعناصر المكتبة ، وتتكون لديه الخبرة والكفاية لتناول المصنفات من حجراتها ، بالأجزاء والصفحات اللازمة ، وتتحرك يداه وعيناه وبصيرته في الخطوط الهادفة ، وبين الصفحات المَعنيّة ، والمسارات الوجيزة الناجحة الأداء والعطاء .

المصدر والمرجع :

كثيرًا ما يختلط في أذهان الدارسين مفهوما المصدر والمرجع ، فيُظن أن كليهما شيء واحد . ولهذا كان من الضروري توضيح موقعيهما من حاجات الدرس والبحث والتوجيه ، لتصبح المصطلحات المنهجية حاضرة في القلوب بتمايز واستجابة حين اللزوم والتعامل .

فالمصدر هو كتاب أو إنسان أو أثر يقدم حقائق أو معلومات أساسية ، عن الظاهرة أو الفكرة أو المسألة أو الشخصية التي هي موضوع البحث والاستقصاء . ومن هذا المصدر تُستقى مادة المعارف والحقائق عن ذلك ، فتكون بمثابة الأسس للعمل العلمي المقصود . ولذا يجب أن يكون مصدرنا في كل موضوع أقدم ما عرف عنه ، وأقربه إليه زمانًا ومكانًا ، ليستطيع التزويد بما هو أصح وأصدق ما يمكن من المادة اللازمة ، ويجب أن يكون أيضًا شديد الصلة بالموضوع ، بحيث لا يُستغنى عنه في استمداد صلب الأدلة والأحكام والنتائج .

ومما تقدم يتبين أن الإنسان نفسه ، حين يكون موضوعًا للبحث ، هو أصل المصادر للكتابة عنه . فإذا تيسر الوصول إليه كان منتهى الغاية والمراد منها ، وأوثقها وأصدقها ، بل هو عين ينبوع الصواب والإحكام . وإن تعذر ذلك صار ما كتبه بيده أو روي عنه مباشرة صاحبَ الصدارة ، ويلي ذلك ما روي عمن عاصره وكان له صلة به ، ثم ما كان بعدُ في العصور المتوالية والأصقاع المختلفة ، مع الفضيلة والتميز لما هو أقدم وأقرب في الزمان والمكان .

أما المرجع فما نُقل عن المصدر الميسَّر استخدامه ، أو ما كان فيه معالجة لبعض مسائل الموضوع أو قضاياه . وإنما سمي مرجعًا لأنه يُرجَع إليه للفوائد الجزئية أو الثانوية الفرعية ، وهو أقل ثقة من المصادر ، إذ قد يقع فيه تبديل وتحوير لبعض الحقائق والمعلومات ، بفهم خاطئ لها أو بقصد التحيز والتزوير والتضليل للعلماء . ومن هذا القبيل كتب الأدب والتراجم والتاريخ ، ومصنفات التفاسير وشروح الأحاديث النبوية ، وشروح الدواوين والأشعار والرسائل والمقامات ، ومؤلفات الحضارة والعلوم لتصوير بيئة أو أحداث أو أعمال .

ولا يخفى على كل ذي جنان أن النقول المتتابعة للمعلومات ، بين المصادر والمراجع المتوالية ، تترك آثارًا كثيرة من التشويه والتحوير ، مما يجعل الاعتماد على المراجع المتأخرة ذا مزالق ومخاطر ، يتعذر فيها تجنب الأوهام والأباطيل . ولذا كان الاستمدادُ من المصادر هو الأصل في إنجاز الإجراءات العلمية الموثقة ، والعودةُ إلى المراجع تكون للتوضيح والترميم لما هو في حاجة إلى شيء منهما .

ثم إن المرجع المعين قد يكون فيه معلومات وحقائق ، هو مصدر لها أيضًا . وذلك في المعلومات التي تكون خاصة بالمؤلف ، هو صاحبها ولم ينقلها عن غيره ، أو التي فُقدت أصول مصادرها أو تعذر الوقوف عليها . فهذه المعلومات الفريدة تُستقى على أنها أصيلة ، وتكون في مرتبة ما ينقل من المصادر أيضًا . فإذا ظهر مع الزمن لها أصل أقدم عاد كتاب صاحبها أو قوله مرجعًا ثانويًا .

دائرات المعارف (الموسوعات العامة) :

دائرة المعارف هي مجموعة من المقالات المتخصصة جدًا ، تعالج المعارف الإنسانية عامة والموضوعات الكثيرة بأسلوب علمي دقيق موجز ، تكون نقطةَ البدء للبحوث ، فتقدم المعلومات والحقائق ، مع مصادرها والمراجع ، لينطلق منها الباحث إلى توسعة موضوعه وإغنائه وإنجازه بما تحيله عليه " الدائرة " نفسها .

وتكون فيها المواد العلمية موزعة على أصغر ما يمكن من الجزئيات ، وإن ضحت بالوحدة الموضوعية لكل معرفة ، ليتسنى في ذلك تحقيق الاختصاص والدقة والإيجار ، ثم تقيم الترابط بين أجزاء الوحدة بإحالات في بعض الأجزاء على بعض .

ولهذا يكتب كل مقالة متخصص في مضمونها تخصصًا عميقًا ، وهو من الأمة صاحبة الشأن ، ويزودها بالرسوم والصور والبيانات اللازمة ، ويلحق بها ثَبَتًا بأهم المصادر والمراجع ، ثم يذيلها باسمه ولقبه .

وتنسق تلك المقالات تحت عناوين مكثفة تنسيقًا ألفبائيًّا ، بحسب حروف كلمات العناوين ، تيسيرًا للتناول والاستفادة . وإذا كانت بلغة أجنبية فإنه يترجم كلَّ مقالة عالم آخر ، ويلحق بها تعليقات عليها في الحاشية ، مع ذكر اسمه ولقبه أيضًا . ويجب أن يكون المترجم مختصًّا بموضوع المقالة ، ليستطيع نقلها بدقة وأمانة ، والتعليق عليها بالاستدراكات والتعقبات والتصويبات اللازمة ، لما وهمَ فيه المؤلف أو حاد به عن الصواب والحقائق العلمية .

وتُستهل " الدائرة " بمقدمة تحدد الغاية منها والمنهج المتبع ، وتختم بالفهارس الفنية والكشافات المساعدة على التناول والاستفادة بأسرع ما يمكن . وتكون المعلومات الواردة محدودة بتاريخ كتابة المقالات ، لتعذر متابعة ما يجد في العالم من ذلك ، ثم تصدر ملاحق سنوية تحوي المواد والمعلومات المستجدة ، مع الإشارة إلى حذف ما ثَبَت بطلانه . وعلى هذا المنوال تبقى " الدائرة " في تجدد ونمو واغتناء ، تلاحق ما أمكن من الأحداث والعلوم والمكتشفات والمخترعات والتغيرات .

كذلك شأن دوائر المعارف العامة ، ويطلق عليها أحيانًا أسماء " الموسوعات" . ولفظ الموسوعة هنا بمعنى الواسعة ، أي : المستوعبة المحيطة الشاملة للمعارف والعلوم . فهو على صيغة : مفعولة ، بمعنى اسم الفاعل المؤنث للمبالغة ، على غرار : مَحصول ومَهُول ومُحصَن ومُسهَب ، بمعنى : حاصل وهائل ومُحصِن ومُسهِب . وقد اقترح بعض المعاصرين أن يكون " المَعلَمة " بديل هذا وذاك . والأصح أن يُستبدل بالجميع لفظ : الوَسيعة أو الوَساع . إذ كل من هذين اللفظين أدلُّ بصيغته ومعناه على الاستيعاب والشمول ، من دون تكلف واصطناع . وأشهر هذا النوع من الموسوعات أو الوسيعات، :

١ ـ **دائرة معارف القرن العشرين** : ألفها محمد فريد وجدي بمفرده ، وأصدرها بين عامي ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ م ، في ١٠ مجلدات ضخام ، ثم نشرت سنة ١٩٧١ . وهي

أوثق الدوائر ، فيما عرضتْ له حتى الآن .

٢ ـ **دائرة المعارف الإسلامية** : ألفتها مجموعة من المستشرقين وأمثالهم ، وصدرت بين أعوام ١٩٠٨ ـ ١٩٣٩ م ، باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية ، وهي محشوة بكثير من الأباطيل والتشويه للدين الإسلامي والعلوم العربية والإسلامية والتاريخ الإنساني ، عن جهل لبعض الكُتّاب أو قصد للتضليل والإفساد .

فليُتنبّه إلى ذلك خشية الدخول في التيه الذي صُنع للمسلمين ، إذ كلنا على علم بما خلّده الله ـ تعالى ـ من خطاب للمسلمين : ﴿ إن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إيمانِكُم كافِرِينَ ﴾ ،[1] ومن قوله عن الكافرين : ﴿ ولا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُم حَتَّى يرُدُّوكُم عَن دِينِكُم ، إنِ استَطاعُوا ﴾ .[2] وقتالهم هذا يكون بكل سلاح ، في حروب متعددة الأشكال ومنها تشويه المعلومات ونشر الضلال والفساد .

وقد تَرجم بعض علماء المسلمين قدراً كبيراً من هذه الدائرة ، منذ عام ١٩٣٣ ، انتهى إلى قسم من حرف العين ، أي : ما يقارب نصف الموسوعة . وعلق آخرون في هوامش الترجمة على ما فيها من أكاذيب وأباطيل ، لمساعدة الدارسين على الصواب . ولكن هيهات هيهات أن تُستأصل أو تُستقصى دسائس الاستعمار والإسرائيليات الخبيثة ! أضف إلى هذا أن المعلومات المتضمَّنة في الأصل قاصرة محدودة بزمان الصدور الأول ، وليس فيها ما يحيط بالموضوعات المطروحة .

٣ ـ **الموسوعة العربية الميسرة** : وهي مختصرة موجزة تستوعب غالبية المعارف المعاصرة ، نُشرت في مجلد واحد سنة ١٩٥٩ ، بمشاركة جماعة من العلماء والمختصين المتأثرين بالتفكير الغربي . وهي خالية من أسماء الباحثين المؤلفين لها ، ومن مسرد المصادر والمراجع ، ولم تواصِل ما جد من المستحدثات بعد .

٤ ـ **دائرة المعارف الإسلامية الثانية** : شارك في إعدادها وكتابتها مجموعة من المستشرقين والمسلمين ، وبدأ صدور مجلداتها سنة ١٩٦٠ باللغتين الفرنسية

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

والإنكليزية ، مزودة بالمصادر والمراجع وأسماء الكتاب ، وبالرمز إلى أسماء الدوريات ، وبما اصطُلح عليه من حروف لاتينية مقابلة للحروف والحركات العربية .

٥ ـ **الموسوعة العربية العالمية** : وهي ترجمة لـ " دائرة المعارف العالمية " الصادرة بالإنكليزية سنة ١٩٩٢ ـ ١٩٩٤ في الولايات المتحدة الأمريكية ، مع إضافات إسلامية عربية ، وتعديلات واختصار لتجنب الدسائس والافتئات وهيهات هيهات ، ومع افتقادٍ للجهد العلمي الإسلامي الشامل ، وعدمِ الاستيعاب الكامل الدقيق للمعارف والعلوم المتخصصة ، إذ هذه الموسوعة موجهة إلى عامة الناس . وقد صدرت الترجمة المذكورة سنة ١٩٩٦ في مدينة الرياض ، خالية من أسماء الكتّاب والمصادر والمراجع ، فكانت في ٣٠ مجلدًا ، والثلاثة الأخيرة منها خصصت لمعجم مترجم وفهرسة لعناوين الموضوعات الرئيسية والمصطلحات .

* * *

والملاحظ فيما ورد من هذه الموسوعات ، عدا ما ألفه محمد فريد وجدي ، أنه نتاج غير عربي ولا إسلامي في أصله وتفرعاته وتفكيره وتوجهه ، وما جاء من لمسات لترميم مزالقه ودسائسه وافتقاره لم يستطع أن يسد الفراغ ويملأ حاجات الباحثين والدارسين ، لأنه صادر عن تفكير فيه آثار الثقافات الأوربية والسياسات المبرمجة المدبلجة ، فكان محاولات سطحية قاصرة . وقديمًا قال زهير بن أبي سُلمى :

ومَن لَم يـذُدْ عَـن حَوضِـهِ بِسِـلاحِهِ يُهَدَّمْ ، ومَن لا يَظلِـمِ النّـاسَ يُظلَـمِ
ومَن لا يَزَلْ يَسـتَحمِلُ النّـاسَ نَفسَـهُ ولا يُغنِها ، يَومًا مِنَ الـدَّهرِ ، يُسـأمِ

ولهذا شرعتْ بعض الدول الإسلامية والعربية تسعى في إعداد موسوعات بالجهود الذاتية ، تلتزم الأمانة والدقة ، لتقدم للباحثين والدارسين وجهًا مشرقًا وحقائق موثقة لا دَخَل فيها . وهي محاولات بدائية ، تحتاج إلى تعاون علمي كامل وإخلاص وتجرد تامين ، لتجاوز مراحل القصور وضيق الأفق والنزعات الفردية أو المحلية أو الوطنية أو القومية . ومن هذه الأعمال ما صدر أو يصدر في حلب ودمشق والقاهرة وتونس وعمّان وإستانبول . . .

دائرات المعارف الخاصة :

هي موسوعات متخصصة تعالج مجالاً واحدًا محددًا من العلوم والمعارف ، كالأدب والتاريخ والثقافة والطب والهندسة ، أو عدة مجالات متقاربة : كالفنون والعلوم الاجتماعية والدين والأخلاق . وتمتاز هذه المصنفات بكثرة التفصيل في معالجة الموضوعات ، وأن بعضها يكون في مستويات : للجامعيين أو العلماء أو التلاميذ الصغار . ومنها :

١ ـ الموسوعة الثقافية ، بإشراف الدكتور حسين سعيد ، صدرت في القاهرة سنة ١٩٧٢ .

٢ ـ موسوعة المستشرقين ، بتأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي ، صدرت في بيروت سنة ١٩٨٤

٣ ـ الموسوعة الفلسطينية ، بتأليف عدد من العلماء المختصين ، وصدرت في دمشق سنة ١٩٨٤ .

٤ ـ الموسوعة الفلسفية العربية ، بإشراف الدكتور معن زيادة ، صدرت في بيروت سنة ١٩٨٦ .

٥ ـ الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ، للدكتور كميل الحاج ، صدرت في بيروت .

٦ ـ موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، بإشراف جامعة السلطان قابوس ، صدرت في بيروت .

قوائم الكتب والمقالات (الببليوغرافية) :

في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية فن من التأليف عُرف باسم الوِراقة ، وكان يراد به نسخ الكتب للمكتبات وللناس . ثم تطور هذا الفن التصنيفي فأصبح يطلق على التأليف عن الكتب ، أو التعريف بها وبأصحابها . ويكون ذلك في تنسيق بحسب أنواع العلوم والفنون أو أسماء المؤلفين ، وقد يختص بعضها بنوع من العلوم أو المذاهب . وإليك بعض هذه المصنفات :

١ ـ الفِهرست لابن النديم سنة ٣٧٧ .

٢ ـ فِهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين لأبي جعفر محمد الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ .

٣ ـ فَهرسة ما رواه عن شيوخه ابن خير الإشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ .

٤ ـ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ .

٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاجّ خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ .

٦ ـ أسماء الكتب لعبد اللطيف بن محمد رياضي زادة من علماء القرن الحادي عشر .

٧ ـ جامع التصانيف المصرية الحديثة المنشورة خلال سنوات ١٣٠١ ـ ١٣١٠ لعبد الله الأنصاري .

٨ ـ أبجد العلوم لصديق بن حسن القنّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧ ، وفيه أنواع العلوم وما فيها من المصنفات .

٩ ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لأدوار فانديك نشر سنة ١٣١٣ .

١٠ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة ١٣٤٠ .

١١ ـ هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة ١٣٤٠ .

١٢ ـ جامع التصانيف الحديثة ليوسف اليان سركيس ، فيه ما نشر بين سنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٢٧ م .

١٣ ـ البيليوغرافية العربية للمستشرق شنورر ، جمعتْ ما نُشر بين عامي ١٥٠٠ ـ ١٨١٠ .

١٤ ـ البيليوغرافية الشرقية للمستشرق لوسيان شرمان ، جمعتْ ما نُشر بين عامي ١٨٨٧ ـ ١٩١٠ .

١٥ ـ سلسلة الأعمال المطبوعة في أوربة بين ١٨١٠ ـ ١٨٨٥ للمستشرق فكتور شوفان ، صدرت حتى ١٩٢٢ .

١٦ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس طبع سنة ١٩٢٨ .

١٧ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد محسن الشيخ آغا بزرك الطهراني ، بدئ بنشرها سنة ١٩٣٦ .

١٨ ـ رائد التراث العربي مما ألفه المستشرقون لجان سوفاجيه نشر بالغربية عام ١٩٤٧ .

١٩ ـ فهرست الكتب المطبوعة في مصر بين ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ لجورج شحاته قنواتي نشر عام ١٩٤٩ .

٢٠ ـ الفهرس الإسلامي للمقالات المنشورة بين ١٩٠٥ ـ ١٩٧٥ للمستشرق إ . د . برسون ، صدر بين ١٩٥٨ ـ ١٩٧٥ ، ثم أتبع ذلك بمجلة فصلية لكل ٣ أشهر ، تستوفي ما ينشر مع الملاحق اللازمة .

٢١ ـ الدليل البيليوجرافي للمراجع بالعالم العربي لسعد محمد الهجرسي نشر بين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤ .

٢٢ ـ الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٢٦ ـ ١٩٤٠ لعائدة إبراهيم نصر نشر سنة ١٩٦٩ .

٢٣ ـ دليل المراجع العربية والمعربة لعبد الجبار عبد الرحمن نشر سنة ١٩٧٠ .

٢٤ ـ الثبت البيليوجرافي للأعمال المترجمة ، تصنيف لجنة خاصة نشر سنة ١٩٧٢ .

٢٥ ـ الدليل البيليوجرافي للمراجع بالوطن العربي لسعد محمد الهجرسي نشر سنة ١٩٧٥ .

٢٦ ـ دليل المطبوعات المصرية ما بين عامي١٩٤٠ ـ ١٩٥٦لمجموعة من الباحثين نشر سنة ١٩٧٥ .

٢٧ ـ معجم المخطوطات المطبوعة ما بين عامي ١٩٥٤ ـ ١٩٨٠للدكتور صلاح الدين المنجد نشر سنة ١٣٩٨ .

٢٨ ـ دليل الباحث اللغوي في الدوريات العربية بإشراف الدكتور محمد علي سلطان نشر سنة ١٤٠٢ .

٢٩ ـ فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني صدرت مطبوعته الثانية سنة ١٤٠٢ .

٣٠ ـ فهرست الكتب النحوية المطبوعة للدكتور عبد الهادي الفضلي نشر سنة ١٤٠٧ .

٣١ ـ كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار لإعجاز حسين النيسابوري ، نشر سنة ١٣٣٠ .

٣٢ ـ النشرة المصرية والنشرة الوافية للمطبوعات ونشرات الإيداع ، والنشرات البيليوغرافية اللبنانية والجزائرية والليبية بعد سنة ١٩٦٤ .

٣٣ ـ المستخلصات العلمية العربية لما بعد سنة ١٩٧٢ ، وهي مرتبة بحسب أسماء المؤلفين ضمن العلوم .

٣٤ ـ الحركة اللغوية في الوطن العربي عام ١٩١٨ ـ ١٩٧٥ للدكتور شكري فيصل نشرت سنة ١٤١٢ .

٣٥ ـ المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع للدكتور محمد عيسى صالحية بدئ بنشره سنة ١٩٩٢ .

٣٦ ـ موسوعة المصادر والمراجع للدكتور عبد الرحمن عطبة نشرت سنة ١٤١٨ .

* * *

ومما يذكر في هذا القبيل من المصنفات ما هو أعم وأوفى ، استغرق التاريخ العربي المعروف كله ، وكان فيه بعض الدرس والتفصيل . وذلك نحو :

الأعلام لخير الدين الزركلي ، صدرت منه ٣ أجزاء عام ١٩٢٧ ، ثم صدر كاملاً بين عامي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ ، وألحق به مستدركان بعد ، وأصدر أخيراً الدكتور نزار أباظه ومحمد رياض صالح كتاباً ملحقاً به تحت عنوان " إتمام الأعلام " في بيروت عام ١٩٩٩ .

ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، صدر في بيروت سنة ١٩٥٧م ، ثم أُتبع بمستدرك سنة ١٩٨٥ فيه زيادات وإضافات . وهو يعرّف بالمؤلفين مع ذكر أشهر كتبهم المطبوعة والمخطوطة ، والمصادر والمراجع التي تُتم الفائدة .

وتاريخ الأدب العربي للمستشرق كارل بروكلمان ، ألفه ونشره باللغة الألمانية ، وبدئ بنشر أجزاء منه مترجمة إلى العربية سنة ١٩٦٠م ، ثم صدر كاملاً بين عامي ١٩٩٢ ـ ١٩٩٥ م . وقد ضم ذكر الكتب المطبوعة والمخطوطة مما اطلع عليه المؤلف ، وفيه أوهام ودسائس وأباطيل كثيرة يجب التنبه إليها .

ثم تابع فؤاد سزكين عمل بروكلمان ، يستدرك ما فاته من المطبوعات والمخطوطات ، ويصحح بعض ما انتثر فيه من الدسائس والأوهام وهيهات هيهات لأنه ربيب الغرب ، فأصدر باللغة الألمانية عدة مجلدات بين عامي ١٩٦٧ ـ ١٩٨١م ، وتُرجم منها جزءان في القاهرة سنتي ١٩٧١ و١٩٧٨ تحت عنوان « تاريخ التراث العربي »، ثم بضعة أجزاء في الرياض بين عامي ١٩٨٣ ـ ١٩٨٦ .

وللدكتور عمر فروخ أيضًا « **تاريخ الأدب العربي** » وهو واف بالحياة العلمية والفنون الأدبية ، وقد صدرت منه عدة مجلدات بحسب العصور التاريخية .

المصادر والمراجع للعلوم :

بعد تلك الجولة مع المصنفات العامة ، يحسن بنا أن نقف إزاء أهم المصنفات التي تساعد على فهم المسائل وحل المشكلات في العلوم المختلفة ، كلاًّ منها على حدة ، في حدود الإمكان :

مصنفات علوم القرآن :

الإتقان في علوم القرآن	السيوطي	القاهرة ١٣١٨
إتحاف فضلاء البشر	أحمد الدمياطي	القاهرة ١٣٠٦
أحكام القرآن	محمد بن إدريس الشافعي	القاهرة ١٣٧٠
أحكام القرآن	ابن العربي محمد بن عبد الله	بيروت د . ت
أسباب النزول	الواحدي	القاهرة ١٣٨٩

أضواء البيان في إيضاح القرآن	محمد الأمين الشنقيطي	على نفقة ابن لادن
إعراب القرآن	جامع العلوم الباقولي	القاهرة ١٣٨٢
إعراب القرآن	أبو جعفر النحاس	بيروت ١٤٠٥
الإقناع في القراءات السبع	ابن الباذش	مكة المكرمة ١٤٠٣
أنوار التنزيل وأسرار التأويل	عبد الله بن عمر البيضاوي	القاهرة ١٣٥٥
إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز	محمد بن خليل القباقبي	الجزائر ١٩٩٥
إيضاح الوقف والابتداء	محمد بن القاسم الأنباري	دمشق ١٣٩٠
الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه	مكي القيسي	جدة ١٤٠٦
البحر المحيط	أبو حيان النحوي	القاهرة ١٣٢٨
البرهان في علوم القرآن	محمد بن عبد الله الزركشي	القاهرة ١٣٧٦
تأويل مشكل القرآن	ابن قتيبة	القاهرة ١٣٨٣
التبصرة في القراءات	مكي القيسي	الكويت ١٤٠٥
تحبير التيسير في قراءات العشرة	ابن الجزري	بيروت ١٤٠٤
تفسير البغوي	الحسين بن مسعود البغوي	بيروت ١٤٠٦
تفسير ابن عباس	عبد الله بن عباس	بيروت ١٤١٤
تفسير الجلالين الميسر	المحلي والسيوطي	بيروت ١٤٢٤
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير	القاهرة ١٣٧١
التفسير الكبير	الفخر الرازي	بيروت ١٤١٥
التمهيد في علم التجويد	ابن الجزري	الرياض ١٤٠٥
التيسير في القراءات السبع	أبو عمرو الداني	إستنبول ١٩٣٠
جامع البيان عن تأويل القرآن	ابن جرير الطبري	القاهرة ١٩٥٤
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	القاهرة ١٩٣٥
جمال القُرّاء وكمال الإقراء	علي بن محمد الخاوي	دمشق ١٤١٨
الحجة في القراءات السبع	ابن خالويه	بيروت ١٩٧١
حجة القراءات	ابن زنجلة	بيروت ١٣٩٩

دراسات لأسلوب القرآن الكريم	محمد عبد الخالق عضيمة	القاهرة ١٩٧٢
الدر المصون	أحمد بن يوسف السمين الحلبي	دمشق ١٤٠٦
روح المعاني	شهاب الدين محمود الآلوسي	القاهرة ١٣٨٣
زاد المسير في علوم التفسير	ابن الجوزي	بيروت
السبعة في القراءات	ابن مجاهد	القاهرة ١٩٧٢
طبقات المفسرين	الداودي	القاهرة١٣٩٢
غاية النهاية في طبقات القراء	ابن الجزري	القاهرة ١٩٣٣
فتح القدير	محمد بن علي الشوكاني	بيروت ١٣٨٦
في ظلال القرآن	سيد قطب	القاهرة ١٤١٣
القطع والائتناف	أبو جعفر النحاس	بغداد ١٣٩٨
الكشاف	الزمخشري	القاهرة ١٣٦٥
الكشف عن وجوه القراءات السبع	مكي القيسي	بيروت ١٤٠١
لباب التأويل في معاني التنزيل	علي بن الخازن	بيروت ١٣٩٩
لطائف الإشارات لفنون القراءات	شهاب الدين القسطلاني	القاهرة ١٩٧٢
المبسوط في القراءات العشر	أبو بكر الأصفهاني	دمشق
مجاز القرآن	أبو عبيدة	القاهرة ١٣٧٤
محاسن التأويل	مجمد بن جمال الدين القاسمي	بيروت
المحتسب في شواذ القراءات	ابن جني	القاهرة ١٣٨٦
المحرر الوجيز	ابن عطية	المغرب ١٩٧٥
المحكم في نقط المصاحف	أبو عمرو الداني	دمشق
مشكل إعراب القرآن	مكي القيسي	دمشق ١٩٧٤
المصاحف	عبد الله بن أبي داود	القاهرة ١٣٥٥
معاني القرآن وإعرابه	الزجاج	بيروت ١٤٠٨
معاني القرآن	الفراء	القاهرة ١٣٧٤
معاني القرآن	الأخفش الأوسط	الكويت ١٤٠١

معجم القراءات القرآنية	عبد العال سالم وأحمد مختار	الكويت ١٤٠٢
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	محمد فؤاد عبد الباقي	القاهرة ١٣٧٨
معرفة القرّاء الكبار	الذهبي	بيروت ١٤٠٤
المفسرون وآيات الصفات	محمد بن عبد الرحمن المغراوي	الرياض ١٤٠٥
المفصل في تفسير القرآن العظيم	المحلي والسيوطي	بيروت ١٤٢٤
المقنع في معرفة رسوم المصاحف	أبو عمرو الداني	دمشق ١٤٠٣
المكتفي في الوقف والابتداء	أبو عمرو الداني	بيروت ١٤٠٤
النشر في القراءات العشر	ابن الجزري	دمشق ١٣٤٥
الناسخ والمنسوخ	أبو جعفر النحاس	بيروت ١٤١٢
نواسخ القرآن	ابن الجوزي	القاهرة ١٣٧٢
هجاء مصاحف الأمصار	أحمد بن عمار المهدوي	القاهرة

مصنفات علوم الحديث:

الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية	المناوي	بيروت
إرشاد الساري لشرح البخاري	القسطلاني	بيروت
أصول الحديث علومه ومصطلحه	محمد عجاج الخطيب	دمشق ١٣٩٥
إعراب الحديث النبوي	العكبري	دمشق ١٣٩٧
أمثال الحديث	الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي	حيدر آباد الدكن
التاج الجامع للأصول	منصور علي ناصف	بيروت
تأويل مختلف الحديث	ابن قتيبة	بيروت ١٣٩٣
تحرير الرواية في تقرير الكفاية	أبو الطيب الفاسي	الرياض ١٤٠٣
تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية	عبد القادر البغدادي	الدمام ١٤١٦
تدريب الراوي	السيوطي	بيروت ١٣٩٩
تذكرة الحفاظ	الذهبي	حيدر آباد الدكن ١٣٩٥

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	ابن عبد البر	المغرب
تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة	ابن عراق الكناني	القاهرة ١٣٧٨
تيسير الوصول إلى جامع الأصول	ابن الديبع الشيباني	القاهرة ١٣٤٦
تنوير الحوالك شرح موطأ مالك	السيوطي	بيروت ١٤٠٨
جامع الأحاديث	السيوطي	بيروت ١٩٨٠
جامع الأصول من أحاديث الرسول	ابن الأثير الجزري	دمشق ١٣٨٩
الجامع الصحيح	مسلم بن الحجاج	القاهرة ١٩٥٥
الجامع الصغير	السيوطي	القاهرة ١٣٧٣
الجامع الكبير	السيوطي	القاهرة
الجرح والتعديل	ابن أبي حاتم	حيدر آباد الدكن ١٣٧١
حجية السنة	عبد الغني عبد الخالق	المنصورة ١٤١٣
الحديث النبوي في النحو العربي	الدكتور محمود فجال	أبها ١٤٠٤
دلائل التوثيق المبكر للسنة	الدكتور امتياز أحمد	المنصورة ١٤١٠
الرواة الثقات المتكلم فيهم	محمد بن أحمد الذهبي	بيروت ١٤١٢
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	محمد ناصر الدين الألباني	بيروت ١٤٠٥
سنن الترمذي	محمد بن عيسى الترمذي	حمص
سنن الدارقطني	علي بن عمر الدارقطني	المدينة المنورة ١٣٨٦
سنن الدارمي	عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي	القاهرة
سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث	القاهرة ١٣٦٩
سنن ابن ماجه	محمد بن يزيد بن ماجه	القاهرة ١٣٧٢
سنن النسائي	عبد الرحمن بن شعيب النسائي	القاهرة ١٣٨٣
صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري	بيروت ١٤٠١

صحيح مسلم بشرح النووي	محيي الدين يحيى بن شرف النووي	القاهرة ١٤١٥
الصحيح المسند من أسباب النزول	مقبل بن هادي الوادعي	القاهرة ١٤٠٨
عمدة القاري شرح البخاري	بدر الدين العيني	القاهرة ١٣٩٢
غريب الحديث	القاسم بن سلام	حيدر آباد الدكن١٣٨٤
الفائق في غريب الحديث	الزمخشري	القاهرة ١٩٧١
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة	محمد بن علي الشوكاني	بيروت ١٣٩٢
كشف الخفاء عما اشتهر من الأحاديث	إسماعيل العجلوني	القاهرة ١٣٥١
الكفاية في علم الرواية	الخطيب البغدادي	القاهرة د . ت
كنز العمال	علي بن حسام الدين المتقي	بيروت ١٤٠٥
اللؤلؤ والمرجان	محمد فؤاد عبد الباقي	القاهرة ١٤٠٧
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	نور الدين الهيثمي	القاهرة ١٣٥٣
مجموعة الوثائق السياسية	الدكتور محمد حميد الله	بيروت ١٣٨٩
المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيسابوري	بيروت ١٩٩٠
مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل	بيروت ١٣٨٩
المسوى شرح الموطأ	وحيّ الله الدهلوي	بيروت ١٤٠٣
المصنوع في معرفة الحديث الموضوع	علي القاري	بيروت ١٣٩٨
المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية	ابن حجر العسقلاني	الكويت ١٣٩٢
المعجم الكبير	سليمان بن أحمد الطبراني	بغداد ١٩٨٣
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث	الدكتور ونسنك وصحبه	ليدن ١٩٣٦
مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح	عثمان بن عبد الرحمن	القاهرة ١٩٧٤

مكاتيب الرسول	علي بن حسين علي الأحمدي	بيروت
منهل الواردين شرح رياض الصالحين	محيي الدين يحيى بن شرف النووي	بيروت ١٩٧٧
الموطأ	مالك بن أنس	القاهرة ١٣٧٠
النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير الجزري	القاهرة
نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار	محمد بن علي الشوكاني	القاهرة

مصنفات العقائد والأُصول :

الإحكام في أصول الأحكام	علي بن أحمد بن حزم	القاهرة ١٣٥٤
الإحكام في أصول الأحكام	علي بن محمد الآمدي	القاهرة ١٣٣٢
إحياء علوم الدين	محمد بن محمد الغزالي	بيروت
الإعلام بمناقب الإسلام	محمد بن يوسف العامري	القاهرة ١٩٦٧
الأُمّ	محمد بن إدريس الشافعي	دمشق ١٤١٦
الإيمان	ابن تيمية	بيروت
بدائع الفوائد	ابن قيم الجوزية	بيروت
بداية المجتهد	محمد بن أحمد بن رشد	القاهرة ١٣٧
تهافت الفلاسفة	محمد بن محمد الغزالي	القاهرة ١٩٥٥
التوحيد وإثبات الصفات	ابن خزيمة	القاهرة
درء تعارض العقل والنقل	ابن تيمية	الرياض
الرسالة	محمد بن إدريس الشافعي	القاهرة ١٩٦٩
زاد المعاد	ابن قيم الجوزية	القاهرة ١٣٧٠
الشامل في أُصول الدين	عبد الملك بن عبد الله الجويني	الإسكندرية ١٩٦٩
غاية المرام في علم الكلام	علي بن محمد الآمدي	القاهرة ١٣٩١
الفرْق بين الفِرَق	عبد القادر بن طاهر البغدادي	القاهرة

قواعد الأحكام في مصالح الأنام	العز عبد العزيز بن عبد السلام	القاهرة
المبسوط	محمد بن أحمد السرخسي	القاهرة ١٣٢٤
المحلّى	علي بن أحمد بن حزم	القاهرة ١٣٤٧
الملل والنحل	محمد بن عبد الكريم الشهرستاني	القاهرة ١٣٨٧
المستصفى	محمد بن محمد الغزالي	القاهرة ١٣٥٦
الموافقات	إبراهيم بن موسى الشاطبي	القاهرة ١٩٧٠

مصنفات اللغة :

الإبدال	أبو الطيب اللغوي	دمشق
الإتباع والمزاوجة	أحمد بن فارس	القاهرة ١٩٤٧
أساس البلاغة	الزمخشري	القاهرة ١٣٧٢
الاشتقاق	ابن دريد	القاهرة ١٣٧٨
إصلاح المنطق	ابن السكيت	القاهرة ١٩٤٩
الأضداد	ابن الأنباري	القاهرة ١٣٢٥
الأضداد في كلام العرب	أبو الطيب اللغوي	دمشق ١٣٨٢
الإفصاح	حسين يوسف موسى والصعيدي	القاهرة ١٩٦٧
الألفاظ	ابن السكيت	بيروت ١٩٩٨
البارع في اللغة	أبو علي القالي	لندن ١٩٣٣
تاج العروس من جواهر القاموس	السيد مرتضى الزَّبيدي	القاهرة ١٣٠٧
تاج اللغة وصحاح العربية	إسماعيل بن حماد الجوهري	بيروت ١٣٧٦
تحرير التنبيه	محيي الدين النووي	دمشق ١٤١٠
التكملة والذيل والصلة للصحاح	الحسن بن محمد الصغاني	القاهرة ١٩٧٠
التلخيص في معرفة الأسماء الأشياء	أبو هلال العسكري	دمشق ١٣٨٩
تهذيب الأسماء واللغات	محيي الدين بن شرف النووي	بيروت

تهذيب إصلاح المنطق	الخطيب التبريزي	بيروت ١٩٩٩
تهذيب الألفاظ	الخطيب التبريزي	بيروت ١٤٢٤
تهذيب اللغة	محمد بن أحمد الأزهري	القاهرة ١٣٨٤
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	محمد بن إسماعيل الثعالبي	القاهرة ١٣٨٤
الصحاح في اللغة والعلوم	نديم وأُسامة المرعشلي	بيروت ١٩٧٥
العين	الخليل بن أحمد الفراهيدي	بيروت ١٩٨٨
الفروق في اللغة	أبو هلال العسكري	بيروت ١٩٧٧
الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي	محمد سليمان الأشقر	بيروت ١٩٧٢
فقه اللغة وسر العربية	أبو منصور الثعالبي	بيروت ١٤١٣
القاموس المحيط	محمد بن يعقوب الفيروز آبادي	بيروت ١٩٨٧
كتاب الجيم	أبو عمرو الشيباني	القاهرة ١٩٧٤
لسان العرب	محمد بن مكرم بن منظور	القاهرة ١٣٠٨
لغة العرب	جورج عبد المسيح	بيروت ١٩٩٣
متن اللغة	أحمد رضا	بيروت ١٩٦٠
مجمل اللغة	أحمد بن فارس	الكويت ١٤٠٥
المحكم والمحيط الأعظم	علي بن إسماعيل بن سيده	القاهرة ١٩٥٨
محيط المحيط	بطرس البستاني	بيروت ١٩٨٧
مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي	بيروت ١٩٦٧
المخصَّص	علي بن إسماعيل بن سيده	القاهرة ١٣٢١
مدّ القاموس	أدور لين	بيروت ١٩٦٨
المعجم الكبير	مجمع اللغة العربية	القاهرة ١٩٧٠
المرصع في الآباء والأُمهات . . والذوات	ابن الأثير الجزري	بغداد ١٣٩١
المزهر في علوم اللغة وأنواعها	السيوطي	القاهرة
المصباح المنير	أحمد بن محمد الفيومي	بيروت ١٣٩٨

معجم البلدان	ياقوت الحموي	بيروت ١٣٩٧
المعجم العربي	الدكتور حسين نصار	القاهرة ١٩٥٦
معجم فصاح العامية	هشام النحاس	بيروت ١٩٧٧
معجم قبائل العرب	عمر رضا كحالة	بيروت ١٣٨٨
معجم ما استعجم في أسماء البلاد	أبو عبيد البكري	بيروت ١٩٨٣
معجم المذكر والمؤنث	الدكتور محمد أحمد قاسم	بيروت ١٩٨٩
معجم المعاجم	أحمد الشرقاوي إقبال	بيروت ١٤٠٧
المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية	إميل بديع يعقوب	بيروت ١٤١٧
معجم مقاييس اللغة	أحمد بن فارس	القاهرة ١٣٦٦
المعجم الوسيط	الدكتور إبراهيم أنيس وصحبه	بيروت
المعرَّب	موهوب بن أحمد الجواليقي	القاهرة ١٣٨٩
المُغرب في ترتيب المُعرب	ناصر الدين المطرّزي	حلب ١٣٩٩
النوادر	أبو مسحل الأعرابي	دمشق ١٩٦١

مصنفات الاصطلاح :

اصطلاحات الصوفية	عبد الرزاق بن محمد الكاشي	كلكتة ١٨٤٥
التعريفات	علي بن محمد الجرجاني	بيروت ١٩٦٩
التوقيف على مهمات التعريف	محمد عبد الرؤوف المُناوي	دمشق ١٤١٠
جامع . . . اصطلاحات العلوم والفنون	عبد النبي بن عبد النبي نكري	حيدرآباد الدكن ١٣٢٩
الخليل معجم مصطلحات النحو العربي	جورج عبد المسيح وهاني تابري	بيروت ١٤١٠
الشامل . علوم العربية ومصطلحاتها	محمد سعيد إسبر وجنيدي وبلال	بيروت ١٩٨١
العلامات والرموز عند المؤلفين العرب	حسين علي محفوظ	بغداد ١٩٦٤

قاموس المصطلحات الاجتماعية	وزارة الشؤون الاجتماعية	القاهرة ١٩٦٠
قاموس المصطلحات الصوفية	فؤاد كامل	بيروت ١٩٩٣
كشاف اصطلاحات الفنون	محمد بن علي التهانوي	بيروت ١٩٦٦
الكليات	أيوب بن يوسف الكفوي	دمشق ١٩٨١
المصطلح معجم العلوم الكمبيوترية	إيلي وديع حداد	بيروت
مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين	الدكتور رفيق العجم	بيروت
مصطلحات علم التاريخ	الدكتور رفيق العجم	بيروت
مصطلحات علم الكلام الإسلامي	الدكتور سميح دغيم	بيروت ١٩٥٥
المصطلحات العلمية في اللغة العربية	مصطفى الشهابي	دمشق ١٩٦٥
مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية	الدكتور سميح دغيم	بيروت
مصطلحات علم المنطق عند العرب	الدكتور فريد جبر وصحبه	بيروت
مصطلحات الفلسفة عند العرب	الدكتور جيرار جهامي	بيروت
المصطلح النقدي	عبد الواحد لؤلؤة	بيروت ١٩٧٩
المعجم الأدبي	عبد النور جبور	بيروت ١٩٧٩
معجم الألفاظ الفلسفية	الدكتور جميل صليبا	دمشق
المعجمات العربية	وجدي رزق غالي وحسين نصار	القاهرة ١٣٩١
معجم علم اللغة	محمد الخولي	بيروت
معجم الغزالي : مصطلحاته في آثاره	الأب فريد جبر	بيروت ١٩٧٠
المعجم الفلسفي	الدكتور جميل صليبا	بيروت١٩٧١و١٩٧٣
معجم المصطلحات البلاغية وتطورها	الدكتور أحمد مطلوب	بيروت
معجم المصطلحات الجغرافية	يوسف توني	القاهرة ١٩٦٤

معجم المصطلحات الحديثية	الدكتور نور الدين العتر	دمشق ١٩٧٧
معجم المصطلحات الصوفية	الدكتور أنور فؤاد أبو خزام	بيروت
معجم المصطلحات الطبية	الدكتور هاشم الوتري ومعمر خالد	بغداد ١٩٤٠
معجم مصطلحات العروض	محمد الشوابكة	بيروت ١٩٩١
معجم المصطلحات العسكرية	محمود شيت خطاب	بيروت ١٩٦٦
معجم مصطلحات علم الاجتماع	الدكتور عزة حجازي وأحمد زكي	الجزائر ١٩٧٦
معجم المصطلحات العلمية العربية		دمشق ١٩٩٠
معجم مصطلحات العلوم عند العرب	الدكتور جيرار جهامي	بيروت
معجم المصطلحات الفلسفية	عبده الحلو	بيروت
معجم المصطلحات الفنية	نخبة من الأساتذة	دمشق ١٩٦٢
معجم المصطلحات في اللغة والأدب	مجدي وهبة وكامل المهندس	بيروت ١٩٨٤
معجم المصطلحات في النقد الحديث	حمادي صمودي	تونس ١٩٧٥
معجم المصطلحات لعلم اللغة العام	الدكتور محمد رشاد الحمزاوي	تونس ١٩٨٧
معجم المصطلحات النحوية والصرفية	الدكتور محمد سمير اللبدي	بيروت ١٤٠٦
معجم مصطلحات النحو . . والقافية	محمد إبراهيم عبادة	القاهرة
معجم مصطلحات النقد العربي القديم	الدكتور أحمد مطلوب	بيروت
معجم الموسيقى العربية	حسين علي محفوظ	بغداد ١٩٦٤
معجم النحو	عبد الغني الدقر	دمشق ١٣٩٥

مفاتيح العلوم	محمد بن أحمد الخوارزمي	بيروت ١٤٠٤
مفتاح العلوم	يوسف بن محمد السكاكي	بيروت ١٤٠٣

مصنفات النحو :

ارتشاف الضرب من لسان العرب	أبو حيان النحوي	القاهرة ١٩٨٤
أسرار العربية	أبو البركات الأنباري	دمشق ١٩٥٧
الأشباه والنظائر	السيوطي	حيدر آباد ١٣٦٠
أصول النحو	ابن السراج	بيروت ١٩٨٥
إعراب الجمل وأشباه الجمل	فخر الدين قباوة	حلب ١٤٠٩
إعراب القرآن	أبو جعفر النحاس	بيروت ١٩٨٥
الاقتراح في أصول النحو وجدله	السيوطي	مطبعة الثغر ١٤٠٩
الإنصاف في مسائل الخلاف	أبو البركات الأنباري	القاهرة ١٩٦١
الإيضاح في علل النحو	أبو إسحاق الزجاجي	القاهرة ١٩٥٩
البسيط في شرح الجمل	ابن أبي الربيع	بيروت ١٩٨٦
البيان في في غريب إعراب القرآن	أبو البركات الأنباري	القاهرة ١٩٦٩
تاريخ النحو وأصوله	عبد الحميدالسيد طالب	القاهرة١٩٧٧
التبصرة والتذكرة	ابن إسحاق الصيمري	دمشق ١٩٨٢
التبيين عن مذاهب النحويين	العكبري	بيروت ١٩٨٦
التذييل والتكميل في شرح التسهيل	أبو حيان النحوي	دمشق ١٤١٨
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد	ابن مالك	القاهرة ١٩٨٦
التصريح على التوضيح	خالد الأزهري	القاهرة ١٩٥٤
تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد	محمد بدر الدين الدماميني	الرياض ١٤٠٣
التكملة	أبو علي الفارسي	الرياض ١٩٨١
جامع الدروس العربية	مصطفى الغلاييني	بيروت ١٣٧١

الجمل في النحو	الخليل بن أحمد الفراهيدي	دمشق ١٤١٦
الجمل في النحو	أبو إسحاق الزجاجي	بيروت ١٤٠٤
الجنى الداني	الحسن بن قاسم المرادي	بيروت ١٤١٣
جواهر الأدب معجم الحروف العربية	علاء الدين الإربلي	بيروت ١٤١٢
حاشية الخضري على ابن عقيل	محمد الخضري	القاهرة ١٩٢٤
حاشية الصبان على شرح الأشموني	محمد بن علي الصبان	القاهرة
الحجة للقراء السبعة	أبو علي الفارسي	دمشق ١٤٠٤
الحدود في النحو	علي بن عيسى الرماني	بغداد ١٣٨٨
الخصائص	ابن جني	القاهرة ١٩٥٦
خزانة الأدب	عبد القادر البغدادي	القاهرة ١٣٨٧
الدرر اللوامع على همع الهوامع	أحمد بن الأمين الشنقيطي	بيروت ١٣٩٣
دقائق التصريف	أبو القاسم المؤدب	بغداد ١٩٨٧
الرد على النحاة	ابن مضاء الأندلسي	القاهرة ١٣٩٩
رصف المباني في شرح حروف المعاني	أبو جعفر المالَقي	دمشق ١٣٩٥
سر صناعة الإعراب	ابن جني	دمشق ١٩٨٥
شرح ألفية ابن مالك	بدر الدين بن الناظم	بيروت
شرح الألفية	الحسن بن قاسم المرادي	بيروت ٢٠٠٣
شرح التسهيل	ابن مالك وابنه	القاهرة ١٩٩٠
شرح جمل الزجاجي	ابن عصفور	بغداد ١٤٠٠
شرح الشافية	الرضي الأستراباذي	القاهرة

شرح الكافية	الرضي الأستراباذي	القاهرة ١٨٠٦
شرح الكافية الشافية	ابن مالك	دمشق١٩٨٢
شرح كتاب سيبويه	أبو سعيد السيرافي	القاهرة ١٩٨٦
شرح المفصل	ابن يعيش	القاهرة
شرح الملوكي في التصريف	ابن يعيش	بيروت ١٤٠٨
شرح المقدمة الجزولية الكبير	أبو علي الشَّلَوبين	بيروت ١٤١٤
شرح الوافية نظم الكافية	ابن الحاجب	النجف ١٩٨٠
شواهد التوضيح والتصحيح	ابن مالك	القاهرة ١٩٥٧
العوامل المائة النحوية	خالد الأزهري	القاهرة ١٩٨٨
الكتاب	سيبويه	القاهرة ١٩٦٦
كتاب الأُزهية في علم الحروف	علي بن محمد الهروي	دمشق ١٣٩١
اللباب في علل البناء والإعراب	العكبري	دمشق ١٩٩٥
المدارس النحوية	الدكتور شوقي ضيف	القاهرة ١٩٦٨
المرتجل	ابن الخشاب	دمشق ١٩٧٢
المسائل البصريات	أبو علي الفارسي	القاهرة ١٤٠٥
المسائل العسكرية	أبو علي الفارسي	القاهرة ١٤٠٣
المسائل العضديات	أبو علي الفارسي	بيروت ١٤٠٥
المسائل المشكلة	أبو علي الفارسي	بغداد ١٩٨٣
معجم الشوارد النحوية	محمد محمد حسن شُرّاب	دمشق ١٤١١
معجم شوارد النحو	رفيق فاخوري	حمص ١٩٧١
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب	ابن هشام	دمشق ١٩٦٤
المفصل في النحو	الزمخشري	كريستيانية ١٨٧٩
المقتصد في شرح الإيضاح	عبد القاهر الجرجاني	بغداد ١٩٨٢

المقتضب	محمد بن يزيد المبرد	القاهرة ١٣٨٥
الممتع الكبير في التصريف	ابن عصفور	بيروت ١٩٩٦
المنصف في شرح التصريف	ابن جني	القاهرة ١٣٧٣
نتائج الفكر في النحو	أبو القاسم السهيلي	بنغازي ١٣٩٨
النحو الوافي	عباس حسن	بيروت ١٩٨٠
موسوعة النحو والصرف والإعراب	الدكتور إميل بديع يعقوب	بيروت ١٩٨٨
نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة	محمد الطنطاوي	القاهرة ١٣٨٩
همع الهوامع في شرح جمع الجوامع	السيوطي	الكويت ١٣٩٤

مصنفات الأدب :

الإبانة في اللغة العربية	سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري	عمّان ١٤٢٠
أدب الكاتب	ابن قتيبة	القاهرة ١٣٨٢
الأمالي	أبو علي القالي	القاهرة ١٩٢٦
الأمالي الشجرية	ابن الشجري	بيروت
أمالي المرتضى	الشريف المرتضى	بيروت ١٣٨٧
الإمتاع والمؤانسة	أبو حيان التوحيدي	القاهرة ١٩٣٩
بدائع البدائه	علي بن ظافر الأزدي	القاهرة ١٩٧٠
البصائر والذخائر	أبو حيان التوحيدي	القاهرة ١٩٥٣
البيان والتبيين	عمرو بن بحر الجاحظ	القاهرة ١٩٦٨
بهجة المَجالس وأُنس المَجالس	عبد الله بن عبد البر النمري	القاهرة ١٩٦٢
جمهرة الأمثال	أبو هلال العسكري	بيروت ١٤٠٨
الحيوان	عمرو بن بحر الجاحظ	القاهرة ١٩٣٨
رسائل الجاحظ	عمرو بن بحر الجاحظ	القاهرة ١٣٨٤
الزاهر في معاني كلمات الناس	محمد بن القاسم الأنباري	بغداد ١٣٩٩

زهر الآداب	إبراهيم بن علي الحصري	بيروت ١٩٧٢
زهر الأكم في الأمثال والحكم	الحسن اليوسي	الدار البيضاء ١٤٠١
صبح الأعشى	أحمد بن علي القلقشندي	القاهرة ١٩١٠
العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي	القاهرة ١٩٤٠
عيون الأخبار	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٤
الغيث المسجم في شرح لامية العجم	صلاح الدين الصفدي	بيروت ١٣٩٥
الكامل	محمد بن يزيد المبرد	القاهرة ١٩٥٦
الكشكول	محمد بن الحسين العاملي	القاهرة ١٣٨٠
مجمع الأمثال	أحمد بن محمد الميداني	القاهرة ١٣٧١
محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني	بيروت ١٩٦١
المخلاة	محمد بن الحسين العاملي	القاهرة ١٣٧٧
المستطرف في كل فن مستظرف	محمد بن أحمد الأبشيهي	القاهرة ١٩١١
المستقصى في أمثال العرب	الزمخشري	بيروت ١٣٩٧
المصون في الأدب	الحسن بن عبد الله العسكري	الكويت ١٩٦٠
المقابسات	أبو حيان التوحيدي	القاهرة ١٩٢٩
نفح الطيب	أحمد بن محمد المقّري	بيروت ١٩٦٨
نهاية الأرب في فنون الأدب	شهاب الدين النويري	القاهرة ١٩٢٣
النوادر	أبو زيد الأنصاري	بيروت ١٤٠١

مصنفات الشعر :

الدواوين وأشعار الشعراء . . .

الأشباه والنظائر حماسة الخالديين	محمد وسعيد الخالديان	القاهرة ١٩٥٨
الأصمعيات	أبو سعيد الأصمعي	القاهرة ١٩٥٥
الإماء الشواعر	جليل العطية	بيروت ١٤٠٤

الأنوار ومحاسن الأشعار	علي بن محمد العدوي	الكويت ١٣٩٧
التذكرة السعدية في الأشعار العربية	محمد بن عبد الرحمن العبيدي	بغداد ١٣٩١
جمهرة أشعار العرب	أبو زيد القرشي	الرياض ١٤٠١
حماسة ابن الشجري	هبة الله بن علي الشجري	دمشق ١٩٧٠
حماسة أبي تمام	حبيب بن أوس أبو تمام	القاهرة ١٩٥٣
حماسة البحتري	الوليد بن عبيد البحتري	القاهرة ١٩٢٩
الحماسة البصرية	علي بن الفرج البصري	حيدر آباد الدكن ١٩٦٤
حماسة الظرفاء	عبد الله بن محمد الزوزني	بغداد ١٩٧٨
الحماسة المغربية	أبو العباس الجراوي	دمشق ١٤١١
دواوين الشعراء والمستدركات	الدكتور محمد جبار المعيد وصاحبه	القاهرة ١٤١٩
ديوان المعاني	أبو هلال العسكري	القاهرة
ديوان المفضليات	القاسم بن محمد الأنباري	بيروت ١٩٢٠
الزهرة	أبو بكر الأصفهاني	بيروت ١٣٥١
شرح اختيارات المفضل	الخطيب التبريزي	دمشق ١٤٢٢
شرح أشعار الهذليين	أبو سعيد السكري	القاهرة ١٩٦٤
شرح حماسة أبي تمام	الأعلم الشنتمري	دمشق١٤١٣
شرح ديوان الحماسة	أحمد بن محمد المرزوقي	القاهرة ١٣٨٧
شرح ديوان الحماسة	الخطيب التبريزي	القاهرة ١٣٥٧
شرح القصائد السبع الطوال	محمد بن القاسم الأنباري	القاهرة ١٩٩٦
شرح المعلقات العشر	الخطيب التبريزي	دمشق ١٩٩٧
شعراء أمويون	الدكتور نوري حمودي القيسي	بغداد ١٣٩٦
شعر تميم في العصر الجاهلي	الدكتور صلاح كزارة	إرلانجن ١٩٨٢

الفاضل في اللغة والأدب	محمد بن يزيد المبرد	القاهرة ١٣٧٥
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال	أبو عبيد البكري	بيروت ١٤٠٥
قصائد جاهلية نادرة	الدكتور يحيى الجبوري	بيروت ١٤٠٢
كتاب الاختيارين	الأخفش الصغير	دمشق ٢٠٠٠
كتاب الأمالي	محمد بن العباس اليزيدي	حيدر آباد الدكن ١٣٦٧
كتاب المعاني الكبير	ابن قتيبة	بيروت ١٣٩١
مجموعة المعاني	لم يعلم مؤلفه	القاهرة ١٣٠١
مختارات ابن الشجري	هبة الله بن علي الشجري	القاهرة ١٣٠٦
معجم شواهد العربية	عبد السلام هارون	القاهرة ١٣٩٢
معجم شواهد النحو الشعرية	حنا جميل حداد	الرياض ١٤٠٤
المعجم المفصل في شواهد النحو	الدكتور إميل بديع يعقوب	بيروت ١٩٩٢
منتهى الطلب من أشعار العرب	محمد بن المبارك	بغداد ١٩٨٠
نقائض جرير والأخطل	أبو تمام	بيروت ١٩٢٢
نقائض جرير والفرزدق	أبو عبيدة	ليدن ١٩٠٥
الوحشيات	أبوتمام	القاهرة ١٩٦٣

مصنفات البلاغة والنقد :

أحكام صنعة الكلام	محمد الكلاعي	بيروت ١٩٦٦
أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجاني	وجدة ١٤١٢
إعجاز القرآن	محمد الباقلاني	القاهرة ١٩٥٤
أنوار الربيع في أنواع البديع	علي بن معصوم	بغداد ١٩٦٨
الإيضاح في علوم البلاغة	الخطيب القزويني	القاهرة ١٩٣٥
البديع	ابن المعتز	بغداد ١٣٩٩
بديع القرآن	ابن أبي الإصبع	القاهرة ١٩٥٧

البلاغة تطور وتاريخ	الدكتور شوقي ضيف	القاهرة ١٩٦٥
البلاغة العربية في ثوبها الجديد	بكري الشيخ أمين	بيروت ١٩٨٧
تاريخ النقد الأدبي عند العرب	الدكتور إحسان عباس	بيروت ١٩٧١
التفكير النقدي عند العرب	الدكتور عيسى العاكوب	دمشق ١٤١٧
التلخيص في علوم البلاغة	الخطيب القزويني	القاهرة ١٩٦٥
جواهر البلاغة	أحمد الهاشمي	القاهرة ١٩٦٣
خزانة الأدب ونهاية الأرب	ابن حجة الحموي	القاهرة ١٢٧٣
سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجي	القاهرة ١٩٣٢
شرح التلخيص المطول	التفتازاني	إستنبول ١٣٣٠
الطراز	يحيى بن حمزة العلوي	بيروت ١٩٨٠
العمدة في محاسن الشعر وآدابه	ابن رشيق القيرواني	بيروت ١٤٠٨
عيار الشعر	ابن طبابا العلوي	القاهرة ١٩٥٦
كتاب الصناعتين	أبو هلال العسكري	بيروت ١٩٨١
معاهد التنصيص	عبد الرحيم العباسي	القاهرة ١٩٤٧
المثل السائر	ضياء الدين بن الأثير	القاهرة ١٣٨٠
مفتاح العلوم	السكاكي	بيروت ١٩٨٣
المفصل في علوم البلاغة العربية	الدكتور عيسى العاكوب	حلب ١٤٢١
المنصف في نقد الشعر	الحسن بن علي التنيسي	دمشق ١٤٠٢
منهج البلغاء وسراج الأدباء	حازم القرطاجني	تونس ١٩٦٦
الموازنة بين الطائيين	الآمدي	القاهرة ١٩٦٥
الموشح	المرزباني	القاهرة ١٩٦٥
نقد الشعر	قدامة بن جعفر	ليدن ١٩٥٦
نقد النثر	قدامة بن جعفر	القاهرة ١٩٣٣
نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز	الفخر الرازي	بيروت ١٩٨٥

الوساطة بين المتنبي وخصومه	علي بن عبد العزيز الجرجاني	القاهرة ١٩٦٦

مصنفات العروض والقافية :

إحياء العروض	عز الدين التنوخي	دمشق ١٩٤٦
الإرشاد الشافي على متن الكافي	محمد الدمنهوري	القاهرة ١٣٥٣
الإقناع في العروض وتخريج القوافي	الصاحب بن عباد	بغداد ١٣٧٩
أوزان الشعر وقوافيه	جميل سلطان	دمشق ١٩٣٧
تبسيط العروض	عمر يحيى وشوقي الكيلاني	دمشق ١٩٤٩
الرسالة الشافية	بكري رجب	حلب ١٣٧٨
سفينة الشعراء	محمود فاخوري	حلب ١٣٩٤
شرح تحفة الخليل	عبد الحميد الراضي	بغداد١٩٦٨
شرح القصيدة الخزرجية	زكريا الأنصاري	القاهرة ١٣٠٣
العروض الواضح	ممدوح حقي	بيروت ١٩٦٤
العروض والقافية	محمد العلمي	الدار البيضاء ١٤٠٤
العيون الغامزة على خبايا الرامزة	بدر الدين الدماميني	القاهرة ١٣٢٣
القسطاس في علم العروض	الزمخشري	حلب ١٩٧٧
القوافي	عبد الباقي التنوحي	بيروت ١٣٨٩
كتاب العروض	ابن جني	الكويت ١٤٠٧
كتاب القوافي	الأخفش الأوسط	بيروت ١٩٧٤
مرآة العروض	المحرزي	القاهرة ١٩١٧
معالم العروض	أحمد راتب النفاخ	دمشق ١٩٥٤
المعيار في أوزان الأشعار	ابن السراج الشنتريني	بيروت ١٣٨٨
ميزان الذهب	أحمد الهاشمي	القاهرة ١٩٦٦
الوافي في العروض والقوافي	الخطيب التبريزي	دمشق ١٣٩٠

مصنفات التاريخ :

أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين	الدكتور عبد السلام الترمانيني	دمشق ١٤٠٨
الأخبار الطوال	أبو حنيفة الدِّينَوَري أحمد بن داود	القاهرة ١٩٦٠
الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى	الناصري السلاوي	الدار البيضاء ١٩٥٤
أطلس تاريخ الإسلام	الدكتور حسين مؤنس	القاهرة ١٤٠٧
الإكليل في أنساب حِمْيَر وأيام ملوكها	الحسن ين أحمد الهمداني	برلين ١٩٤٣
الأنساب	سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري	عُمان ١٤١٠
الأنساب	عبد الكريم بن محدد السمعاني	بيروت ١٤١٩
البداية والنهاية	إسماعيل بن عمر بن كثير	القاهرة ١٩٦٤
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	محمد شكري الآلوسي	القاهرة ١٣٤
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب	محمد بن سعيد بن عذاري	بيروت ١٩٦٧
تاريخ الخلفاء	السيوطي	القاهرة ١٣٨٣
تاريخ الرسل والملوك	محمد بن جرير الطبري	القاهرة ١٩٦٠
تاريخ عُمان	سرحان بن سعيد الأزكوري	عمان ١٩٨٠
التيجان في ملوك حِميَر	وهب بن منبه	حيدر آباد الدكن١٣٤٣
جمهرة أنساب العرب	ابن حزم علي بن أحمد	القاهرة ١٣٨٢
جمهرة النسب لابن الكلبي	ياقوت الحموي	دمشق ١٤٠٦
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة	السيوطي	القاهرة ١٣٨٧
السير والمغازي	محمد بن إسحاق	دمشق ١٣٩٨
سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام	القاهرة ١٩٣٧

السيرة النبوية	إسماعيل بن عمر بن كثير	بيروت ١٩٨٣
العبر وديوان المبتدأ والخبر . . الأكبر	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون	بيروت ١٩٤٧
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين	محمد بن أحمد الحسني المكي	القاهرة ١٣٨٨
الكامل في التاريخ	ابن الأثير الجزري	بيروت ١٩٦٥
مروج الذهب ومعادن الجوهر	علي بن الحسين المسعودي	القاهرة ١٩٥٨
المعجب في أخبار المغرب	عبد الواحد بن علي المراكشي	القاهرة١٩٤٩
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة	زامباور	القاهرة ١٩٥١
مغازي رسول الله	محمد بن عمر الواقدي	القاهرة ١٩٦٤
المُغرب في حُلَى المَغرب	أبو محمد الحجازي وصحبه	القاهرة ١٩٥٥
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام	الدكتور جواد علي	بيروت ١٩٦٨
المقتبس من أنباء أهل الأندلس	ابن حيان القرطبي	بيروت ١٩٦٣ـ١٩٦٥

مصنفات التراجم :

أخبار القضاة	وكيع محمد بن خلف	القاهرة ١٣٦٦
أخبار مكة	الأزرقي	مكة ١٣٥٢
أخبار النحويين البصريين	أبو سعيد السيرافي	القاهرة ١٤٠٥
أدباء حلب . . في القرن التاسع عشر	قسطاكي الحمصي	حلب ١٩٢٥
الاستيعاب في أسماء الأصحاب	ابن عبد البر	القاهرة ١٩٦٩
أسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الأثير الجزري	القاهرة ١٩٦٤
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	بيروت ١٤١٢
الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة	زكي محمد مجاهد	القاهرة ١٣٦٨

إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء	محمد راغب الطباخ	حلب ١٣٤٢
أعلام النساء	عمر رضا كحالة	دمشق ١٣٥٢
أعيان الشيعة	محسن أمين	دمشق ١٣٥٣
الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني	دار الكتب المصرية
إنباه الرواة على أنباه النحاة	علي بن يوسف القفطي	القاهرة ١٩٥٠
البدر الطالع في أعيان من بعد القرن السابع	محمد بن علي الشوكاني	القاهرة ١٣٤٨
بغية الطلب في تاريخ حلب	ابن العديم عمر بن هبة الله	دمشق ١٩٨٨
بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس	أحمد بن يحيى الضبي	القاهرة ١٩٦٧
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة	السيوطي	القاهرة ١٩٦٤
البلغة في تاريخ أئمة اللغة	مجد الدين الفيروز آبادي	دمشق ١٣٩٢
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	القاهرة ١٣٤٩
تاريخ دمشق	علي بن الحسن بن عساكر	دمشق . . .
تاريخ علماء الأندلس	عبد الله بن يوسف الأزدي	القاهرة ١٩٦٦
تتمة اليتيمة	أبو منصور الثعالبي	طهران ١٣٥٣
تذكرة الحفاظ	الذهبي	حيدر آباد الدكن١٣٣٣
تراجم أعيان دمشق في نصف القرن ١٤	محمد جميل الشطي	دمشق ١٩٤٨
تراجم أعيان القرن الثالث عشر	أحمد تيمور	القاهرة ١٣٥٩
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	دهلي ١٢٩٠
التكملة لكتاب الصلة	ابن الأبار	القاهرة
تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	حيدر آباد الدكن١٣٢٥

الجرح والتعديل	عبد الرحمن بن محمد الرازي	حيدر أباد الدكن١٩٥٢
الحلة السيراء	ابن الأبار محمد بن عبد الله	القاهرة ١٩٦٣
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نُعيم الأصفهاني	القاهرة ١٣٥١
حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر	عبد الرزاق البيطار	دمشق ١٩٦١
خريدة القصر وجريدة العصر	العماد الأصفهاني	القاهرة ١٩٥١
خلاصة الأثر في أعيان القرن ١١	محمد أمين المحبّي	القاهرة ١٢٨٤
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	ابن حجر العسقلاني	القاهرة ١٩٦٦
الدر المنثور في طبقات ربات الخدور	زينب فواز	القاهرة ١٣١٢
دمية القصر وعصرة أهل العصر	علي بن الحسن الباخرزي	القاهرة
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	علي بن بسام	بيروت ١٩٧٨
الذيل والتكملة	ابن عبد الملك المراكشي	بيروت ١٩٦٥
ذيل طبقات الحفاظ	السيوطي	دمشق ١٣٤٧
روض البشر في أعيان دمشق في القرن ١٣	محمد جميل الشطي	دمشق ١٩٤٦
ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا	شهاب الدين الخفاجي	القاهرة ١٩٦٦
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر	محمد خليل المرادي	القاهرة ١٣٠١
سمط اللآلي	أبو عبيد البكري	القاهرة ١٣٥٤
سير أعلام النبلاء	محمد بن أحمد الذهبي	بيروت ١٩٨١.
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٦
الصلة في تاريخ علماء الأندلس	ابن بشكوال	القاهرة ١٩٦٦

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	محمد بن عبد الرحمن السخاوي	القاهرة ١٣٥٣
طبقات الأطباء والحكماء	سليمان بن حسان الأندلسي	القاهرة ١٩٥٥
طبقات الحفاظ	السيوطي	بيروت ١٤٠٤
طبقات الحنابلة	ابن أبي يعلى	القاهرة ١٣٧١
طبقات الشافعية الكبرى	تاج الدين السبكي	القاهرة ١٣٢٤
طبقات الشعراء	ابن المعتز	القاهرة ١٩٦٨
طبقات الصوفية	أبو عبد الرحمن السلمي	القاهرة ١٣٧٢
طبقات علماء إفريقية وتونس	أبو العرب محمد بن أحمد القيرواني	تونس ١٩٦٨
طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحي	القاهرة ١٩٧٥
طبقات الفقهاء	أبو إسحاق الشيرازي	بيروت ١٤٠١
طبقات الفقهاء الحنفية	طاش كبري زاده	الموصل ١٩٥٤
طبقات فقهاء اليمن	عمر بن علي الجعدي	القاهرة ١٩٥٧
الطبقات الكبرى	محمد بن سعد البصري	القاهرة ١٩٦٩
طبقات المفسرين	السيوطي	بيروت ١٤٠٤
طبقات النحاة واللغويين	ابن قاضي شهبة	النجف ١٩٧٣
طبقات النحويين واللغويين	الزُّبيدي	القاهرة ١٩٥٤
عيون الأنباء في طبقات الأطباء	ابن أبي أصيبعة	بيروت ١٩٦٥
الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة	علي بن موسى المدلجي	القاهرة ١٩٤٥
فوات الوفيات	ابن شاكر الكتبي	بيروت ١٩٧٣
قصص الأنبياء	عبد الوهاب النجار	القاهرة ١٣٥١
كتاب الضعفاء الصغير	الإمام البخاري	الهند ١٣٢٥

كتاب الضعفاء والمتروكين	أحمد بن شعيب النسائي	الهند ١٣٢٤
كتاب الولاة وكتاب القضاة	محمد بن يوسف الكندي	بيروت ١٩٠٨
الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة	نجم الدين الغزي	بيروت ١٩٤٥
اللباب في تهذيب الأنساب	ابن الأثير الجزري	القاهرة ١٣٨٦
لسان الميزان	ابن حجر العسقلاني	حيدر آباد الدكن ١٣٣١
المحبّر	محمد بن حبيب	بيروت
المحمدون من الشعراء	علي بن يوسف القفطي	الرياض ١٣٩٠
مرآة الجنان	اليافعي	حيدر أباد الدكن ١٣٣٧
مراتب النحويين	أبو الطيب اللغوي	القاهرة ١٣٧٥
المستشرقون	نجيب العقيقي	القاهرة ١٩٤٧
المسك الأذفر في تراجم علماء القرن ١٣	محمود شكري الآلوسي	الرياض ١٤٠٢
المعارف	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٩
معجم الأدباء	ياقوت الحموي	القاهرة ١٩٣٦
معجم الأطباء	أحمد عيسى	بيروت ١٩٨٢
معجم الشعراء	المرزباني	القاهرة ١٩٦١
معجم المؤلفين السوريين في القرن ٢٠	عبد القادر عياش	دمشق ١٤٠٥
معجم المؤلفين العراقيين في القرنين ١٩ و٢٠	كوركيس عواد	بغداد ١٩٦٩
المقتطف من تاريخ اليمن	عبد الله الجرافي	القاهرة ١٣٧٠

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي	ابن تغري بردي	القاهرة ١٩٨٥
المؤتلف والمختلف	الآمدي	القاهرة ١٩٦١
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	محمد بن أحمد الذهبي	القاهرة
نزهة الألباء في طبقات الأدباء	أبو البركات الأنباري	القاهرة ١٩٦١
نشر المثاني لأهل القرن ١١ و١٢	محمد بن الطيب القادري	فاس ١٣١٥
نهر الذهب في تاريخ حلب	كامل بن حسين الغزي	حلب ١٣٤٥
نفحة الريحانة ورشحة طُلا الحانة	محمد أمين المحبّي	القاهرة ١٩٦٧
نور القبس المختصر من المقتبس	يوسف بن أحمد اليغموري	فيسبادن ١٣٨٤
نيل الوطر من رجال اليمن في القرن ١٣	محمد زبارة الحسني الصنعاني	القاهرة ١٣٤٨
هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن	أحمد فضل العبدلي	القاهرة ١٣٥١
هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين	إسماعيل باشا البغدادي	إستنبول ١٩٥١
الوافي بالوفيات	الصفدي	بيروت ١٩٦١
الوزراء والكتاب	الجهشياري	القاهرة ١٩٣٨
وفيات الأعيان	ابن خلكان	بيروت ١٩٧٢
الولاة والقضاة	محمد بن يوسف الكندي	بيروت ١٩٠٨
يتيمة الدهر	أبو منصور الثعالبي	القاهرة ١٩٥٣

* * *

هذه نبذة مصغرة جدًّا ، من ذخيرة المصادر والمراجع ، في تاريخ المكتبة العربية الإسلامية ، يستعين مبدئيًّا بها المتوجّه في عمله والمحقق والباحث والدارس . وقد أوجزنا في عرضها واكتفينا بما هو ميسِّر للمقاصد ، إذ هي بما عليه من الإيجاز

تفتح السبل للاستفادة وتوجّه إلى تناولها من خزائن الكتب . وثمة عوالم ضخمة من المصنفات المطبوعة والمخطوطة ، يتعذر على الباحث متابعتها وعرضها في مثل هذه العجالة من العمل .

ولا نبالغ إذا قلنا : إن مخزون التراث العربي الإسلامي حتى منتصف القرن الماضي يفوق ، في الكمية والكيفية ، تراث سائر الأمم في العالم ، منذ عرف الإنسان الكتابة . ومقدار ما نشر منه حتى الآن لا يجاوز نسبة ٢ % ، ومقدار المحقق من ذلك تحقيقًا علميًّا لا يتجاوز نسبة ٢ % أيضًا ، والباقي هو مطبوعات تجارية تقتضي إعادة النظر ، لتتخذ الطابع العلمي الموثق . وهذا يعني ضخامة المسؤولية وعظمة الواجبات الملقاة على كواهل العاملين في حقول التراث العظيم . نسأل الله ـ عز وجل ـ الهداية والتوفيق فيما يحب ويرضى .

* * *

الفصل الثاني

نـــوادر أبـي زيـــد

كنا قد استعرضنا ، في التمهيد لهذا الموضوع ، مستويات القراءات المعروفة لدى كافة الدارسين والمتعلمين والباحثين والمحققين والمتوجهين ، ثم لفتنا الأنظار إلى واحد منها هو مستوى التوجيه ، لأنه عمدتنا في الإجراءات المقصودة . وقد تبدى لنا أن هذا المستوى العملي من القراءات يهدف إلى غايات علمية وتطبيقية ، يمكننا حصرها فيما يلي :

١ ـ الاتصال بالنصوص التراثية مباشرة ، في مصادرها الأصلية ، للتمرس بمحتوياتها من ميادين ومناهج وأساليب ومعلومات ، ومصطلحات ومفاهيم علمية أو فنية خاصة .

٢ ـ محاولة الفهم للنصوص ، في مختلِف مستوياتها ، للتزود بالمعلومات والتجارب ، وصور التعبير والتفكير والتصوير والانفعال .

٣ ـ التدرب على حل المسائل والمشكلات والصعوبات المتناثرة ، في المصادر التراثية ، من عوالم اللغة والنحو والأدب والبلاغة والنقد ، وعلوم القرآن والحديث والفقه والشعر والتاريخ . . .

٤ ـ الممارسة العملية للاتصال بالمصادر الأصلية ، وبالمراجع العامة والخاصة ، لتملك زمام المكتبة العربية ، وتكوين مهارات في اختيار ما تقتضيه المواقف الآنية منها ، وتوظيفه في تعبيد سبل الفهم والبحث والتقويم والتوجيه للنصوص المختلفة .

٥ ـ اكتساب الخبرة الجاهزة للعمل ، في الاستخدام لأمهات كتب التراث اللغوية والنحوية والأدبية ، والعلوم الإنسانية المختلفة .

٦ ـ تنمية القدرات على اكتشاف المعلومات ، وجمع المواد المعرفية التي تزود الباحث بالأدلة والنتائج العلمية المنهجية الموثقة ، في الموضوعات المطروحة للدراسة والتقويم والتحليل والتوجيه .

ومن خلال ذلك برزت أهمية المصنفات في المكتبة العربية ، لتحقيق هذه الغايات من الغلم والعمل والتطبيق ، فكان علينا أن نستعرض أنواع المصادر والمراجع ، وعلاقة كل منها بالإجراءات التوجيهية . ومن ثَمّ توزعت بين أيدينا تلك المصنفات في الموسوعات العامة والخاصة ، وقوائم الكتب والمقالات ، والمراجع الأولى للبحث والتحقيق عامة ، والمصنفات الخاصة بكل علم أو فن معرفي .

وبذلك سردنا أشهر ما نشر حتى الآن ، من مصادر ومراجع في الميادين العلمية المختلفة ، لتكون حاضرة عناوينها وأسماء مؤلفيها ومواطن نشرها ، بين يدي الموجّه ، يسهل عليه تناولها من حقولها في المكتبات العامة والخاصة .

وقد آن لنا ، بعد هذه الخطوات التمهيدية والتثقيفية ، أن ننفذ محتوياتها ورسومها ومتطلباتها ، في نموذج تراثي معتمد ، لتحقيق ما هدفنا إليه وأصبح واجبًا علينا إجراؤه . ولذا وقع اختيارنا على كتاب قديم من تراثنا العربي ، غني بالمسائل والمشكلات والمعضلات ، وهي ما تزال في حاجة إلى الاستشراف والمعالجة والمدارسة والبحث والتحقيق والتوجيه ، رغم ما بُذل فيها من جهود مشكورة . ذلك الكتاب هو « نوادر أبي زيد » . وهذا يقتضي منا السير في الخطوات التالية :

أبو زيد الأنصاري :[(١)]

---

(١) ترجمة أبي زيد واردة في هذه المصنفات :

* أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٤١ ـ ٤٥ .
* إشارة التعيين لأبي المحاسن عبد الباقي بن علي اليماني في الورقة ١٩ ـ ٢٠ .
* الأعلام للزركلي ٣ : ١٤٤ .
* إنباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٠ ـ ٣٥ .
* البداية والنهاية لابن كثير ١٠ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
* بغية الوعاة للسيوطي ١ : ٥٨٢ ـ ٥٨٣ .
* البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز آبادي ص ٨٤ ـ ٨٥ .

....

* تاريخ أبي الفداء ٢ : ٣٠ .
* تاريخ الأدب لبروكلمان ٢ : ١٤٦ .
* تاريخ الإسلام للذهبي في وفيات ٢١٥ .
* تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩ : ٧٧ ـ ٨٠ .
* تقريب التهذيب لابن حجر ١ : ٢٩١ .
* تلخيص ابن مكتوم ٧٦ .
* تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢ : ٢٣٦ .
* تهذيب التهذيب لابن حجر ٤ : ٣ ـ ٥ .
* تهذيب اللغة للأزهري ١ : ١٢ .
* جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٧٣ .
* خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ص ١١٥ .
* دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٤٨٢ ـ ٤٨٤ .
* روضات الجنات لزين الدين الخونساري ص ٣١٢ .
* شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢ : ٣٤ ـ ٣٥ .
* طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٣٠٥ .
* الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ : ٢٧ .
* طبقات المفسرين للداودي المالكي في الورقة ٧٦ ـ ٧٧ .
* طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة في الورقة ١٤٩ ـ ١٥٠ .
* طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٦١ و٦٧ و١٠٣ و١٨٢ ـ ١٨٣ و٢٧٥ .
* العبر لابن خلدون ١ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .
* عيون التواريخ لابن شاكر ، في وفيات ٢١٥ .
* الفهرست لابن النديم ص ٦٠ .
* فهرست ما رواه ابن خير الإشبيلي ص ٤٧٠ ـ ٥٣٧ .
* الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦ : ١٤١ .
* كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ، مطبوعة دار الشروق ص ٥ ـ ٦٠ .
* مرآة الجنان لليافعي ٢ :٥٨ ـ ٥٩ .
* مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦٧ ـ ٧٠ .
* المزهر للسيوطي ٢ : ٤٠٢ و٤١٩ و٤٦١ .
* مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ٢ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ من المجلد ٤ .
* المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٥ .
* معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١ : ٢١٢ ـ ٢١٧ .
* معجم طبقات المفسرين لعبد العزيز السيروان ص ٢٣٣ .
* معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ص ٣١٢ .

هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت ـ وكنيته أيضًا : أبو زيد ـ ابن زيد الأنصاري الخزرجي ، ولد صاحبنا سنة ١٢٠ ، ودرج في أحد كتاتيب البصرة يتلقى القرآن الكريم ومبادئ علوم العربية عن المؤدبين الأخيار ، وكان معه في الكُتّاب أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢) والنضر بن شميل (ت ٢٠٣) ، ثم انتقل إلى حلقات المسجد الجامع في البصرة ليتزود بعلوم الدين واللغة والأدب عن رجالها الأثبات ، وقصد المفضل الضبي (ت ١٧٨) في الكوفة ـ وهو شيخ الكوفيين وأوثقهم رواية ـ ينهل من علمه ورواياته للأشعار والأخبار ، ويقرأ عليه القرآن ودواوين الشعراء .

ولما شب عن الطوق وأدرك أصول الرواية والدراية رحل إلى البادية ، يشافه فصحاء الأعراب في منازلهم ، وكذلك حين ورودهم إلى البصرة ، فأخذ عنهم المخزون اللغوي الحاضر والنصوص الأدبية والعلمية ، من أشعار وأراجيز ونوادر وغرائب وأنساب وأخبار .

وبعد هذه المراحل من تلقي العلوم والمعارف ، وإتقان مذاهب العرب في لغاتهم وآدابهم ، وتوجهات العلماء في الدرس والتحصيل والبحث والتأليف ، تصدر للتدريس والإملاء مما استوعب وأتقن في المسجد الجامع نفسه ، فكان له حلقات تغص بالتلاميذ وتسد السبل على السالكين أحيانًا ، لتلقِّي موارد اللغة والنحو والأخبار ومعاني القرآن والأدب بشعره ورجزه ونثره وأمثاله ، والغريب بلهجاته وشواذه ونوادره .

وعلى هذا ، فقد روى قراءة القرآن عن المفضل الضبي وأبي عمرو بن

---

* مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ١ : ١٣٢ و١٥٥ و١٦٢ و٢ : ٦٩ .
* ميزان الاعتدال للذهبي٢ : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .
* النجوم الزاهرة ٢ : ٢١٠ .
* نزهة الألباء لأبي البركات الأنباري ص ٧٧ و٩٥ ـ ٩٦ و١٢٠ و١٢٥ ـ ١٢٩ و١٣٠ و١٤٤ و١٦٥ و١٨٦ و١٨٩ و١٩٦ و١٩٩ .
* نور القبس لليغموري ص ١٠٤ ـ ١٠٨ و٢١٧ و٢٢٦ .
* هدية العارفين ١ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .
* وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٣٧٨ ـ ٣٨٠ .

العلاء وأبي السمال ، وروى عنه ذلك خلف بن هشام البزار ومحمد بن يحيى وأبو حاتم السجستاني وروح بن عبد المؤمن والحسن بن رضوان وعبد الله بن عمر الزهري وعمر بن شبة ومحمد بن إدريس الحنظلي وخليفة بن خياط وعلي بن بشر ومحمد بن هارون التمار وعبيد الله بن عمر وسليمان بن أيوب . وروى الحديث الشريف عن عبد الله بن عون وشعبة بن الحجاج وإسرائيل بن يونس والإمام أبي حنيفة وجماعة من العلماء .

ولما انتشر ذكره في الآفاق دعاه المهدي إلى بغداد ، ليحضر مجالسه مع كبار العلماء . ثم عاد إلى موطنه في البصرة ، ولبث فيها يلازم سُنّته المباركة هذه حتى شاخ وهرم ، وهو يتنقل بين منزله ومجالسه العلمية . وأخيرًا أدركته أعراض الهرم والعجز عن الحفظ والتذكر ، مع الاحتفاظ بسلامة التفكير والتقدير . فقد روي أن الرياشي جاءه يحمل كتاب « الشجر والكلأ » ، وقال له : أقرأُ عليك هذا ؟ فقال : لا تقرأه عليّ . فإني قد نسيته . ثم وافته منيته في البصرة في الخامسة والتسعين من العمر سنة ٢١٥ ، وهو يتابع تقويم الألسن .

أما كنيته أبو زيد فقد كان يخاطبه بها معاصروه ، من شيوخ وتلاميذ ، كما ذكر من ترجمه من المؤرخين . وهذا خلاف لمن زعم أنه لم يكن يُعرف بها .[١] وأوس أبوه كان من رواة الحديث الشريف ، وجدّه ثابت بن زيد من أكابر الصحابة الأجلاء ، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ وشهد معه أحدًا وما بعدها من الوقائع ، وكان أحد الستة الذين يُفتون حينذاك ، وأقرأَ الصحابةِ لكتاب الله العزيز . وقد أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في عشرة من الصحابة مع أبي موسى الأشعري إلى البصرة ، فاختط بها وأقام . ثم رجع إلى المدينة المنورة وتوفي فيها ، فوقف على قبره عمر بن الخطاب قائلاً : رحمك الله ، أبا زيد . لقد دُفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة .

منزلته في العلم والمعرفة :

أما أبو زيد نفسه فقد رأينا ما له ، من أخذ لقراءة القرآن الكريم ، ورواية

---

(١) انظر كتاب النوادر في اللغة مطبوعة دار الشروق ص ٦ .

للحديث النبوي الشريف. هذا بالإضافة إلى تلقيه اللغة والغريب والنوادر والشعر والرجز والأخبار والأنساب عن الأعراب، وعن أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي وأبي البيداء الرياحي وأبي خيرة العدوي والأخفش الكبير وأبي الدُّقيش الأعرابي ورؤبة بن العجاج وأبي مالك النمري، كما أخذ النحو عن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب، وكانت له صلات بالفراء ومكاتبات للكسائي. وقد قيل: إنه من أعيان أهل النحو واللغة والشعر ونبلائهم.

قال ثعلب في أماليه:[1] قال أبو المنهال: أئمة البصرة في النحو وكلام العرب ثلاثة: أبو عمرو بن العلاء - وهو أول من وضع أبواب النحو - ويونس بن حبيب، وأبو زيد الأنصاري. وهو أوثق هؤلاء كلهم، وأكثرهما سماعاً من فصحاء العرب. سمعته يقول: ما أقول: " قالت العرب " إلاّ إذا سمعته من عَجُزِ هوازن - وفي رواية أُخرى: إلاّ إذا سمعتُه من هؤلاء: بكر بن هوازن، وبني كلاب، وبني هلال - أو من عالية السافلة، أو من سافلة العالية. وإلاّ لم أقل: قالت العرب.

ولقد روى له بعضَ الحديث أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه. ولكن ذُكر أنه وهمَ في رواية حديث، فضعّفه ابن حِبّان، ثم رد ذلك التضعيف ابن حجر العسقلاني بما يبين أنه ثقة ثبت ضابط صدوق. وكان أصحاب الحديث قد سرقوا نعله في أحد مجالسه، فصار إذا جاء أصحاب الشعر والعربية والأخبار رمى بثيابه ولم يتفقدها، وإذا جاء أصحاب الحديث جمعها وجعلها بين يديه، وهو يقول: ضُمَّ يا ضمّام، واحذر لاتنام.

وحدثه الإمام أبو حنيفة بحديث جاء فيه: «يَدخُلُ الجنّةَ قَومٌ حُفاةٌ عُراةٌ مُنتِنينَ قد أحمَشَتهُمُ النّارُ»، فقال أبو زيد: «مُنتِنُونَ قَد مَحَشَتهُمُ النّارُ». فقال له أبو حنيفة: ممّن أنتَ؟ قال: من أهل البصرة. قال: أكُلُّ أصحابك مثلك؟ قال: أنا

---

(١) الاقتراح ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

أخسُّهم حظًّا في العلم . فقال : طوبى لقوم تكون أخسَّهم ! وكان سيبويه يحضر مجالس أبي زيد ، وهو غلام له ذؤابتان ، ثم صار سيبويه إذا روى عنه قال : أخبرني الثقة ، أو حدثني من أثق به .

كذلك كان شأنه في الرواية والحفظ والتحقيق ، كثير السماع عن العرب ، ضابطًا ثقة ثبتًا مقبول الرواية ، من جلّة أصحاب أبي عمرو بن العلاء ، يحاور الأعراب ليدرك ما يقصدون . فقد سأل أعرابيًّا مرة : ما المتكأكئ ؟ قال : المتآزّف . فسأله ثانية : ما المتآزّف ؟ قال : المحبنطئ ، يا أحمق . وتركه وانصرف . وقد أكسبه ذلك منزلة الحجة في اللغة والنوادر والغريب ، حتى قيل : إن الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ، وأبو عبيد في نصفها ، وأبو زيد في ثلثيها ، وهو أعلم من أبي عمرو في ذلك ، وأوثق من الأصمعي وأبي عبيدة ، وله من شواهد النحو ما لا يعرفه غيره .

قال التوزي له يومًا : إن أبا عمرو الشيباني يروي بيت الأعشى :

فذاكَ ، ومـا أنجَـى مِـنَ المَـوتِ رَبَّـهُ ... بِساباطَ ، حَتَّى ماتَ ، وهْوَ مُحَرزَقُ

وأنتم تقولون « مُحَزرَق » . فقال : هذه لغة نبطية ، وأم عمرو نبطية . فهو أعلم بها منّا .

وسأل الحكمُ بن قُنبُر أبا زيد عن « تعاهدتُ ضيعتي أو تعهَّدتُ » ، فقال : تعهّدتُ . لا يكون إلا ذلك . ولما جاء يونس بن حبيب سئل أيضًا فقال : تعاهدتُ . قال أبو زيد : لا . وكان عنده ستة من الأعراب الفصحاء . فقال : سل هؤلاء . فسألهم واحدًا واحدًا ، فكلهم قال : تعهَّدتُ . فقال الحكم : يا أبا زيد ، رُبَّ علم كنتَ سببَه ! ولما روي له بيت لبشار بن برد ، فيه من الغريب أوابد عزيزة قال : قاتله الله . ما أعلمه بكلام العرب ! ثم فسر ذلك على أحسن ما يكون .

وروي أن رجلاً من أهل رامَهُرمُزَ ، يقال له : علاوة ، كتب إلى الخليل بن أحمد يسأله : كيف يقال : ما أوقَفَك ههنا ؟ ومن أوقَفَك ؟ فكتب إليه في الجواب : هما واحد . ثم لقي الخليل أبا زيد وحدثه في ذلك ، فقال أبو زيد : لا ، إنما يقال : من وقَفَك ؟ وما أوقَفَك ؟ فرجع الخليل إلى قول أبي زيد .

وذكر عنده بيت الأعشى :

وسَبِيئةٍ ، مِمّا تُعَتِّقُ بابِلٌ   كَدَمِ الذَّبِيحِ ، سَلَبْتُها جِريالَها

وأن أبا سعيد الأصمعي قال في معناه : شربتها حمراءَ وبُلتها بيضاءَ ، فسلبتُها الجريالَ . فقال أبو زيد : لم يقل أبو سعيد شيئًا . قد نرى الزنجي يفعل ذلك ، يشربها حمراء ويبولها بيضاء . وإنما أراد : أخذت حُمرتها في وجنتي ، فصار لونها في خدّي . وهذا ما نراه أبدًا عند الامتحان .

كذلك كان أبو زيد في ميادين اللغة ومعانيها أيضًا . أما النحو فهو مشارك فيه ، أنحى من الأصمعي وأبي عبيدة ، و يكثر من نقل الأوابد وشواذ الصيغ والتراكيب عن القبائل المختلفة للقياس ، وربما قيل عنه : أبو زيد النحوي . فهو في هذا الميدان قليل شأن بالنسبة إلى معاصريه ، لا يضاهي أمثال الخليل وسيبويه والأخفش ، ومجاله الوسيع الفضفاض كان في الرواية والغريب والبيان ، مشهور به وهو شاب تلميذ في مجالس الشيوخ .

روي أن شُعبة بن الحجّاج (ت ١٦٠) كان يروي الحديث ، وأطال في ذلك حتى ملّ وضجر . فرمى بطرْفه إلى آخر حلقته ، فرأى أبا زيد في أُخريات الناس ، فقال : يا أبا زيد :

استَعجَمَت دارُ نُعمٍ ، ما تُكَلِّمُنا   والدّارُ ، لَو كَلَّمَتنا ، ذاتُ أخبارِ

ادنُ ـ يا أبا زيد ـ ادنُهْ . فجاءه وجعلا يتناشدان الأشعار . فقال بعض أصحاب الحديث لشعبة : يا أبا بِسطام . نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع حديث رسول الله ﷺ ، فتدعنا وتُقبل على الأشعار ! فغضب شعبة غضبًا شديدًا وقال : يا هؤلاء . أنا أعلم بالأصلح لي ، أنا ـ والله ـ في هذا أسلم مني في ذاك .

ولأبي زيد مشاركة في نظم الشعر ، من ذلك أنه هجا أبا محمد اليزيدي بقوله :

وَجهُ يَحيَى يَدعُو إلَى البَصقِ فِيهِ   غَيرَ أنّي أصُونُ ، عَنهُ ، بُصاقِي

وسأل قصابًا : بكم البُطنانُ ، ياغلام ؟ فأجابه ساخرًا : بمَصفَعان ، يا مَضرَطان . فغطّى أبو زيد رأسه وهرب ، لئلاّ يسمع الناس ما قيل فيضحكوا منه ، وأنشد :

إذا أنتَ لَم تَعفُ عَن صاحِبٍ أساءَ ، وعاقَبتَهُ ، إن عَثَرْ
بَقيتَ بِلا صاحِبٍ ، فاحتَمِلْ وكُنْ ذا وَفاءٍ ، وإن هُوْ غَدَرْ
ولا تَسألِ الحُرَّ ، عَن عَورةٍ وإن قامَ يَومًا علَيها سَتَرْ

تلك النزعة اللغوية كانت تلازمه في جميع أحواله . فلما كان في بغداد ، وأراد العودة إلى البصرة قال لابن أخيه ، وهو بجانبه : اكْتَرِ لنا . فجعل ابن أخيه ينادي : يا معشر الملاّحون ، يا معشر الملاّحون . فانتهره أبو زيد قائلاً : ويلك ، ما تقولُ ؟ فقال مداعبًا : جُعلتُ فداك . أنا مولع بالرفع لا بالنصب .

وإنما كانت هذه النزعة في نفسه قائمة ، يمارسها ويتابعها مع جميع الناس ، لأنه يعتقد أن عروبة اللسان هي سُنّة مؤكدة ، وعنصر أصيل في شعائر الإسلام . ولذلك تراه ينكر على رجل تحدث إليه بلغة هجينة ، ويعنفه بما يزجره كما يُزجر الفاسقون . فيعجب الرجل من ذلك ويقول : أتتهمني في دين الله ؟ فيجيبه أبو زيد : أتهمك في لغة رسول الله .(١)

وروي أنه لم يُرَ في ذلك العصر من لا يلحن في حديثه ، وفيما بينه وبين الناس ، غير أبي زيد وأبي سعيد المعلِّم .(٢) بل لقد لبثت مراعاة الفصحى دَيدنه ، وهو على فراش الموت . قال المازني : دخلت على أبي زيد في مرضه الذي مات فيه ، فقال : أشتكي صدري . فقلت له : امرِخْه بشمع ودُهن . فقال : ليس كذا . إنما هو : امرُخْه . فتعجبت منه ، في تلك الحال يعلّمني .

وقد عرف أنداده وتلاميذه هذه المنزلة المتميزة ، والسيرة الطيبة الظاهرة ، في اللغة والأدب والغريب . فأبو سعيد الأصمعي يقصده في مجلسه ، ويكب على رأسه يقبله قائلاً : هذا عالمنا ومعلمنا منذ خمسون سنة . ثم يدخل خلف الأحمر ، ويكب على رأسه أيضًا ويجلس وهو يقول : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين . وعندما سئل

(١) انظر المهارات اللغوية وعروبة اللسان ص ٤٤ ـ ٥٥ .
(٢) البيان والتبيين ١ : ١٦ .

أبو عبيدة والأصمعي عنه أيضًا قالا : « قل ما شئتَ من عفاف وتقوى وإسلام » ! فقد كان عفيفًا لا يقبل العطايا والمغريات . أما ما اتهم به من اعتزال فقد أنكره أبو حاتم . وقيل : إنه كان من أصحاب التشيع . بيد أن ما يشير إليه كتابه « إيمان عثمان » يحمل على النظر في هذا القول .

آثاره العلمية :

لقد خلف أبو زيد في التاريخ معالم ظاهرة بما ترك من خلفاء ومصنفات . أما تلاميذه فكثيرون جدًا ، يتعذر حصرهم لضياع النصوص الوافية . وما يقدمه التاريخ الآن هو زمرة من المشهورين أمثال : سيبويه والتمّار مقرئ البصرة وعلي بن بشر الزهري والتوزي والجرمي والحرمازي وخلف بن هشام البزار والحسن بن رضوان وخلف الأحمر والأصمعي وأبي حاتم السجستاني واللحياني والمازني وأبي عبيد وعبيد الله بن عمر وخليفة بن الخياط والجاحظ وعمر بن شبه وأبي عمر الهروي وابن نجدة الراوي وسليمان بن أيوب وأبي العيناء ومؤرج السدوسي وأبي عدنان السلمي وأبي حاتم الحنظلي وروح بن عبد المؤمن وإبراهيم بن يحيى اليزيدي ونصر بن يوسف وابن هانئ النيسابوري وابن السكيت وأبي موسى الهواري ومحمد بن سعد الكاتب وأبي حاتم الرازي ومحمد بن يحيى القطعي . وأخذ عنه الغريب أيضًا أبو نواس ودوّنه ، وكان الرياشي يحفظ كتبه كلها ويرويها عنه ، والزيادي أعلم تلاميذه بأخباره . وكل هؤلاء كانوا يجلّونه في حياته وبعد وفاته ، ويذكرونه بالحمد والثناء والإكبار .

أما مصنفاته فهي متعددة التوجهات وذات كمية وافرة ، فيها علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والأدب . وقد وردت في صفحات التاريخ عناوين شيء من تلك الآثار متداخلاً بعضها في بعض عرضًا وتسمية ، فعرفنا منها الكتب التالية :

الإبل والشاء ، والأبيات ، والأمثال ، وإيمان عثمان ، وبيوت الشعر ، وبيوتات العرب ، وتخفيف الهمز ، والتثليث ، والتضارب ، والتمر ، والجمع والتثنية ، وحيلة ومحالة ، وخلق الإنسان ، والجود والبخل ، والحلبة ، والرحل والقتب ، والسنا ، والشجر والكلأ ، والصفات ، والغرائز ، وغريب الأسماء ، والفرق ، وفعلت وأفعلت ، وقراءة أبي عمرو ، والقوس والترس ، واللامات ، واللِّبأ واللبن ،

واللغات ، ولغات القرآن ، ومسائية ، والمصادر والمطر ، ومعاني القرآن ، والمعزى ، والمقتضب ، والمكتوم ، والمنطق في اللغة ، والمياه ، ونابه ونبيه ، والنبات والشجر ، والنحو الكبير ، ونعت الغنم ، ونعت المشافهات ، والنوادر ، والهمز ، والهشاشة والبشاشة ، والهوش والنوش ، والواحد ، والوحوش .

وأكثر هذه الكتب مفقود لايعرف محتواه ونادر جدًّا ما نُقل عنه ، وأقلها مخطوط متناثر في المكتبات العامة والخاصة مجهول المكان ، وأقل القليل نشر فعرفت مضامينه وقيمته العلمية . وذلك هو :

١ ـ **كتاب اللِّبأ واللبن** : نشره الأب لويس شيخو ، في العدد الرابع من مجلة المشرق ببيروت سنة ١٩٠٠ ، ثم في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت أيضًا سنة ١٩٠٨ .

٢ ـ **كتاب المطر** : نشره المستشرق غوتليل في مجلة الاستشراق الأميركية سنة ١٨٩٦ ، ثم الأب لويس شيخو سنة ١٩٠٥ في العددين ٤ و٦ من المجلد الثامن لمجلة المشرق ، وفي كتاب منفرد بمطبعة الآباء اليسوعيين .

٣ ـ **كتاب الهمز وتخفيف الهمز** : نشره الأب لويس شيخو سنة ١٩١٠ في العددين ٩ و١٠ لمجلة المشرق ، ثم في مطبعة الآباء .

٤ ـ **كتاب النوادر في اللغة** : نشره سعيد الخوري الشرتوني سنة ١٨٩٤ في مطبعة الآباء ، بالاعتماد على نسخة خطية بقلم الفيروزآبادي ، ثم صورت تلك الطبعة في دار الكتاب العربي ، مع بعض التصويبات والفهارس المساعدة ، ثم نشره محمد عبد القادر أحمد سنة ١٩٧٦ في دار الشروق بطرابلس . وهذا أوان الحديث عنه .

كتاب النوادر :

الظاهر من وقائع الأخبار أن أبا زيد لم يكن قد وضع اسمًا لهذا الكتاب . ولذلك قال عنه أبو سعيد السكري : « هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت ، مما سمعه من المفضل بن محمد الضبي ، ومن العرب » ،[1] ولم تَرد في قوله تسمية محددة ،

(١) النوادر ص ١ . وسنحيل هنا على مطبوعة بيروت لأنها أشيع بين الدارسين .

إذ لو كان ذلك معروفًا بين العلماء لما أغفله من يروي الكتاب ، ويعلق عليه في مواطن مختلفة بالعبارات والنصوص ، من أقواله أو مما روى عن غيره . تلك عادة منهجية ألفها الناس ، وصارت ضربة لازب ، تحدد للقارئ والباحث والدارس والمحقق سبيله ، منذ الخطوات الأُولى في العمل . ولعله أُطلق عليه هذا الاسم بعد ، فيما نرى ، لأسباب ثلاثة :

الأول : أن كل كتاب قديم لا موضوع له محددًا بخصوصية دقيقة يسمى النوادر ، أو الأمالي أو المجالس ، على غرار ما ترى في كتب « النوادر » المختلفة المضمون ، كاللغة والأدب والأصول والأخبار والحِكم والشباب والفقه والصيام والفتاوى والفلاسفة والمحاضرات والمعاني والمغفلين والغلمان والخصيان والجبر والأعراب والنسب والتفسير وجحا .[1] وفي نطاق موضوعنا ، تجد مثل ذلك لدى :

أبي عمرو بن العلاء وأبي شبل العقيلي وأبي المضرحي ويونس بن حبيب والأصمعي وعبد الرحمن بن بُزُرْج والكسائي وأبي عمرو الشيباني والفراء وأبي المنهال وأبي عبيدة والقاسم بن معن وأبي زياد الكلابي وأبي محمد الأموي والهَجَري هارون بن زكريا واللحياني وأبي مسحل وقطرب والتوزي وابن السكيت وعمرو بن أبي عمرو الشيباني والهيثم بن عدي والنَّجيرمي والحسن بن عليل العنزي وابن الأعرابي ويحيى بن المبارك والأثرم وأبي الوازع ودلامز البهلول وابن هانئ النيسابوري وثعلب وابن قتيبة وأبي حنيفة الدينوري والحسن بن عبد الله لكذة ونصر بن مضر الأسدي وابن مقسم والزجاج وابن دريد وأبي هلال العسكري واليزيدي وأبي علي القالي والزجاجي والمطرز . . .

الثاني : أن بعض ما في الكتاب ، من شعر ورجز ومقولات نثرية ، يغلب عليه طابع النوادر ، كما يفهمها رجالات الأدب في تلك العصور ، أي : ما قل تداوله بين

---

(١) انظر ص ١٦١ من فهارس الفهرست وص ١٢٨ من فهارس نفح الطيب ، وقسم النوادر من فهارس إنباه الرواة ، ونور القبس ص ٤٥١ وفهرست ابن خير ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦ ووفيات الأعيان ٨ : ٥٦٠ ـ ٥٦١ وكشاف مفتاح السعادة ص ٥٣ وكشف الظنون ص ١٩٨٠ والمزهر ٢ : ٦٥٠ والخزانة ١٣ : ١١٦ ـ ١١٨ وشرح أبيات المغني ٨ : ٤٤٤ والمعجم العربي ١ : ١٣٥ ـ ١٣٦ وفهرس الفهارس والأثبات ٣ : ٣٦٣ .

الناس من النصوص . فهذه السمة الظاهرة هنا تيسر إطلاق اسم « النوادر » على كتابنا الحالي ، وتجعل ذلك أمرًا لا خلاف فيه ولا إشكال . ولهذا عرّف الأزهري كتاب أبي زيد بأنه جامع للغرائب الكثيرة ، والألفاظ النادرة ، والأمثال السائرة ، والفوائد الجمة .(١)

الثالث : أن تميز الكتاب ، بما فيه من تكرار أبواب « النوادر » خلافًا للمصنفات المعاصرة له ، جعله ذا طابع خاص هيأ النفوس لتقبل اسم مناسب لذلك . فالكتب الأدبية واللغوية عامة قد يكون فيها نوادر ، لكن ذلك لا يكثر فيها بحيث يكوّن أبوابًا تشغل حوالي نصف الكتاب ، كما هي الحال في مصنَّفنا هذا . وقد رأينا في نماذج التصنيف العربي ما يشبه كتابنا ، في مثل مولَّفات الحماسات لظهور هذا الموضوع فيها ، وتقدمه على سائر أخواته ، أو مؤلفات المعاجم كالعين للخليل بن أحمد ، والجيم لأبي عمرو الشيباني ، لتصدر الحرف المذكور في الكتاب .

فلواحد من هذه الأسباب أو لها مجتمعة ، لحق الكتابَ المذكور اسم « النوادر » ، بين العلماء والدارسين في ذلك العصر ، فإذا بنا نراه سمةً عليه عند السيرافي (ت ٣٦٨) في قوله : « قال أبو زيد في كتاب النوادر : أنشدني المفضل لضمرة بن ضمرة النهشلي » . وكذلك ما تجده لدى ابن النديم (ت ٣٨٠) .(٢) ولكننا نرى الأزهري (ت ٣٧٠) يوسع دائرة التسمية ، فيجعل عنوانه « النوادر الكبير » .(٣) وهذا يشي بأن ثمة ما هو من النوادر صغير ، بين مصنفات أبي زيد ، كما ترى عند يونس : النوادر الكبير والنوادر الصغير ، وعند الكسائي : النوادر الكبير والنوادر الأوسط والنوادر الأصغر . وهو أمر جدير بالاعتبار .

أما الزُّبيدي (ت ٣٧٩) فيقول في ترجمته لأبي زيد : « ونوادره في اللغة مشهورة » .(٤) وكأنه يفتح بابًا جديدًا لهذا المصنف ، فيجعله ذا مضمون لغوي ، كما

---

(١) تهذيب اللغة ١ : ١٢ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٤٥ والفهرست ص ٦٠ .

(٣) تهذيب اللغة ١ : ١٢ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٢ .

هو شائع الآن بين الكُتبيين والناشرين والدارسين والمحققين والباحثين . والظاهر أن قوله « في اللغة » ليس من عنوان الكتاب ولا قيداً لبيان مضمونه ، بل لغلبة الغريب اللغوي على نصوصه ومجموع ما فيه ، حتى احتاج إلى من يفسره ويعلق عليه بمسائل لغوية أكبر من حجمه ، كما سنذكر بعد قليل . وبهذا وذاك انسحب قول الزبيدي على المصنَّف ، ثم دخل كجزء متمم للعنوان .

فالعنوان المحقَّق منسوبًا إليه ، في التاريخ بين العلماء ، هو « النوادر » مطلقًا ، على غرار ما ترى لدى معاصريه من أمثال : الفراء والأصمعي وقطرب واللحياني وأبي مسحل والشيباني واليزيدي . ويؤيد ما استظهرناه ، من مقولة الزبيدي ، أن المؤرخين لعلوم العربية مجمعون على تعرية العنوان من تلك الإضافة المقحمة ، ومصرون على تسميته بـ « النوادر » فحسبُ مجرداً من تلك التحلية المزيدة عليه بأيدي مجهولين ،[(١)] مع أنهم حين يذكرون غيره ، من مثله ، يلحقون به ما يميزه في عنوانه . نحو : نوادر أخبار النسب ، ونوادر الأعراب ، ونوادر التفسير ، ونوادر الشعر ، ونوادر الغلمان والخصيان ، والنوادر المفيدة .

ويحقق رأينا هذا أنك لو استعرضت الكتاب الذي صنعه أبو زيد ، مجرداً من تعليقات تلامذته ومَن بعدهم ، لرأيته مجموعة من الشعر والرجز والتعابير النادرة ، مع بعض الشروح والتعليقات اليسيرة . وكل ذلك لايشكّل نصف مقدار الكتاب نفسه . أما الباقي فهو زيادات لغوية ونحوية من الشرّاح ، تراكمت في أكثر من قرن زمني ، ثم ألحقها به الأخفش الأصغر (ت ٣١٥) ، مع ما أضافه من توجيهات .

ومن ثَمّ فإن « نوادر » أبي زيد ليس « في اللغة » ، بل هو كتاب أدبي من أمثال : الكامل والفاضل للمبرد ، ومجالس ثعلب ، وأمالي كل من : اليزيدي وأبي عبيد وابن دريد والزجاج والزجاجي والأنباري والصولي والقالي والمرتضى والمعري والزمخشري وابن الشجري ، مع فارق يسير في طبيعة المضامين ، إذ قد تُطعّم

---

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٤٥ وفهرست ابن خير ص ٣٧١ وإنباه الرواة ٢ : ٣٥ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٠ ونزهة الألباء ص ١٢٧ وبغية الوعاة ١ : ٥٨٣ والمزهر ١ : ٩٣١

النصوص في بعض هذه المصنفات بتعليقات تاريخية أو لغوية أو نحوية أو أدبية ، هي أكثر مما في مصنف أبي زيد كما وضعه . ولكثرة ما في كتاب القالي من مسائل لغوية ، هو أملاها بنفسه ، كانت تسميته أحيانًا : أمالي القالي في اللغة ،[١] مع أن الجميع مقرّون أنه كتاب أدبي لا لغوي ، ويذكرونه في جملة مصنفات أصول الأدب : الكامل والبيان والتبيين وأدب الكاتب .

ولهذا فإن نسخة كوبرلي ، وهي أقدم النسخ الخطية المعروفة ، جاء في عنوانها : « كتاب النوادر » ، هكذا من دون تخصيص لغوي ، ثم إن العلماء الذين اقتبسوا عبارات ونصوصًا ، من كتاب أبي زيد هذا ، كانوا يوردون اسمه مجردًا من ذلك التخصيص أيضًا ، ويرددون بالتزام دائم أنه : النوادر . وقد حقق ذلك عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣) ، في « خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب » ، حين سرد مصادره في التأليف ، فجعل نوادر أبي زيد في مجاميع الشعر والأدب ،[٢] مع كتب الأمالي ، ولم يذكره في مجاميع اللغويات .[٣] وقد تسنى له هذا التوجه السديد ، فكان له تعيين تخصص الكتاب ، بما توفر لديه من مصادر تراثية أصيلة مواتية .

فقد كان عنده من النوادر هذه ثلاث نسخ :[٤] إحداها منقولة من نسخة قديمة جدًّا فيها صنعة السجستاني على نوادر أبي زيد ، وما زال من هذا النص المجرد عن شرح الأخفش نسختان خطيتان : إحداهما كتبها بخطه محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي سنة ١٢٩٦ بالقسطنطينية ، وهي الآن محفوظة في دار الكتب المصرية تحت الرقم ٤٤ أدب ش ، ضمن مجموع مع أمالي المرتضى . والأُخرى في مكتبة كوبرلي بإستنبول ، وثالثة مما عند البغدادي هي بشرح الأخفش وتعليقاته ، ومضمونها هو ما نشر حتى الآن .

---

(١) كشف الظنون ص ١٦٥ .

(٢) الخزانة ١ : ١٠ . وكذلك صنيع المفهرسين لمخطوطات دار الكتب المصرية ، إذ جعلوا نسخة الشنقيطي في حقل الأدب .

(٣) الخزانة ١ : ١١ .

(٤) شرح أبيات المغني ١ : ١٠٧ و١٠٨ و١٩٣ و١٩٤ . . . و٨ : ٤٤٦ والخزانة ١ : ٩١ و٣ : ١٢ و١٩٩ و٤٠٣ وتاريخ الأدب لبروكلمان ٢ : ١٤٦ .

فالنص المطبوع باسم « كتاب النوادر في اللغة » هو صنعة الأخفش الأصغر ، بما حشّاه على كتاب أبي زيد ، من تعليقات وضعها بنفسه أو نقلها من صنيع الأصمعي والرياشي وابن الأعرابي والمازني والسكري والمبرد وثعلب وآخرين .[١] والمعروف أن أبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٠) كان له أيضًا شرح على النوادر ، فاستوفاه الأخفش فيما نقل من النصوص ، حين صنع شرحه المذكور ، ثم جاء أبو علي الفارسي بتعليقات أيضًا ، فكانت شرحًا آخر للكتاب .[٢] أما ما يرد في بعض مواطن كتاب « النوادر »، من ذكر « كتاب المازني أو كتاب السجستاني » ،[٣] فمراد به نسخة النوادر التي هي لأحدهما .

وبإيحاء ما جاء في عناوين بعض النسخ الخطية من الكتاب ، وما عُرف به أبو زيد من توجه لغوي ، توهم الناشرون والدارسون والباحثون أن ما بين أيديهم منه هو صنعة أبي زيد وأنه من الكتب اللغوية . فكذلك طبع الكتاب غير مرة ، والدكتور أمجد الطرابلسي حين عرّفه جعله[٤] خير ما بين أيدينا من كتب لغوية ، تمثل مرحلة تدوين الألفاظ وتفسيرها بدون ترتيب .

والدكتور حسين نصار عرض أيضًا له بين كتب اللغة ، ونسب إلى أبي زيد تلك التعليقات ، من تفسير للمفردات وشرح للمعاني وتحليلات إعرابية وصرفية ، ثم قال : بل زاد فيه رواته كثيرًا عن الأصمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي ، ووردت أسماؤهم فيه صريحة . وكثيرًا ما روى فيه أبو حاتم السجستاني لا عن أبي زيد .[٥] وقد تاثر الباحثون تلك الموهمات التاريخية وهذه المقولات المعاصرة ، من دون مراجعة في الكتاب نفسه أو اختبار لمضمونها في الميدان الواقعي ، فكان منهم ما كان .

والحق أن مضمون الكتاب ١٦ بابًا ، ٣ للشعر و٧ للرجز و٦ لنوادر من كلام

---

(١) انظر إقليد الخزانة ص ١٢٥ .

(٢) انظر تاريخ الأدب لبروكلمان ٢ : ١٤٦ والورقة ١٢١ ب من شرح اختيارات المفضل .

(٣) انظر ص ٩٧ و١٩١ و١٩٤ و ١٩٩ و٢٢١ و ٢٣٠.

(٤) حركة التأليف عند العرب ص ٢١ .

(٥) المعجم العربي ١ : ١٣٩ ـ ١٤٠ .

العرب . وآخرها كلها باب نوادر ، جاء في النسخ قبله ما يفيد أنه :« كتاب مسائية » يضاف إلى كتاب النوادر ، وبعض الناس يفرده منه . والظاهر في عنوانه الثابت بالنسخ كلها ، وفي مضمونه من نوادر كلام العرب ، وفي التعريف له في أول نسخة عاطف أفندي بأنه « ذيل كتاب النوادر » ، الظاهر من هذا كله أنه جزء متتم لكتابنا وليس متميزاً عنه . ولعل من يفرده منه كان يسميه « النوادر الصغير » مقابلاً لـ « النوادر الكبير » ، كما كان يسمي كتابنا هذا أحيانًا . وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى .

ثم إن ما في الكتاب عامةً من مقطوعات شعر ورجز يمثل الريادة في مختارات المقطعات ، كما عرفت في الحماسات وأشباهها بعد ، لأنه أول مصدر تراثي وصل إلينا من ذلك . وقد كان لدى بعض أسلافه ومعاصريه إرهاصات لهذا الصنيع المتميز ، فيما صُنِّف من « معاني الشعر » على أيدي أمثال : أبي العميثل (ت ١٤٠) وأبي ثروان العُكلي والمفضل الضبّي والأخفش الأوسط والأصمعي وابن أخيه عبد الرحمن وابن كُناسة (ت ٢٠٧) .(١)

والملاحظ في أبواب الكتاب عامة أنه ليس في محتواها تميز كامل أو دقيق ، إذ ترى في أبواب الشعر رجزًا ونوادر ، وفي أبواب الرجز شعرًا ونوادر أيضًا ، وبين النوادر شعرًا ورجزًا ، وإن كانت الصورة العامة للتبويب تحقق صحة العنونة المحددة . وهذا يرجح لدينا أن تلك الأبواب ليست تقسيمًا في التصنيف ، وأنها كانت تملى في مجالس متفرقة ، فيكون لكل منها طابع مميز ، مع ورود شذرات من المضامين الأخرى . ولذا فإننا نزعم أن كتاب« النوادر » هو ضرب من المحاضرات كمصنفات : المجالس أو الأمالي ، وإن كان ثمة بعض الفوارق بين هذه الضروب التراثية .(٢)

تاريخ الكتاب :

تلقى أبو زيد في حياته عن الأعراب في البادية ، وعن علماء البصرة ، وعن المفضل الضبي في الكوفة ، ثروة لغوية أدبية ضخمة ، ولمس ما فيها من الغرائب

---

(١) الفهرست ص ٥٢ ـ ٧٧ .

(٢) المزهر ٢ : ٣١٣ وكشف الظنون ص ١٩١ ومجالس ثعلب ص ٨ مع ص ٢٣ من مقدمة المحقق وقطوف من كتاب الأمالي ص ١٩ ـ ٢٠ .

والعجائب ، فاختار منها نصوصًا من الشعر والرجز والعبارات المتميزة بالفصاحة ، ورواها لتلامذته وطلاب علمه مع يسير من التفسير والشرح ، في النصف الثاني من القرن الثاني قبيل وفاة المفضل (ت ١٧٨) ، فسجلوها في نسخ خطية مختلفة ، بحسب ما تلقوا في المجالس المتباينة . ولهذا كان فيما دونوه صور من التلقي العلمي العربي النادر ، مع بعض الخلافات في قليل من مواطن الكتاب .

لم يكن أبو زيد قد وضع اسمًا لكتابه هذا ، فبقي غُفلاً عُطلاً من عنوان صريح يتوّجه ، شأن ما عرفنا من كتاب سيبويه ، ورسالة الإمام الشافعي . ومع الأيام والسنين ، تبدى للعلماء ما في كتاب أبي زيد ، من طابع الندارة السائد في ذلك العصر لكثير من المصنفات ، فوسموه باسم « النوادر » ، وصار ذلك عَلَمًا عليه .

وعندما لمس هؤلاء الطلاب فيما بين أيديهم ، وهم يملونه على الناس أو يقرئونهم إياه ، عسرًا على الدارسين ومشكلات لغوية تقتضي الحل ، ومسائل نحوية تحتاج إلى البسط والبيان ، وروايات تقتضي الرِّفد ليتمم المراد ، عكفوا عليه يلحقون به ما تيسر لهم . وقد ظهر ذلك ، مما وصل إلينا ، في عبارات للأصمعي والتوزي والرياشي ومن يعاصرهم ، جمعها أبو حاتم السجستاني فكانت كالشرح له . وقد سلمت حتى عصرنا من هذا الشرح نسختان خطيتان ، كما ذكرنا قبل .

ثم توالت إجراءات مماثلة من الأجيال العلمية التالية ، يغذيها المازني والمبرد والسكري وأترابهم ، فتراكمت فوق ما صنعه السجستاني . وقد تلقى ذلك كله علي بن سليمان الأخفش فجعله في كتاب ، وألحق به كثيرًا من التعليقات اللغوية والنحوية والأدبية ، وألف بين المواد المختلفة وصنع مصنفًا جديدًا ، ووصلت صورته إلى أيامنا هذه .

ولما وقعت تلك الصنيعة في حوزة الأستاذ الكبير أبي علي الفارسي وجد فيها ثروة علمية فائقة جدًّا ، تحمل على التقدير والتبجيل ، فكان يكاد يصلّي بها إعظامًا لها . ومن ثَمّ فإنه قال لابن جني ، وهو يقرئه إياها : « ليس فيها حرف إلاّ وتحته لأبي زيد غرض ما » . قال ابن جني معلقًا على كلام شيخه الفارسي : وهي كذلك لأنها محشوة بالنكت والأسرار.[١]

(١) سر صناعة الإعراب ص ٣٣١ والخزانة ٣ : ١٢٩ . والنكتة : المسألة العلمية الدقيقة .

ولم يكتف الفارسي بذلك ، بل شرع يغذيها بحواش علمية نادرة ، تزيدها غنى وتفوقًا على الأقران . وقد جاءت تلك التعليقات على حواشي النسخة الشنقيطية مرموزًا إليها بالحرفين « فآ » ، وذكر الشنقيطي صاحب النسخة وكاتبها أن ذلك الرمز مراد به الفارسي .[١] وكان عصرئذ أبو علي القالي قد حمل معه إلى الأندلس سنة ٣٦٥ في جملة ما حمل نسخة من صنعة السجستاني ،[٢] ليستفيد منها في مصنفاته ويقرئها تلامذته هناك ، ويعلق عليها ما يزودها بفوائد لغوية وأدبية متوافرة . وكذلك فعل من جاء بعده من العلماء .

ولهذا رأينا حفيدة من سلالتها في منتصف القرن السادس عند محمد بن خير الإشبيلي ، يتلقاها عن شيوخ عصره ، ويقول فيها : كتاب نوادر أبي زيد الأنصاري ، حدثني به الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد النفزي ، عن خاله الأديب أبي محمد غانم بن وليد المخزومي مناولة منه له ، عن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون السهمي ، عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد ، عن أبي علي البغداذي ، عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ، وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، عن أبي محمد عبد الله بن محمد التوّزي ، عن أبي زيد الأنصاري ، رحمه الله . [و] عن القاضي أبي يوسف سليمان ابن خلف بن غمرون عن أبي علي البغداذي ، بالسند المتقدم .[٣]

وعلى هذا تكاثرت التعليقات والفوائد من قِبَل العلماء في توالي السنين والقرون ، مع النسخ المتولدة في العالم الإسلامي ، وكان منها نماذج في عديد من المكتبات العامة والخاصة . ومن تلك البُنيّات والحفيدات لصنيع الأخفش نسخة بخط ابن منظور صاحب لسان العرب ، جاء في عنوانها أنها « شرح نوادر أبي زيد » ،[٤]

---

(١) انظر شرح شواهد الشافية ص ٢١٦ ومقدمة عبد السلام هارون علىٰ كتاب سيبويه ص ٤٥ ومجلة العرب ٧ : ٦٥٤ ومطبوعة دار الشروق للنوادر ص ٨٠ .

(٢) فهرست ابن خير ص ٣٧١ و٣٩٥ .

(٣) فهرست ابن خير ص ٣٧١ .

(٤) انتقلت ملكية هذه النسخة إلى رجل القانون جرجس صفا . وهي الآن في دار الكتب المصرية تحت الرقم ٣٧٥ =

فكان فيه توثيق قاطع بما ذهبنا إليه استظهاراً ، حين زعمنا أن ما نشر من الكتاب هو شرح للنوادر ، وليس لأبي زيد فيه إلا النصوص الأدبية واللغوية وقليل من التفسير .

قال ابن منظور : « نقلت هذه النسخة من نسخة بخط مولانا السيد الشريف ، تاج الشرف أبي عبد الله بن السيد الشريف أبي القاسم عبد الرحمن بن علي الحسني الحلبي ، رضي الله عنه . كتبه محمد بن المكرّم بن أبي الحسن الأنصاري الكاتب ، غفر الله له » . ويلي ذلك تسجيل لتاريخ النَّسخ بحروف الجُمّل : ج بو بي هعخ . يعني : في اليوم ١١ من الشهر ١٢ لسنة ٦٧٥ . وقد انتهى من نسخها كما جاء بالخاتمة في : ج ك بي سنة هـ ع خ . يعني : في اليوم ٢٣ من الشهر ١٢ لسنة ٦٧٥ .[(١)]

وقد انتقلت ملكية هذه النسخة في القرن الحادي عشر إلى البغدادي صاحب الخزانة ، وكان معها لديه نسختان أُخريان : إحداهما بخط قديم ، وهي من رواية أبي الحسن الأخفش تلميذ المبرد ، وقد حشّاها الأخفش بفوائد . والأُخرى قال عنها : نسخة صحيحة مضبوطة ضبط إتقان ، حسنة الخط واضحة الشكل ، كتبها علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، وعليها خطوط جلّة من العلماء ، منهم[(٢)] زيد بن الحسن بن زيد الكندي . وهي رواية الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ، عن أبي بكر محمد بن السري بن السراج النحوي ، عن الرياشي وأبي حاتم السجستاني وأبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني ، عن أبي زيد سعيد[(٣)] بن أوس ، رحمهم الله تعالى . وهي نسخة قديمة جداً ، يزيد تاريخ كتابتها على سبعمائة سنة .[(٤)]

وهذا يعني أن النسخة من بنات القرن الرابع . ثم إننا قد وجدنا من قبلُ جلال الدين السيوطي (ت ٩١٣) يرجع إلى نسخة أيضًا من النوادر ، وينقل عنها في مواطن

لغة ، وعنها نشر الشرتوني **مطبوعته** المعروفة . انظر مقدمة النوادر ص (هـ) ومجلة المشرق ٦ : ٦١ لعام ١٩٠٠ ومطبوعة دار الشروق ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(١) انظر ص (ب) و٢٦٢ من النوادر ومطبوعة دار الشروق ص ١٠٣ .

(٢) في المطبوعة : منها .

(٣) في المطبوعة : عن أبي زيد بن سعيد .

(٤) شرح شواهد المغني ١ : ١٠٨ . وانظر منه ١ : ١٩٤ و٢٠٣ و٢ : ١٧٦ ـ ١٧٧ .

كثيرة من مصنفاته.[١] وثمة نسخ عرفت في أيامنا هذه، بالإضافة إلى نسخة الفيروزآبادي، ومنها:

١ ـ نسخة في مكتبة كوبرلي تحت الرقم ١٤٠٦ مكرر. وهي بدون تاريخ وقديمة، عليها تملكات أولها في سنة ٦١٥، خالية من شروح الأخفش، وقاصرة على صنيع السجستاني.

٢ ـ نسخة في مكتبة عاطف أفندي تحت الرقم ٢٧٧٧، ومنها صورة بمعهد المخطوطات العربية تحت الرقم ٢٨٩ لغة، في مجموع يضم أيضًا: شرح شعر الحطيئة، ورسالة في العربية، وشرح رسالة الحروف للمعري، وشرح شعر عبد بني الحسحاس. والنسخة عليها تملكات أقدمها في القرن السادس.

٣ ـ نسخة بخط محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي، كتبها سنة ١٢٩٦ بالقسطنطينية، وهي في دار الكتب المصرية تحت الرقم ٤٤ أدب ش،[٢] في مجموع يشمل أيضًا أمالي المرتضى ومجالس مضافة إليها. والراجح أن هذه النسخة منقولة عن نسخة كوبرلي.

ومن هذا كله، ترى أن كتاب «النوادر» لأبي زيد هو أشهر كتبه، وأوسعها انتشارًا بين الناس في عهده وفي العصور المتوالية، إذ تلقاه العلماء منذ إملائه الأول بالرواية والتفسير والزيادات والشروح والتعليقات، ثم كان نشره أكثر ظهورًا في المكتبة العربية.

وكذلك شأن دراسته في العصر الحاضر. فقد أكب عليه عدة باحثين، يحاولون تصنيفه في الحقل العلمي المناسب له، ويحللون محتواه وتوجهاته، فكان منهم تأثر بعنوانه في المطبوعات وبعض المخطوطات، وبما فيه من شروح مختلفة لغير أبي زيد، وبما عُرف به مصنِّفه من اهتمام باللغة. وبذلك وجّهوه لغير ما أراده له المؤلف: حصروه في الحقل اللغوي، وحجبوا تألقه الأدبي، فحرموا كثيرًا من أدباء الدارسين تناوله بالبحث والتقدير. وقد يسر الله ـ عز وجل ـ لنا انتشاله من غفلات

(١) انظر المزهر ١ : ١٣٩ و٢١٤ و٣٢٩. . . و٢ : ٦٥٠.

(٢) انظر تاريخ الأدب لبروكلمان ٢ : ١٤٦.

القوم ، لنرد إليه وجهه المتألق ، ومنزلته في ميادينه الأدبية ، واعتباره في تاريخ علوم العربية الخالدة .

أسانيد رواية الكتاب :

في حياة العروبة الإسلامية منهج علمي متميز ، انفردت به من دون سائر الحضارات العالمية المختلفة ، فيما وصل إلينا من التاريخ . ذلك هو علم الرواية والتوثيق للنصوص والكتب ، وعلم الجرح والتعديل للرواة ، حفاظًا على قدسية العلوم وتثبيت المقولات ، وتحقيق ما صدر منها عن أصحابها بدقة وإحكام . وقد أنشأ هذا وأسسه رجالات السُّنّة النبوية الشريفة ، في أصول منهجية مقررة ، فصار بعد توسُّع ميادينه يعرف باسم « علم مصطلح الحديث » ، وأجروا مضامينه ومقاييسه على تاريخ الرواة والمصنفين ، فوضعوا للحضارات الإنسانية أصول علم كريم ، لا معدل عنه في ميادين البحث والتحقيق .(١)

ومن ثَمّ انسحبت بعض أصول هذا العلم وفروعه على سائر العلوم الإسلامية ، بدرجات متفاوته تبعًا لحاجة الموضوعات المؤرخة ، فكان لميادين القرآن الكريم نصيب علمي ملحوظ ، في طبقات القُرّاء والتابعين والمفسرين ، ولعلوم العربية نصيب آخر ، في طبقات النحويين واللغويين ومراتبهم ، وطبقات الأدباء ، ولعلوم أُخرى نصيب أيسر ، كما في طبقات الفقهاء وطبقات الحنفية وطبقات الشافعية وطبقات الأطباء والحكماء وطبقات الطلبة . . .

وللحفاظ على مصداقية رواية علوم العربية ، كان لدى العلماء دراسات وبحوث انصبت على معرفة : الطبقات والحفّاظ والثقات والضعفاء ، وأساليب الجرح والتعديل ، والأسماء والكنى والألقاب ، والآباء والأبناء والأحفاد والإخوة ، والشعراء الذين يحتج بهم في عروبة اللسان ، وكنية من اشتهر باسمه أو لقبه أو نسبه ،

(١) انظر كشف الظنون ص ٩١٤ ومفتاح السعادة ٢ : ٦٠ . وقد كان الأصل في ذلك معارضة القرآن الكريم بين الرسول وجبريل ـ عليهما السلام ـ في كل رمضان من حياة النبوة ، ثم أسانيد القراءات وجمع المصاحف في عهد أبي بكر وعثمان ، رضي الله عنهما .

والألقاب وأسبابها ، ومن تعددت أسماؤه أو كناه أو ألقابه ، والنسب إلى القبيلة أو البلد أو الوطن أو الجد أو الصحبة أو الأمّ ، والمؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب ، والمتفق والمفترق من ذلك ، والمواليد والوفيات ، والتلمذة والصحبة ودرجات الرواية والتلقي . . . [١]

كل ذلك لدفع ما يكون من وهم أو افتراء أو تدليس أو تلفيق أو إدراج ، في نسبة النصوص والأحكام والمقولات . ولكن رجال علماء العربية لم يستطيعوا تنفيذ تلك الأصول والفروع ، في ميادين أبحاثهم ، بالدقة التي كانت لدى أصحاب علوم القرآن والحديث ، لتعذر الوسائل المناسبة للإجراءات العملية بعد فوات أوان التحقيق والتدقيق اللازمين ، ولأن هذا العلم لم يكن له قدسية النصوص القرآنية والنبوية ، وليس فيها من الخلافات المذهبية والسياسية الحادة كما في المقولات المقدسة ، تدعو إلى الاصطناع والتدليس والافتئات .

ومع هذا ، فإننا نرى أن بعض المصادر الأدبية قد اصطبغت بألوان من التحقيق ، في نسبة النصوص وتحقيق عباراتها ، عن طريق الأسانيد والتدقيق والتقويم والتصويب . وأمامنا الآن نموذج فذّ في كتاب أبي زيد هذا ، يمثل الحرص على مصداقية نسبته وصواب عباراته . فعلى الرغم من ضياع الآثار الكثيرة من هذه النماذج ، نستطيع أن نستشف بوارق لامعة تضيء السبيل .

فقد رأينا منذ قليل أن ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥) يتلقى كتاب النوادر ،[٢] في إسنادين متصلين بالمؤلف نفسه . فهو يرويه عن النَّفْزي عن المخزومي عن ابن خيرون السهمي عن ابن أبان عن القالي عن : ابن دريد عن السجستاني ، وعن المبرد عن التوّزي . وكلا السجستاني والتوزي روياه عن أبي زيد . وكذلك إسناده عن ابن عتاب عن أبيه عن ابن غَمرُون[٣] عن القالي ، في السند المتقدم أيضًا .

(١) المزهر ٢ : ٣٣٠ ـ ٤٦٨ وبغية الوعاة ٢ : ٣٦٧ ـ ٣٩٥ .
(٢) فهرست ابن خير ص ٣٧١ .
(٣) انظر فهرس الفهارس ص ٨٩٢ .

هذا نموذج واحد لكتابٍ يسيرٍ عند أحد العلماء غير المشهورين ، وفي فهرسٍ ليس بذي أهمية بالغة . وقد كان في هذا الفهرس أسانيد شبيهة بما رأيناه الآن لحوالَى[١] ألفي كتاب من العلوم المختلفة ، تلقاها مؤلفه عن شيوخه قراءة بالأسانيد المعتبرة . ولو أنك اطلعت على الفهارس التي سجلها علماء الإسلام في التاريخ ، وهي يتعذر حصرها ، لرأيت العجب العجاب .

لست مغاليًا فيما أقول . فحسبك أن تتصفح مصنفًا واحدًا يجمع بعض هذا الضرب من الروايات ، وهو « فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات » ، لترى عشرات الإجازات والفهارس المماثلة لصنيع ابن خير ، وفي كل منها ما لا يعلمه إلا الله من الأسانيد والروايات المتصلة الموثقة .

لو تيسر لك الاطلاع على كل إجازة وإسناد وثَبَت ،[٢] مما نشر من هذه المصنفات وحدها ، لكان بين يديك الآلاف المؤلفة الشبيهة بما رأينا في روايتَيِ ابن خير لكتاب النوادر . كل هذا هو خدمة لتوثيق العلوم والمعارف والمقولات ، وفتح باب البحث عن الحقيقة فيما كان .

ومع هذا ، فإن ما وصل إلينا من سند لكتاب النوادر فيه غَناء وكفاية ، إذ يضاف إلى تلك الرواية التي أوردها ابن خير روايات أُخر تعززها وتحقق إشراق الوجه التاريخي للكتاب .

فقد جاء في نسخة سجلها ابن دينار الكاتب توثيق لها بخطوط جلّة من العلماء ، وسند يبدأ بأبي علي الفارسي عن ابن السراج عن الرياشي والسجستاني والجرمي والمازني . وكل من الأربعة الأخيرين رواها عن أبي زيد . وفي نسخة ثانية أنها بخط ابن منظور صاحب « لسان العرب » ، وقد عاشت هذه حتى يومنا الحاضر ، وصارت من مقتنيات دار الكتب المصرية ، وعنها نُشرت مطبوعة بيروت . وثالثة كانت بحوزة البغدادي أيضًا صاحب الخزانة ، بخط قديم ، وهي مع ما قبلها برواية الأخفش

---

(١) حوالَى : جمع حَولَـى مثل : فتوَى وفتاوَى .

(٢) للعلماء أصول وأساليب معتمدة في نصوص الأسانيد والإجازات ، ترى نماذج منها في « نوادر الإجازات والسماعات » لابن طولون الدمشقي وغيره ، مطبوعة دار الفكر عام ١٤١٩ وفي « إجازات السماع في المخطوطات » لصلاح الدين المنجد بمجلة معهد المخطوطات ١ : ٢٣٢ من عام ١٩٥٥ . وفي « الأعلام » للزركلي صور كثيرة منها .

الأصغر.[١] ثم إذا رجعنا إلى مجموع هذه النسخ نرى للكتاب سنداً عامًّا ، نصه كما يلي :[٢]

« قال تمام بن عبد السلام بن محمد بن أحمد اللخمي اللغوي ، رحمه الله : قرأت على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن بسام بفسطاط مصر ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي ، قال : أخبرني التوّزي وأبو حاتم السجستاني عن أبي زيد .

قال الأخفش : وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين البصري المعروف بالسكري ، عن الرياشي وأبي حاتم ، عن أبي زيد ، قال أبو سعيد :

هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت ، مما سمعه من المفضل بن محمد الضبي ، ومن العرب . قال أبو حاتم : قال لي أبو زيد : ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي الكوفي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب » .

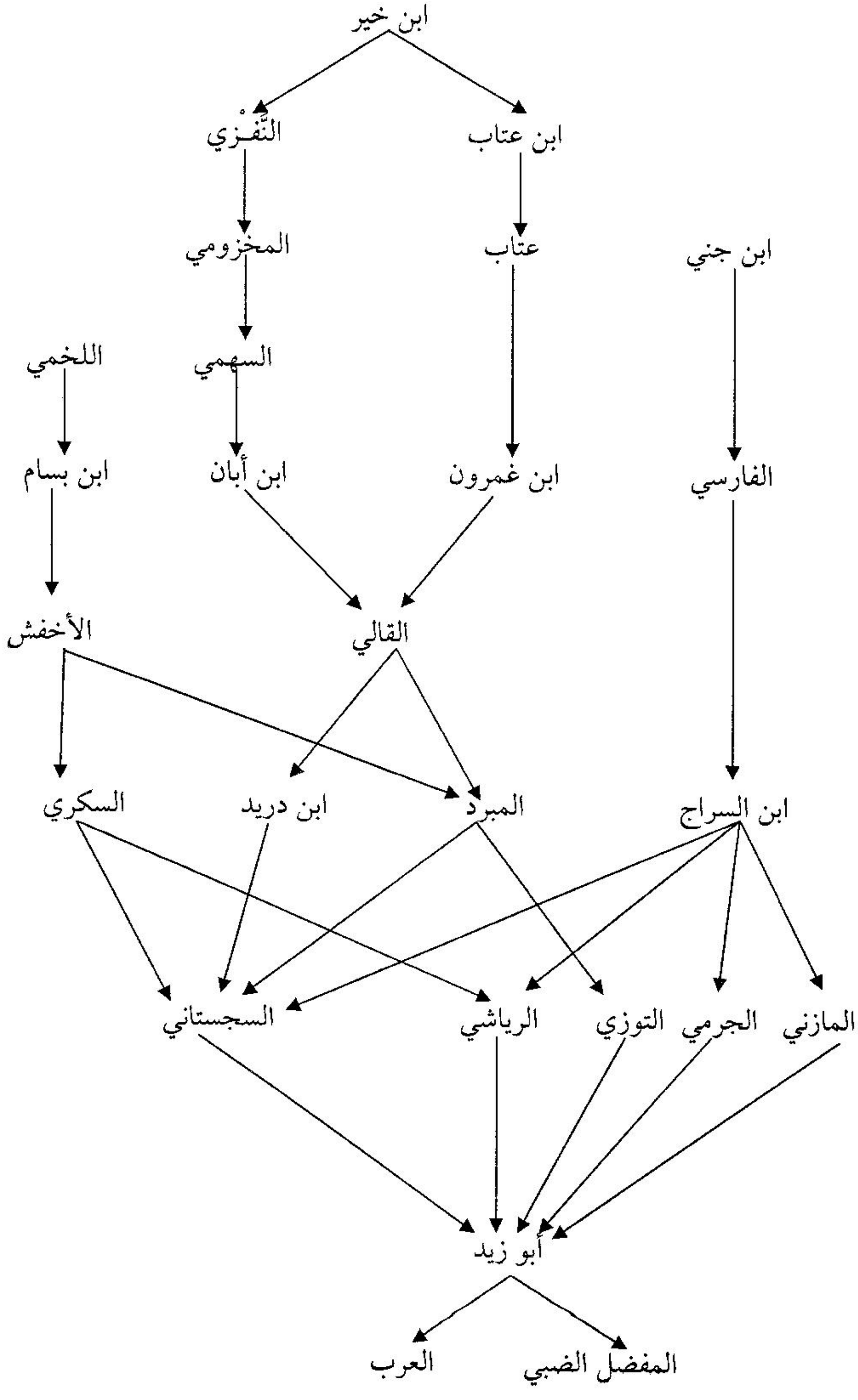
فالكتاب هنا ، كما ترى ، مسند موثق أيضًا بروايات متوالية : تمام اللخمي عن إبراهيم بن محمد عن الأخفش في روايتين : عن المبرد عن التوزي والسجستاني ، وعن السكري عن الرياشي والسجستاني ، وكل من التوزي والسجستاني والرياشي عن أبي زيد الأنصاري المؤلف والراوي والمملي لكتاب النوادر نفسه .

وفي مجموع ما ذكرنا ، من أسانيد خاصة وعامة ، تجد أن كتاب « النوادر » حظي في عدة قرون بروايات غفيرة ، تمثل العناية الظاهرة ، والتوثيق العلمي العالي ، الأمر الذي تفتقده الحضارات الإنسانية غير الإسلامية ، والعلوم المختلفة في تاريخ تلك الأمم . ثم تجد أن ما جاء في هذا الكتاب ، عن أبي زيد والمفضل والعرب ، يحمل طابع النقل رواية ومشافهة ، مع قراءات مختلفة للعلماء مسندة في عدة أجيال ، يمثله الشكل التالي . وهذا يعزّ نظيره في كثير من المصنفات الأدبية العربية . فنحن إذًا نسير في خط علمي موثق ، ونعتمد في التوجيه نصًّا جديرًا بالعمل المنهجي القويم

---

(١) شرح أبيات المغني ١ : ١٠٧ ـ ١٠٨ و١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) الورقة ١ من نسخة عاطف أفندي . وفي النسخ الأُخرى المخطوطة والمطبوعة زيادات لا تخل بعمود **السند العام** .


ابن خير
النَّفْزي
ابن عتاب
المخزومي
عتاب
ابن جني
اللخمي
السهمي
ابن بسام
ابن أبان
ابن غمرون
الفارسي
الأخفش
القالي
السكري
ابن دريد
المبرد
ابن السراج
السجستاني
الرياشي
التوزي
الجرمي
المازني
أبو زيد
العرب
المفضل الضبي

ومن هذا المخطط التاريخي الدقيق ، يتبين لنا توارد الأسانيد كما يلي :

١ ـ تمام اللخمي يروي نص الكتاب عن ابن بسام عن الأخفش الأصغر (ت ٣١٥) ، والأخفش هذا يروي عن المبرد (ت ٢٨٦) وعن السكري (٢٧٥) ، والمبرد يروي عن التوزي (ت ٢٣٠) والسجستاني (ت ٢٥٠) ، والسكري يروي عن الرياشي (ت ٢٥٧) والسجستاني أيضًا . وكل من التوزي والسجستاني والرياشي أخذ عن أبي زيد .

٢ ـ ابن جني يروي عن الفارسي ، وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧) يروي عن ابن السراج (٣١٦) ، وابن السراج يروي عن : الرياشي والسجستاني والجرمي (ت ٢٢٥) والمازني (ت ٢٤٥) . وكل من هؤلاء الأربعة أخذ عن أبي زيد .

٣ ـ ابن خير (ت ٥٧٥) يروي عن النفزي (ت ٥٢٥) ، والنفزي يروي عن خاله غانم المخزومي (ت ٤٧٠) ، والمخزومي يروي عن ابن خيرون الذي روى عن ابن أبان (ت ٣٨٢) ، وابن أبان روى عن القالي (ت ٣٥٦) ، والقالي روى : عن ابن دريد (ت ٣٢١) عن السجستاني ، وعن المبرد عن التوزي والسجستاني . والسجستاني والتوزي أخذا عن أبي زيد .

٤ ـ ابن خير أيضًا يروي عن ابن عتاب (ت ٥٣١) ، وابن عتاب يروي عن أبيه الذي روى مناولة عن ابن غَمرُون عن القالي عن : ابن دريد عن السجستاني ، وعن المبرد عن التوزي . والسجستاني والتوزي أخذا عن أبي زيد أيضًا .

والأسانيد هذه متفرعة ، كما ترى ، بتواتر وتفرد عن أبي زيد إلى تلامذته الخمسة : التوزي والجرمي والمازني والسجستاني والرياشي . وهؤلاء الخمسة أخذ عنهم باجتماع أو انفراد كل من السكري والمبرد وابن السراج وابن دريد . وعن هؤلاء الأربعة أخذ أيضًا الأخفش الأصغر والقالي والفارسي . وعن الأخفش أخذ ابن بسام ، وعن القالي أخذ ابن أبان وابن غمرون ، وعن الفارسي أخذ ابن جني كما مر بنا من قبل . ثم تفرقت المسارات في تاريخ واسع ، يعلم الله ما فيه من السند . وما بالقليل ذا النسبُ !

* * *

الباب الثاني

نماذج تطبيقية

الفَصْلُ الأَوَّل

نموذج موجَّه

رأينا في الفصل الماضي أن كتاب « النوادر » لأبي زيد يتمتع بنسب علمي فائق ، يؤهله لمرتبة الصدارة في التراث الأدبي من المكتبة العربية ، بما يحمله من التوثيق في سنده ومتنه . فالإسناد الذي عرفناه له في التاريخ ، كما ترى ، يسير في عدة روايات منها المتواترة والمفردة ، يعزز بعضها بعضًا ، لتحقيق النقل الصادق الوثيق . والمتن نصوص مروية مباشرة عن العرب الفصحاء ، أو المفضل الضبي أوثق من عرف من أدباء الكوفيين وعلمائهم .

ولذلك كان لنا الحق أن نختار هذا المصنف القيم ، ونجعله مصدرًا يُمِدّنا بنص نموذجي ، لإجراءات التوجيه في رحاب المكتبة العربية . وقد تبدى لنا ، بعد البحث والتدقيق ، أن خير ما ييسر لنا ذلك هو مستهلّ ما فيه ، لتضمنه وسائل التعريف والتوثيق والبيان ، مع كثير من المعضلات العلمية المختلفة . فقد اجتمعت في مقدمته وبين سطوره جملة من عبارات الأسانيد والروايات ، تحدد أصحاب المقولات ، وتميز بعضها من بعض في كثير من المواطن .

ولقد شغل هذا النص خمس صفحات من مطبوعة بيروت ، تضمنت أبياتًا لشاعر جاهلي ، مع التعليقات النثرية والشعرية الوافرة ، في عدة ميادين ، تثير المسائل والمشكلات من الرواية والإسناد والتاريخ والحياة الاجتماعية ، والتراجم واللغة والإعراب والصرف والعروض واللهجات القبلية المختلفة والآيات القرآنية . وها نحن أولاء نثبته في الصفحات التالية ، كما جاء في مطبوعة عام ١٨٩٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

أخبرنا ابو اسحق ابرهيم بن محمد بن احمد بن بسام قال أخبرنا ابو الحسن علي بن سليمان الأخفش قال اخبرنا ابو العباس محمد بن يزيد الأزدي قال اخبرني التوزي وابو حاتم السجستاني عن ابي زيد قال وأخبرني ابو سعيد الحسن بن الحسين البصري المعروف بالسكري عن الرياشي وابي حاتم عن ابي زيد قال ابو سعيد هذا كتاب ابي زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعه من المفضل بن محمد الضبي ومن العرب

قال ابو حاتم قال لي ابو زيد ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب

قال واخبرني ابو العبّاس عن التوّزي أنّ ابا زيدٍ قال ما كانَ فيهِ مِنْ رجزٍ فهو سَماعي مِنَ ٱلْمُفَضَّل وما كانَ فيه من قَصيدٍ او لُغاتٍ فهو سَماعي من العرب قال ابو سعيدٍ وكان العبَّاسُ ٱبنُ الفرجِ الرِّياشي يحفَظُ الشِّعرَ الَّذي في هٰذا الكِتابِ كما يحفَظُ السورةَ من القرآن وقال لي حفظْتُه في زَمنِ ابي زَيدٍ وحَفِظْتُ كِتابَ الهمزِ لابي زَيدٍ وقرأْتُه عَلَيهِ حِفظاً وَكُنتُ أَعُدُّ حُروفَه

بابُ شِعْرٍ

قال ابو زَيد انشدني المُفضَّلُ لِضَمْرَةَ بنِ ضَمْرَةَ النَّهْشَليّ وهو جاهِليٌّ

بكَرَتْ تَلومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ في ٱلنَّدى بَسْلٌ عَلَيْكِ مَلامَتي وَعِتابي
أَأَصُرُّها وَبُنَيُّ عَمّي ساغِبٌ فَكَفاكِ مِنْ إِبَةٍ عَليَّ وَعابِ

قالَ ابو الحَسَنِ وَزادَ الأَصْمَعيُّ

أَرأَيتِ إِنْ صَرَخَتْ بِلَيْلٍ هامَتي وَخَرَجْتُ مِنْها عارِيًا أَثْوابي

رَجعتِ الرِّوايةُ الى ابي زَيد

هَلْ تَخْمِشَنْ إِبِلي عَليَّ وُجوهَها أَمْ تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَها بِسِلابِ

قالَ ابو حاتِمٍ بكَرَتْ اي عجِلَتْ ولم يُرِدْ بُكُورَ الغُدُوِّ ومنهُ باكُورةُ الرُّطَبِ والفاكِهةِ للشيءِ المُتعجِّل منه وتقولُ أنا أُبكِرُ العشيَّةَ فآتيكَ اي أُعجِّلُ ذٰلكَ وأُسرِعُهُ ولَمْ يُرِدِ الغُدُوَّ الا تَراهُ يقولُ بَعْدَ وَهْنٍ اي بعدَ نَوْمةٍ . والنَّدى السَّخاءُ والعطاءُ فلامَتْهُ في ذلك وامرَتْه بالإمساكِ .

بَسْلٌ عليكِ حرامٌ عليكِ وكذلك قول زُهَيرٍ

بِلَادٌ بِهَا نَادَمْتُهُمْ وَأَلِفْتُهُمْ فَإِنْ تُقْوِيَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمَا بَسْلُ

قالَ ابو حاتِمٍ هِيَ بَسْلٌ وهما بَسْلٌ وهُنَّ بَسْلٌ الواحدُ والاثنانِ والثلثةُ والذكَرُ والأُنثى فيهِ سَواءٌ كما يُقال رجلٌ عدلٌ وامرأةٌ عدلٌ ورَجُلانِ عدلٌ وامرأتانِ عدلٌ وقومٌ عدلٌ . وساغِبٌ جائعٌ يقول فلا أُصرُّ نُوقي وابنُ عمّي جائعٌ حتّى أَزوِيَهُ . والسَّغَبُ الجوعُ . والإِبَةُ الخِزْيُ والحياء يُقالُ خزِيتُ مِنَ الشيءِ اي استحيَيتُ منهُ . قالَ وقلتُ لأعرابيَّةٍ بالعُيونِ بنْتِ مائةِ سنةٍ مالكِ لا تأتِينَ أهلَ الرُّفقةِ فقالتْ إنّي أخزى ان أَمشيَ في الرِّفاقِ اي أستحي ويُقال اتّأَبتُ مِن الشَّيءِ استحيَيتُ مِنهُ مثل اتَّعدتُ واتَّقيتُ والأصلُ مِن وقَيتُ ووعدتُ ويُقالُ أَوْأَبتُ الرجلَ فاتَّأَبَ أَيْ أَحشمتُهُ فاحتَشَمَ يدغمونَ الواوَ في التّاءِ بعدما يقلبونَ الواو تاءً وكذلك اتّعدنا هو مِنَ الوعدِ وقالوا التُّخَمةُ والتُّكلانُ والتَّولَجُ وأَصلُ هاؤلاءِ التّآتِ الواوُ فقلبوا لِغيرِ ادغامٍ لانَّ قولَهُم اتَّعدَ كرِهوا فيهِ أنْ يقولوا إيتَعدَ فتنقلبُ ياءً او ياتَعدُ فتنقلبُ أَلِفًا ويُوتَعدُ فتنقلبُ واوًا فكرِهوا هذا التقلُّبَ فجاؤوا بالتّاءِ وهو حرفٌ جَلْدٌ لا ينقلبُ والإِسمُ التُّؤَبَةُ على وزنِ التُّخَمَةِ . ويُقالُ إنَّ الطعامَ تُؤَبَةٌ يقول يَستحي الانسانُ اذا دُعِيَ اليهِ فُجاءَةً . العابُ والعَيبُ لغتانِ كما يُقالُ القارُ والقِيرُ والقادُ والقِيدُ والذّامُ والذّيمُ ويقال هُوَ منّي قادُ رُمحٍ وقِيدُ رُمحٍ . وقالَ بعضُ العربِ إنَّ الرَّجزَ لَعابٌ اي لَعَبٌ . والرَّجزُ ارتِعادُ مؤخّرِ البعيرِ

عندَ ٱلنُّهوضِ يقال ناقةٌ رَجزَاءُ وبعيرٌ أَرجزُ وذلك عيبٌ قالَ ابو ٱلنَّجم يصفُ امرأَةً

تَجِدُ ٱلقِيَامَ كَأَنَّمَا هُوَ نَجْدَةٌ حَتَّى تَقُومَ تَكَلُّفَ ٱلرَّجْزَاءِ

اي تَنهَضُ مِن ثِقَلِ عَجِيزتها في شِدَّةٍ. والنَّجْدَةُ الشدَّةُ. والبَسْلُ الحَلَالُ وَهٰذَا ٱلحَرْفُ مِنَ الأَضدَادِ قال عبدُ ٱللهِ بنُ هَمَّامٍ

زِيَادَتَنَا نُعْمَانُ لَا تَحْرِمَنَّنَا تَقِ ٱللهَ فِينَا وَٱلكِتَابَ ٱلَّذِي تَتْلُو

أَيُثْبَتُ مَا زِدْتُمْ وَتُلْقَى زِيَادَتِي دَمِي إِنْ أُسِيغَتْ هٰذِهِ لَكُمُ بَسْلُ

قال ابو ٱلحَسَن وَيُرْوَى أُجِيزَتْ وَأُحِلَّتْ أَي حَلَالٌ. ويُرْوَى لا تَمْحُوَنَّهَا تَنصِبُ زِيَادَتَنَا وانْ شَغَلْتَ ٱلفِعْلَ بِٱلهَاء لِأَنَّهُ نَهيٌ كقولك زَيدًا لا تَضرِبْهُ. تَقِ ٱللهَ يُرِيدُ ٱتَّقِ ٱللهَ فَحَذَفَ إِحْدَى ٱلتَّاءَيْنِ مَعَ ٱلأَلِفِ ٱستخفافًا وَلَا يُصنَعُ هٰذَا بِكُلِّ مَا أَشْبَهَهُ وقد جاءَ ايضًا انشدناه ابو زَيدٍ هكذا

تَقُوهُ أَيُّهَا ٱلفِتْيَانُ إِنِّي رَأَيتُ ٱللهَ قَدْ غَلَبَ ٱلجُدُودَا

ويُرْوَى ٱلجُنُودَا وَلَو قَالَ تحرِمَنَّنَا ٱتَّقِ ٱللهَ فَجعلَ نِصفَ ٱلبَيْتِ فِي ٱلتَقْطِيعِ التَّاءَ الأُولَى ثُمَّ ٱستَأْنَفَ مِنْ تَقِ ٱللهَ جَازَ وَقَدْ حَذَفَ قَوْمٌ ٱلتَّاءَ ٱلأُولَى من يَتَّقِي ٱللهَ فقالوا يَتَقِي وانْشَدَ وَهُو سَاعِدَةُ بنُ جُؤَيَّةَ الهُذَلِيُّ

يَتَقِي بِهِ نَفَيَانَ كُلِّ عَشِيَّةٍ فَٱلْمَاءُ فَوْقَ سَرَاتِهِ يَتَصَبَّبُ

وَسِلَابٌ عَصَائِبُ سُودٌ يقالُ ٱمرَأَةٌ مُسَلِّبَةٌ اذا لَبِسَتِ ٱلسَّوَادَ

(٥)

قَال ابو زَيد قال حُيَيُّ بنُ وَائِلٍ وأَدرَكَ قطَرِيَّ بنَ الفُجَاءَةِ الخَارِجيَّ احدَ بني مَازِنٍ

أَمَا أُقَاتِلُ عَنْ دِيني عَلَى فَرَسٍ ولا كَذَا رَجُلًا إِلَّا بأَصْحَابِ [١]

لَقَدْ لَقِيتُ إِذًا شرًّا وادرَكَني ما كُنْتُ أَزْعُمُ في خَصْمِي مِنَ العَابِ

يُرِيدُ العَيْبَ ابو حاتم قولُهُ أَمَا مُخَفَّف المِيم مَفتُوح الالف وقوله رَجُلًا معناهُ راجِلًا كما يقول العَرَبُ جاءَنا فُلَان حافِيًا رَجُلًا اي رَاجِلًا كأَنَّهُ قال أَمَا أُقَاتِلُ فارِسًا ولَا كما انا رَاجِلًا الّا ومعي أَصْحَابِي فلَقَدْ لَقِيتُ إِذًا شرًّا اي إِنِّي أُقَاتِلُ وَحدِي ويُقَالُ راجِلٌ ورِجالٌ قال اللهُ جلَّ وعزَّ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا او رُكْبَانًا فَرجَّالَةٌ ورَجْلٌ وكذلك يأتوكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ اي رَجَّالَةً ويُقَالُ رَاجِلٌ ورَجْلَةٌ ورَجْلٌ ورُجَالٌ ورُجَالَى خفيفة الجيم . والعَابُ يُرِيدُ العَيْبَ ويقال بَوْعٌ وبَاعٌ وصَوْعٌ وصَاعٌ

---

(١) قال ابو الحَسَن وروى غَيرُ أَبي زَيد ان حييًّ بن وائلٍ خَرَج رَاجلًا يقاتِل السُلطَان فقيل له أَتَخْرُجُ راجلًا تُقاتل فقال

اما اقاتِلهم الّا عَلَى فرسٍ وَلا كَذا رَجُلًا إِلَّا بأَصْحابِ

النَّصّ موجَّهًا :

نبسط ههنا ما اخترناه من النوادر ، موزعًا على الفِقَر المناسبة للمقولات ، ومضبوطًا بالشكل اللازم ، وعلامات الترقيم التي تحدد العلاقات بين المفردات والجمل والسياق العام للعبارات ، مع زيادات محددة بأقواس معقوفة . ثم نعلق عليه بما في النسخ المخطوطة والمطبوعة من خلاف ،[١] عدا أوهام الإملاء والترقيم ، وبالمعلومات التي توجه مسائله ومشكلاته وقضايا الخلاف فيه ، مختومة بالإحالة على المصادر والمراجع الكافية .

ولبيان مرجعيّة الخلافات في النسخ المذكورة ، نجعل نسخة عاطف أفندي أصلاً لإثبات النص ، ثم نرمز بالحرف (ك) إلى نسخة كوبرلي ، وبالحرف (ش) إلى نسخة الشنقيطي ، وبالحرف (ب) إلى مطبوعة بيروت ، وبالحرف (ق) إلى مطبوعة دار الشروق .

بسم الله الرحمن الرحيم
رَبِّ أعِنْ على إتمامه[٢]
[الأسانيد والخطبة]

قال تَمّامُ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ اللَّخمِيُّ اللُّغَوِيُّ ،[٣]

---

(١) بما أنه ليست لديّ النسخ المخطوطة ، ولا صور عنها ، فسوف اعتمد في ذلك على ما جاء منسوبًا إليها في المطبوعات ، وإن كانت الثقة بما فيها غير مطَمْئنة . وما يرد في مطبوعة بيروت يمثل نسخة الفيروزآبادي غالبًا .

(٢) هذه العبارة من كلام الناسخ ، وهي لرجاء إتمام نَسخه . ش وق : « وبه العصمة والتوفيق » . ب : « وبه أستعين » . ورب أي : يا ربي . حذف حرفُ النداء مبالغة في التعظيم ، لما قد يكون فيه من إشعار بمعنى التنبيه والأمر ، وياءُ المتكلم للتخفيف ولدلالة الكسرة عليها . وأعن : فعل أمر معناه الدعاء . وعلى : للاستعلاء المعنوي .

(٣) وزن قال : فَعَلَ ، وأصله « قَوَلَ » قلبت الواو ألفًا لتحركها بعد فتح . وجملة قال تمام : ابتدائية . ووزن تمام : فَعّال ، مبالغة اسم الفاعل من مصدر : تَمٍّ ، عُبِّر به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . انظر الخاطريات ص٣٠ والمبهج ص٦ ـ ١٦. وأصله « تَمْمام » أدغمت الميم الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا ، وحذف التنوين مع همزة « ابن » للتخفيف . وكذلك يكون الحذف فيما يشبه هذا التركيب بعد . وبنُ : صفة لتمام مرفوعة ومضافة . وهو على وزن : افع ، أصله « بَنَيٌ » على وزن : فَعَلٌ ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : بُنِيَ ، حذفت منه الياء للتخفيف على غير قياس وزيدت الهمزة في أوله للتعويض . وعبد : فَعْل ، بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة من مصدر : عَبُدَ ، أي : أعرقَ في العبودية وذلّ وخضع ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . والسلام : من أسماء الله مصدر : سَلِمَ ، أبدلت لام التعريف فيه سينًا وأدغمت في السين الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا ، وبقيت اللام في الرسم اصطلاحًا . وبنِ : صفة لعبد . =

رَحِمَهُ اللهُ :(١)

قـرأتُ علـى أبي إسـحاقَ إبـراهيمَ بـنِ مُحمَّـدٍ(٢) بـنِ أحمَـدَ بـنِ بَسّـامٍ ، بفُسـطاطِ مِصـرَ ،(٣) قـال : أخبرَنـا أبـو الحَسَـنِ علِـيُّ بـنُ سُـلَيمانَ الأخفَـشُ ،

= ومحمد : مُـفَـعَّـل ، اسم مفعول من مصدر : حُمِّـدَ ، عُـبِّـرَ به عن الاسم العلم للمبالغة . انظر الكتاب ١ : ٢٦٧ والخصائص ٣ : ٢٧١ ـ ٢٧٣ . وأصله « مُـحَـمْـمَد » أدغمت الميم الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . وأحمد : أفْعَل ، وهو في الأصل فعل ماض بمعنى : فعلَ ما يُحمد عليه ، عُـبِّـرَ به عن الاسم العلم للمبالغة . ولهذا كان ممنوعًا من الصرف . واللخمي : المنسوب إلى قبيلة لخم بن عدي ، أي : مالك بن عدي من بني قحطان عرب الجنوب . معجم قبائل العرب ص ١٠١١ ـ ١٠١٢ . ولخم : فَـعْـلٌ ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : لَـخَـمَ ، أي : لطـمَ ، عُـبِّـرَ به عن الاسم العلم للمبالغة . التاج (لخم) والأنساب ٥ : ١٣٢ .

واللغوي : المنسوب إلى اللغة بردّ الواو المحذوفة للتخفيف ، مع حذف تاء التعويض . الأنساب ٥ : ١٣٧ . ولام التعريف في اللخمي واللغوي مدغمة أيضًا وباقية في الرسم ، وياءا النسب أدغمت أولاهما الساكنة في الثانية ، إدغامًا صغيرًا واجبًا . وكذلك نظائرهما . فالأصل « لُغَـوٌ » على وزن : فُـعَـلٌ ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : لَـغِيَ ، عُـبِّـرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . وقد حذفت منه الواو للتخفيف على غير قياس ، وزيدت التاء عوضًا من الواو . وهذا خلاف أحد قولَـي ابن جني ومن وافقه بأن الأصل « لُـغْـوَة » . سر الصناعة ص ٦٠١ ـ ٦٠٧ و٦١٥ والصحاح ومختار الصحاح والمصباح المنير واللسان والتاج (لغـو) . واللخمي واللغوي فيهما أل : حرفية موصولة للعاقل ، وهما صفتان لـتمام ، لأنهما صارتا بمعنى اسمَـي المفعول بزيادة ياءَي النسبة .

(١) انفرد الأصل بما مضى من هذه الفقرة . وجملة رحمه الله :اعتراضية بين فاعل « قال » والمفعول . وقرأت . . . وصاعٌ : في محل نصب مفعول به لـ « قال » .

(٢) على : حرف جر للاستعلاء المعنوي يتعلق بـ « قرأ » . والجملة ابتدائية في القول . وأبي : مجرور بالياء ومضاف . وإسحاق : مضاف إليه مجرور بالفتحة عوضًا من الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعُجمة . وهو على وزن : إفعال ، منقول من العربية السريانية : إضحاك ، مصدر : أضحكَ ، إلى العربية العدنانية ، لأن البشارة به أضحكت أمَّه . انظر الكتاب ٢ : ٣٤٢ والدر المصون ٢ : ٣١ والتاج (سحق) . وإبراهيم : عطف بيان لـ « أبي » . وكذلك نظائره بعد . وهو على وزن : فِعلالِـيل ، اسم علم منقول من السريانية العربية أيضًا إلى العربية العدنانية ، ممنوع من الصرف ، ومعناه : أبٌ رحيم . المحرر الوجيز ١ : ٢٠٥ وتفسير القرطبي ٢ : ٩٦ . ب : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد .

(٣) الفسطاط : مدينة بناها عمرو بن العاص بمصر بعد فتحها ـ وهي مصر القديمة ـ ثم بنيت القاهرة بجانبها ، فصار يجمعهما بلد واحد . والفسطاط هي جنوبي القاهرة الآن . انظر معجم البلدان ٤ : ٢٦١ – ٢٦٤ و٣٠١ في رسم (الفسطاط) و(القاهرة) والتاج (فسط) وأطلس تاريخ الإسلام ص ١٣٧ و١٥٥ وخطط المقريزي . وفسطاط : فُعلالٌ ، لمبالغة اسم الفاعل من مصدر : فَسَطَ ، أي : جمع ، عُـبِّـرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . ومصر : مضاف إليه مجرور بالفتحة عوضًا من الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث . وهو على وزن : فِعْـل ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : مُصِرَ ، أي : حُـدِّدَ ، عُـبِّـرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . مقاييس اللغة (مصر) . وسقط « بفسطاط مصر » من ب . وبفسطاط : متعلقان أيضًا بالفعل : قرأ . والباء : للظرفية المكانية . وجملة قال : في محل نصب مفعول به لـ « قرأ » على تأويلها بمصدر من دون حرف سابك ، إذ التقدير : قرأتُ قولَـه .

قال :(١)

أخبرَنا أبو العَبّاسِ مَحمَّدُ بنُ يَزِيدَ الأزدِيُّ ،(٢) قال : أخبرَني التَّوَّزِيُّ(٣)

---

(١) القائل هو الأخفش الأصغر ، أخذ عن المبرد وثعلب وبعض البصريين والكوفيين ، وزار مصر وحلب وتوفي سنة ٣١٥ . والأخفش : الصغير العينين مع سوء البصر ، وهو هنا لقب صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر : خَفَشَ ، عُبِّرَ بها عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . الفهرست ص ٩١ وطبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ ـ ١٢٧ ونور القبس ص ٣٤١ وإنباه الرواة ٢ : ٢٧٦ـ ٢٧٨ وكتاب الاختيارين ص ٥ ـ ٩ واللسان والتاج (خفش) . وفيه أل : حرفية موصولة للعاقل ، ولما نقل للدلالة على الاسم العلم صارت زائدة فيه للمح الأصل . وأبو : فَعُو ، أصله « أبَوٌ » بمعنى اسم الفاعل للمبالغة من مصدر : أبا ، حذفت منه الواو للتخفيف على غير قياس ، وعُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . والحسن : الفَعَل ، صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر : حَسُنَ ، عُبِّرَ بها عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . وأل : زائدة للمح الأصل .

وعليّ : فَعِيل ، مبالغة اسم الفاعل من مصدر : عَلا ، عُبِّرَ بها عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . والأصل « عَلِيْوٌ » قلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الأولى إدغامًا صغيرًا واجبًا . وجملة قال : في محل نصب حال من « أبو الحسن » . وأخبرنا أبو العباس . . . وصاغٍ : في محل نصب مفعول به لـ « قال » ، عدا « قال الأخفش » و« قال » قبلَ « وأخبرني » ، و« قال أبو الحسن » حيثما ورد ، لأنه وارد للتوكيد والبيان .

(٢) هذا هو المبرد . وهو من بني كعب بن الحارث . . . بن نصر بن الأزد بن الغوث ، أخذ عن الجرمي والمازني والسجستاني وآخرين ، نحوي لغوي أديب من شيوخ البصرة ، دخل بغداد فظهر بعلمه على ثعلب وسائر الكوفيين ، وتوفي سنة ٢٨٥ . الفهرست ص ٦٤ ـ ٦٥ وأخبار النحويين البصريين ص ٧٢ ـ ٨٢ ومعجم الشعراء ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ونزهة الألباء ص ٢١٧ ـ ٢٢٧ وطبقات ابن قاضي شهبة ص ٢٨٠ . والعباس : مثل بسّام من مصدر : عَبَسَ . وأل : زائدة للمح الأصل أيضًا . ويزيد : مضاف إليه مجرور بالفتحة عوضًا من الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل . ووزنه : يَفْعِل ، فعل مضارع ماضيه : زادَ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم للمبالغة . وأصله « يَزْيِدُ » أعل حملاً على فعله الماضي ، فنقلت حركة الياء إلى الساكن قبلها . والأزد أربعة أقسام : أزد شَنُوءة وأزد غسان وأزد السَّراة وأزد عُمان . والمبرد هو من القسم الأول . معجم القبائل العربية ص ١٥ ـ ١٦ .

والأزدي : المنسوب إلى أزد شنوءة ، صفة لـ أبو » ومثل : اللخمي واللغوي . الأنساب ١ : ١٢٠ . وأزد : فَعْل ، أصله : أسْد ، أبدلت السين زايًا . ويقال فيه أيضًا : عَسْد ، بإبدال الهمزة عينًا . وهو في الأصل لقب لـدراء بن الغوث ، صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر : أسِدَ ، أي : تشبه بالأسد ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . جمهرة النسب ٢ : ٣٦٣ والاشتقاق ص ٤٣٥ والقلب والإبدال ص ٤٤ والإبدال ص ١١٧ والتاج (أزد) و(أسد) . وجملة « قال » بعد : في محل نصب حال من « أبو » . وأخبرني التوزي ... وصاغٍ : في محل نصب مفعول به لـ « قال » ، عدا : قال الأخفش .. قال أبو سعيد ، وقال أخبرني أبو العباس ، وقال أبو سعيد .. حروفه ، و قال أبو الحسن .. أبي زيد ، وقال أبو الحسن . . . لاتضربه ، وقال أبو الحسن . . أحلت ، وقال أبو الحسن .. بأصحاب .

(٣) أبو محمد عبد الله بن محمد ، من أكابر علماء اللغة والشعر بالبصرة ، أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي والجرمي ، وتوفي سنة ٢٣٨ . والتوزي : المنسوب إلى تَوَّز ، وهي منطقة في بلاد فارس . الأنساب ١ : ٤٩١ ومعجم البلدان ٢ : ٥٢ في رسم (توّز) وأخبار النحويين البصريين ص ٨٥ ـ ٨٧ ومراتب النحويين ص ٧٥ وإنباه الرواة ٢ : ١٢٦وبغية الوعاة ٢ : ٦١ . وفيه أل : حرفية موصولة للعاقل ، ولما نقل للدلالة على الاسم العلم صارت زائدة فيه للمح الأصل . واللام والواو الأولى مدغمة كل منهما فيما بعدها . وتوز : فَعَّل ، معرَّب عن الفارسي : تَوَّج . وهو على وزن الفعل الماضي : فَعَّل ، إذ لايكون مثل هذا البناء في الأسماء . انظر الممتع ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ والمزهر ٢ : ١٣ .

وأبو حاتِمٍ السِّجستانِيُّ(١) عن أبي زَيدٍ . قال الأخفَشُ :(٢)

وأخبرَني أبو سَعِيدٍ الحَسَنُ بنُ الحُسَينِ البِصرِيُّ المَعرُوفُ بالسُّكَّرِيِّ(٣) عنِ

(١) سهل بن محمد ، نحوي لغوي مقرئ وعالم بالشعر والعروض والأدب في البصرة وله شعر جيد ، أخذ عن أبي زيد والأخفش الأوسط والأصمعي وأبي عبيدة ، وتوفي سنة ٢٥٥ . والسجستاني :صفة لـ « أبو » وفيه أل : حرفية موصولة للعاقل ، إدغمت لامها في السين . وهو المنسوب إلى سجستان ، بكسر السين وفتحها ـ والكسر أصح ـ وبكسر الجيم ، ولاية واسعة جنوب هراة بين فارس والسند . طبقات النحويين واللغويين ص ٦٤ ـ ٦٧ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ووفيات الأعيان ٢ : ٤٣٠ ـ ٤٣٣ وطبقات القراء ١ : ٣٢٠ ـ ٣٢١ وطبقات ابن قاضي شهبة ١ : ٣٦١ ـ ٣٦٤ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ . والواو : حرف عطف لمطلق الجمع . وأبو : معطوف على التوزي مرفوع بالواو ومضاف . وعن : حرف جر للمجاوزة المجازية . وأبي : مجرور بالياء ومضاف . والجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة عن الراويين قبلهما ، والتقدير : راويَينِ . وكذلك ما يلي من نظائرهما مقدراً بحسب السياق . وجائز في مثل هذا تقدير الكون الخاص . وحاتم على وزن : فاعِل ، اسم فاعل من مصدر : حَتْمَ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم للمبالغة .

(٢) زيد : فَعْل ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : زادَ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . الاشتقاق ص٢٠ . وجملة قال الأخفش : زائدة للبيان والتوكيد . وجملة أخبر : معطوفة على نظيرتها. وسقط « الأخفش » من ب .

(٣) راوية ثقة صدوق من سلالة المهلب بن أبي صُفرة مكثر عن البصريين في الرواية والتصنيف ، وعالم بالأدب واللغة والأنساب ، أخذ عن السجستاني والرياشي ومحمد بن حبيب وخلق كثير ، وتوفي سنة ٢٧٥ . وسعيد : فَعيل ، صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر : سَعْد ، عُبِّرَ بها عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . وقد حرك التنوين بالكسر لالتقاء الساكنين : التنوين ولام التعريف . والحسين : تصغير للحَسَن . انظر « الحسن » فيما مضى .

والبصري : المنسوب إلى البصرة بحذف التاء . وهي مدينة جنوبي العراق قرب الخليج العربي على نهر الأبلّة . وتلفظ بفتح الباء وكسرها وضمها ـ والفتح أفصح ـ وبسكون الصاد وكسرها أيضًا . فالنسبة إليها جائزة بالأوجه الأربعة كذلك ، ولكن المعروف هو فتح الباء وكسرها فقط . وقيل : النسبة بالكسر شاذة أو ضعيفة . وقيل : كُسرت الباء في النسبة للدلالة على حذف التاء . والقولان ضعيفان . ووزن بِصرة : فِعْلة ، بمعنى اسم المفعول المؤنث للمبالغة من مصدر : بُصِرَ ، أي : رُمِقَ وشُوهد ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . معجم ما استعجم ومعجم البلدان والروض المعطار في رسم (البصرة) والأنساب ١ : ٣٦٣ واللسان والتاج (بصر) . والصواب أن الكسر في النسبة قياسي صحيح ، لكن فيه ترك الأولى ، إذ القياس في النسبة أن تكون للأشيع في اللغة . فأنت تقول : جِهاديّ وحَيَويّ وهُجوميّ وكِتابيّ ومكّيّ وبغداديّ ومدَنيّ وخُصوصيّ ، ولاتقول : مُجاهَديّ ومَحيَويّ وهَجْميّ وكَتْبي وبكّيّ وبغذاذيّ وطَيبيّ وخَصوصيّ ، على الرغم من صحة الألفاظ المنسوب إليها في الحقلين المذكورين .

والسكري : المنسوب إلى السُّكَّر وعمله وبيعه ، وفيه أل : مثل الأخفش . وسكّر : فُعَّل ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : سُكِرَ أي : جُمِّدَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . وأصله « سُكْكَرٌ » أدغمت الكاف الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . انظر أعيان الشيعة ١٢ : ٢١٢ ـ ٢١٧ وتاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧ وإنباه الرواة ١ : ٢٩١ ـ ٢٩٣ ونزهة الألباء ص ٢١١ ومعجم الأدباء ٨ : ٩٤ ـ ٩٩ وطبقات ابن قاضي شهبة ١ : ٣٠٠ ـ ٣٠١ والبداية والنهاية١١ : ٥٤ والكامل لابن الأثير ٦ : ٦٥ وهدية العارفين ١ : ٢٦٧ والأنساب ٣ : ٢٦٦ . والبصري والمعروف : صفتان لـ « أبو » . وبالسكري : متعلقان بحال محذوفة عن نائب الفاعل المضمر في : المعروف . والباء : للمصاحبة .

الرِّياشِيِّ[١] وأبي حاتِمٍ ، عن أبي زَيدٍ ، قال أبو سَعِيدٍ :[٢] هذا كتابُ[٣] أبي زَيدِ سَعِيدِ بنِ أوسِ بنِ ثابتٍ ، مِمّا سَمِعَه مِنَ المُفضَّلِ بنِ مُحمَّدٍ الضَّبِّيِّ ،[٤]

---

(١) هو أبو الفضل العباس بن الفرج ، نحوي لغوي من أهل الأدب وعالم راوية ثقة ، عارف بأيام العرب وكثير الاطلاع ، روى عن أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة وآخرين ، وكان يحفظ كتب أبي زيد والأصمعي كلها ، وإليه الفصل فيما يختلف فيه أهل البصرة ، قتله الزنج سنة ٢٥٧ . والرياشي : المنسوب إلى رياش ، اسم جدّ لرجل من جُذام ، كان الفرج عبدًا له فنسب إليه هو وابنه . وفيات الأعيان ٣ : ٢٧ ـ ٢٨ وأخبار النحويين البصريين ص ٨٩ ـ ٩٣ وطبقات النحويين واللغويين ص ٦٧ ـ ٦٩ وإنباه الرواة ٢ : ٣٦٧ ـ ٣٧٤ ومعجم الأدباء ١٢ : ٤٤ ـ ٤٦ والأنساب ٣ : ١١١ ـ ١١٢ وتاريخ أبي الفداء ٢ : ٤٨ والفلاكة والمفلوكون ص ١١٦ وشذرات الذهب ٢ : ١٣٦ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٧ ـ ٢٨ والمنتظم : وفيات سنة ٢٥٧ .

وأصله « الـرْياشِـيْي » أبدلت اللام راء وأدغمت في الراء الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا ، وأدغمت الياء الأولى في الثانية كذلك ، وبقيت اللام في الرسم اصطلاحًا . ورياش : فِعال ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : رِيشَ ، أي : أُصلِحَ وزُيِّنَ ، عُبِّرَ به عن اسم الجنس لتوكيد المبالغة : اللباس الفاخر ، ونقل للدلالة على الاسم العلم مصاحبًا ذلك التوكيد . الاشتقاق ص ٥٣٣ واللسان والتاج (ريش) . وحركت نون « عن » بالكسر لالتقائها بسكون الراء الأولى .

(٢) جملة قال أبو سعيد : في محل نصب حال من فاعل « أخبر » قبلها ، أُقيم فيها الاسم الظاهر « أبو سعيد » مَقام الضمير العائد على نظيره قبلُ لدفع اللبس في الفاعل المقصود . وستردُ جملة أخرى مثلها بعدُ مزيدة للتوكيد وبيان أن ما بعدها هو قول السكري لا المبرد . وما مضى من النص كله لم يرد في ك وش . و« هذا . . . وصاعٌ » في محل نصب مفعول به لـ« قال » عدا « قال الأخفش » و« قال أبو الحسن » في الموضعين وما يتضمنه ذلك .

(٣) قول السكري هنا هو رواية عن الرياشي والسجستاني . وعدم تسمية الكتاب ، في أقوال السكري والرياشي والسجستاني والتوزي ، يعني أن أبا زيد لم يكن قد وضع له اسمًا ، وأنه كان إلى عهد السكري غير معروف باسم معين . وها : حرف زائد لتوكيد التنبه حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا . وذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، خبره : كتاب . وهو مرفوع ومضاف . والجملة ابتدائية في القول . وكتاب : فِعال ، مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : كُتِبَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة .

(٤) شيخ الكوفيين ثقة صدوق وأشهرهم في رواية الشعر ومعرفة الغريب وأيام العرب والنحو ، وراو للقراءات والحديث ، أخذ عن العرب وعن عاصم بن أبي النَّجود وسليمان الأعمش ومغيرة بن مقسم ، وأخذ عنه الفراء والكسائي وأبو زيد الأنصاري وابن الأعرابي ، وفي أواخر حياته صار يكتب المصاحف ويقفها في المساجد تكفيرًا لما كتبه بيده من أهاجي الناس ، توفي سنة ١٧٨ . الفهرست ص ٥٧ والأنساب ٤ : ١٠ ـ ١٢ والمقتبس ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ واللباب في الأنساب ٢ : ٨١ ونزهة الألباء ص ٥٦ ـ ٥٧ ولسان الميزان ٦ : ٨١ وطبقات القراء ٢ : ٣٠٧ وميزان الاعتدال ٢ : ٤٩٨ وتاريخ الإسلام : وفيات ١٦٨ .

وأوس : فَعْل ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : آسَ يَؤُوسُ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . الاشتقاق ص ١٣٣ والمقاييس (أوس) . وثابت : فاعِل ، اسم فاعل من مصدر : ثَبَتَ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم للمبالغة أيضًا . والمفضل : المُفَعَّل ، اسم مفعول نقل للدلالة على الاسم العلم ، من مصدر : فُضِّلَ ، أصله « المُفَضْضَل » أدغمت الميم الأولى في الثانية . وأل : حرفية موصولة للعاقل . ولما عُبِّرَ به عن الاسم العلم للمبالغة صارت أل : زائدة للمح الأصل . والضبي : المنسوب إلى قبيلة ضبة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ، مثل : اللخمي واللغوي ، وفيه إدغامات : اللام في الضاد ، والباء في الباء ، والياء في الياء . وحرك التنوين قبله بالكسر لالتقائه =

ومنَ العَرَبِ .(١)

قال أبو حاتِمٍ: قال لي أبو زَيدٍ: ما كانَ(٢) فيهِ من شِعرِ القَصيدِ(٣) فهو سَماعِي(٤)

= بسكون الضاد الأولى . وضبة : فَعْلة ، مصدر المرة بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : ضَبَّ ، أي : قبض بشدة ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . الاشتقاق ص ١٨٩ والأنساب ٤ : ١٠ .

ومما : أصله « مِنْ ما » أبدلت النون ميمًا وأدغمت في الميم التالية إدغامًا صغيرًا واجبًا . ومن : حرف جر للتبعيض : وما : اسم موصول لغير العاقل مبني على السكون في محل جر . والجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة عن : كتاب . و« من » الثانية : لابتداء الغاية المكانية تتعلق بـ« سمع » . والثالثة : كالثانية . وهي والمجرور بها : معطوفان في محل نصب ولا يعلقان . وحركت النون في الموضعين بالفتح لالتقائها بسكون لام التعريف . والواو : حرف عطف لمطلق الجمع .

(١) العرب : اسم جنس جمعي واحده عَرَبِيّ . وهو على وزن : الفَعَل ، مصدر بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة فعله : عَرِبَ ، أي : أفصحَ وجاد بيانه ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة ، ويراد به هنا بعض العرب الذين شافههم أبو زيد . ففي الدلالة هنا تخصيص من تعميم ، وأل : جنسية للاستغراق العرفي . انظر مشكلة العامل النحوي ص ٣٧ .

(٢) جملة قال أبو حاتم : استئنافية ضمن قول أبي سعيد . وقال لي . . . وصاع : في محل نصب مفعول به للفعل قبله ، عدا « قال الأخفش . . . حروفه » و« قال أبو حاتم » و« أبو حاتم » فيما يلي . وقول أبي زيد هنا ، وما رواه عنه التوزي بعدُ ، هما خطبة كتاب النوادر ، أي : المقدمة التي بيّن فيها أبو زيد مضمون الكتاب ومنهجه ومصدره في الرواية . وهذا خلاف ما قيل ، من أنه ليس للكتاب مقدمة أو بيان للمنهج . انظر ق ص ١٧ وتحليل النص النحوي ص ٤٣ ـ ٤٨ . واللام : للتبليغ حرف جر . والياء : في محل جر . والجار والمجرور متعلقان بـ « قال » قبله . والجملة ابتدائية في القول . وما كان . . . فذلك سماعي من العرب : في محل نصب مفعول به لـ « قال » قبله. وما : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ . واسم كان : ضمير مستتر جوازًا يعود على: ما . وجملة كان: صلة الموصول . ق: وما كان.

(٣) الشعر في الأصل هو الإدراكُ بالحواسّ ، والعلمُ بدقائق الأمور ، مصدر عُبِّرَ به عن اسم المفعول للمبالغة في الوصف ، أي : مشعور ، فعله : شَعُرَ ، أي : عَلِمَ . ثم نقل للدلالة على منظوم القول لشرفه عند العرب بالوزن والقافية والإيحاء والتخييل والانفعال ، فصار اسم جنس يدل على ذات لتوكيد المبالغة . فقد كان الشاعر هو العالم في القبيلة والموجه لها بالسلم والحرب ، والشعر عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حُكمهم . قال عمر بن الخطاب : « كان الشعر عِلم قوم ، لم يكن لهم علم أصح منه » . طبقات فحول الشعراء ص ٢٤ .

والقصيد اسم جنس جمعيٌّ واحدته قصيدة . وهو على وزن : فَعِيل ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : قُصِدَ ، أي : كُسِرَ بالنصف . يعني : جعل في شطرين ، فتمت أبياته ، ونُقِّح وجُوِّد وهُذِّب حتى استقام على مذهب العرب في فن الشعر ، وكان في ثلاثة أبيات فصاعدًا . وتسميته بالقريض تفيد مثل هذا أيضًا . كانت فيه أل : حرفية موصولة لغير العاقل . ولما نقل اسم المفعول للدلالة على اسم الذات للمبالغة في الوصف ، صار صفة غالبة واسم جنس جمعيًا ، وأل :لتعريف ماهية الجنس . وفي : للظرفية المكانية تتعلق بالخبر المحذوف لـ « كان » . ومن : للتبيين تتعلق بحال محذوفة عن الاسم الموصول : ما .

(٤) سماعي أي : مسموعي رواية ودراية . وسماع هنا مصدر : سُمِعَ ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة في الوصف ، خبر للمبتدأ : هو . والجملة صغرى في محل رفع خبر للمبتدأ : ما . والفاء قبلها : حرف زائد يفيد الترتب ، تشبيهًا للاسم الموصول باسم الشرط في إفادة العموم والسببية . وكذلك ما يرد بعدُ من نظائر هذا التركيب . والجملة الكبرى ابتدائية في القول ، عطفت عليها نظيرتها بعد . فهي لامحل لها من الإعراب بالعطف . ومن : لابتداء الغاية المكانية تتعلق بـ « سماع » . وكذلك نظيره بعد .

منَ المُفضَّلِ بنِ مُحمَّدٍ الضَّبِّيِّ الكُوفِيِّ ،(١) وما كـانَ مـنَ اللُّغـاتِ(٢) وأبـوابِ الرَّجَزِ(٣) فذلك سَماعِي منَ العَرَبِ .

قال :(٤) وأخـبرَني أبـو العَبّاسِ عـنِ التَّـوَّزِيِّ أنّ أبـا زَيـدٍ قـال : مـا كـانَ

(١) الكوفي : المنسوب إلى الكوفة بحذف التاء . وهي مدينة في أرض بابل من سواد العراق على نهر الفرات ، وزنها : فُعْلة ، بمعنى اسم المفعول المؤنث للمبالغة من مصدر : كِيفَ ، أي : قُطِعَت جوانبه وجُمع ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٠١ ومعجم البلدان ٤ : ٤٩٠ ـ ٤٩٤ والمقاييس والتاج (كوف) . وأل : مثل ما في اللخمي ، من دون إدغام . والضبي والكوفي : صفتان للمفضل . وسقط « الكوفي » من ب .

(٢) اللغات تفسير أبي زيد لما يورده بعدُ في أبواب النوادر . وهو جمع لغة . انظر « اللغوي » فيما مضى . والمراد باللغات هنا : كلام العرب المنثور ، من مفردات أو جمل أو عبارات ، وقد يكون فيه غريب أو نادر . وليس المراد به اللهجات ، كما يتبادر إلى الذهن . وقد سمي كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني بكتاب اللغات أيضًا ، فظن بعض المعاصرين أنه يضم اللهجات المختلفة . انظر إنباه الرواة ١ : ٢٢٧ ووفيات الأعيان ١ : ٢٠١ ودراسات لغوية ص ٢١٦ ـ ٢١٧ . أما النادر من الكلام فما قلّ استعماله في ألسنة العرب الفصحاء . وقد غُلِّب في تسمية تلك الأبواب لتميزه فيها أحيانًا ولشهرة بعض الكتب بهذا الاسم . وأما النوادر فما قلّ تداوله بين الفصحاء من شعر أو رجز أو نثر . هذا هو المشهور بين الناس . ولذلك ظُنّ أن أبواب« النوادر » في كتاب أبي زيد تتناول ألفاظًا وعبارات واستعمالات غريبة ، لاتجري على القواعد المعروفة ، ولا على اللغة الشائعة الاستعمال . المعجم العربي ص ١٣٩ . والحق أن مضمون تلك الأبواب أكثره معروف شائع متداول بين العرب ، والقليل جدًّا هو النادر بينهم . ونادرة : فاعِلة ، اسم فاعل مؤنث من مصدر : نَـدَرَ ، عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة .

(٣) الأبواب : جمع قلة للباب ردّت الواو فيه لزوال موجب القلب في « باب » . وهو حركة الفتح قبل الواو . والرجز : نوع من الشعر على بحر مخصوص ، يكون تامًّا ومشطورًا ومنهوكًا ومقطعًا ، في بضعة أبيات ، ثم طال فصار يقال للقطعة منه : أُرجوزة ، وكثر فيه الغريب والزحافات والعلل والمشطور والمنهوك لدى المشهورين من الرجاز ، مع ما يكون فيه من توالي الحركات والسكونات بكثرة ، مما يشعر بأن اسمه هذا مصدر : رَجِزَ البعير ، إذا أصابه الرجز . وهو في الأصل عيب ، أي :داء يصيب الإبل في أعجازها ، تضطرب وترتعد رِجل البعير أو مؤخّره عند النهوض . أي : أنه مصدر بمعنى الصفة المشبهه للمبالغة ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ومن ثَم أخرجه الخليل من حياض الشعر إذا كان أنصاف أبيات أو أثلاثًا ، وجعل بعض القدماء ذاك من النثر . وقيل أيضًا :« إن الرجز حمار الشعر » . انظر العين واللسان والتاج (رجز) والعمدة ص٣٣٩ ـ ٣٤٦ ورسالة الغفران ص ٣٧٣ ـ ٣٧٦ والوافي في العروض والقوافي ص ١٠٢ ـ ١٠٨ ومصطلحات النقد العربي ص ١٣٥ ـ ١٣٨ والمرشد ص ٨٣١ وتطور مشكلة الفصاحة ص ١٠٤ .

(٤) أي : قال الأخفش . وهذه الفقرة ليست في ك وش . وأخبر : أفـعَـلَ ، فعل ثلاثي مزيد فيه حرف واحد قبل الفاء للتعدية . والنون : حرف وقاية . والياء : ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول مقدم . وأنّ : مصدرية للتوكيد حرف مشبه بالفعل : وأبا : اسم « أنّ » منصوب بالألف ومضاف . وجملة قال : في محل رفع خبر : أنّ . والمصدر المؤول من « أنّ » ومعموليها في محل نصب مفعولين ثان وثالث ل « أخبر » . وما كان . . . من العرب : في محلِ نصب مفعول به ل « قال » قبله .

فيهِ من رَجَزٍ فهو سَماعي منَ المُفضَّل ، وما كانَ فيهِ من قَصيدٍ أو لُغاتٍ فهو سَماعِي منَ العَرَبِ .(١)

(١) في هذه الفقرة والتي قبلها روايتان للأخفش ، تفصّلان مصادر أبي زيد في مضمون هذا الكتاب : أولاهما عن السكري عن أبي حاتم ، تجعل الشعرَ عن المفضل واللغاتِ والرجزَ عن العرب ، والثانية عن المبرد عن التوزي ، تجعل الرجزَ عن المفضلِ والشعرَ واللغات عن العرب . وكلتاهما مرويتان عن أبي زيد نفسه ، إملاء على أنهما من خطبة الكتاب ، متفقتان في مصدر اللغات ، ومختلفتان في مصدر الشعر والرجز . فما اتفقتا فيه كان محققًا ، والمسألة هي مشكلة الخلاف . وإنك لترى أن أبا حاتم يقول في الأولى : « قال لي أبو زيد » ، والتوزي يذكر في الثانية : « أن أبا زيد قال » . وإذا تصفحت درجات السماع وجدتها تتوالى مراتبها من قِمّة التوثيق إلى دركات الضعف ، كما يلي : قال لي ، فحدثنا وحدثني ، فأخبرنا ، فأنبأنا ، فقال أو ذكر ، فقيل أو روي . ودرجات النقل تتوالى أيضًا على الشكل التالي : السماع من الشيخ ، فالقراءة عليه ، فالإجازة منه ، فالمناولة منه ، فالمكاتبة منه ، فالوصية منه ، فالوجادة عنه . علوم الحديث ص ١١٨ ـ ١٦٠ والمزهر ١ : ١٤٤ ـ ١٧٠ . والظاهر من عبارتَي الخلاف المذكور هنا أنهما متفقتان في قيمة النقل بأنهما عن أبي زيد مباشرة ، ثم ترى الأولى واردة في السماع بصيغة « قال لي » ، والثانية وارِدة بصيغة « قال » ، وبينهما ثلاث درجات في المرتبة العلمية للترجيح . وهذا يعني أن الأولى هي الراجحة والمقدمة في الميزان العلمي ، وما جاء مخالفًا لها في الثانية مردود لا قيمة له .

ويؤكد هذه النتيجة أن الرواية الثانية لم ترد في بعض النسخ ، فقد خلت منها نسختا كوبرلي والشنقيطي . هذه واحدة . ثم ها أنت ذا تتصفح الكتاب كله ، فلا تـقـف على ذكر للمفضل في روايات للنوادر ، وإذا ورد في باب النوادر كان لرجز كما في ص ٩٧ . وانظر ص ٨١ و٩٣ . . . وهذه ثانية . أما الثالثة فأن الشعر الذي أورده أبو زيد كثيرًا ما يروى عن المفضل ، كما في ص ٢ و١٩ و٣٣ و٥٣ و١٠٩ و١٣٩ و١٤٤ و١٤٦ و١٤٧ و١٧٦ و٢٠٨ ، وبعضه عن غير المفضل من دون ذكر للعرب ، كما في ص ٢٢ و١١١ و١١٥ و١٦٢ و١٦٣ و١٧٥ و١٧٦ و١٧٦ . وكان أبو زيد قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل . تهذيب اللغة ١ : ١٢ . وأما الرجز فكثيره عن المفضل ، كما في ص ٥١ و٥٨ و٥٩ و٦٠ و١٠٥ و١١٤ و١٦٤ ، وقليله عن غير المفضل أيضًا ، كما في ص ٧٥ و١٦٥ . وفي ص ٥٧ ـ ٨١ باب رجز سماع أبي زيد من العرب ، وفيه بعض الرجز أيضًا عن المفضل . وانظر ص ٦٨ ـ ٦٩ من ق . أضف إلى هذا أن أبا سعيد السيرافي (ت ٣٦٨) ـ وهو قريب عهد بأبي زيد وكتابِه المذكور ـ يقول في أخبار النحويين البصريين ص ٤٥ : « وعامة كتاب النوادر لأبي زيد عن المفضل » . وقد نقل هذه العبارة أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧) في نزهة الألباء ص ١٢٧ . والمراد من هذه المقولة أن النصوص الواردة في متن الكتاب وأصلِه من دون تعليقات الشرّاح أكثرها شعر ورجز ، وللمفضل فيها الكثرة الغالبة عامة كما ذكرنا ، ونصوص النوادر مجردةً من التفسير وتعليقات الشُّرّاح أيضًا قليلة نسبيًّا ، وهي عن العرب حصرًا . فلا عجب أن تكون للمفضل غلبة في النصيب من الكتاب .

وهذه التفصيلات كلها ، على ما ترى ، تحقق ما ذهبنا إليه من ترجيح قول السجستاني على ما جاء من خلاف لها في مقولة التوّزي ، وتكاد تقطع بأن في هذه الثانية وهمًا دخل عليه أو على المبرد أو الأخفش ، حين التلقي أو الرواية . أما ما قيل من أن الشعر والرجز هما عن المفضل والأعراب ـ المعجم العربي ص ١٣٩ ـ فتعميم بعيد عن الصواب ويحتاج إلى تفصيل ودليل . ثم لاننسَ أن تقسيم الأبواب ، في الكتاب ، لم يكن بينها بتمييز دقيق أو كامل ، إذ ربما وقع في أبواب النوادر شعر أو رجز ، وفي أبواب الشعر رجز ونوادر ، وفي أبواب الرجز نوادر وشعر ، وقد ترى الشعر والرجز كثيرين في باب النوادر ، كما في ص ١٨٧ ـ ١٩٢ . ولكن الغالبيةَ العظمى لمرجعيّـة تلك الأصناف الثلاثة هي كما فصلنا قبلُ ، وعامةَ توزيع الأبوابِ تحقق العناوين المعقودة لها .

قال أبو سَعيدٍ :(١) وكان العَبّاسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشيُّ يَحفظُ الشِّعرَ(٢) الّذي في هذا الكتابِ ، كما يَحفظُ السُّورةَ منَ القُرآنِ،(٣) وقال لي : حَفِظتُه [في] زمنِ أبي زَيدٍ ،(٤) وحَفِظتُ كتابَ « الهَمزِ » لأبي زَيدٍ ، وقرأتُه علَيه حِفظًا ،(٥) وكنتُ

---

(١) سقط « قال أبو سعيد » أيضًا من ك وش ، وهو توكيد لنظيره قبل وبيان لامحل له من الإعراب . فالجملة التالية لها وجهان : إذا جعلتَ للتوكيد حضورًا في التركيب فالواو حرف زائد لوصل الكلام بما قبل القول ، والجملة التالية ابتدائية في القول . وإذا ألغيتَ حضور التوكيد في التركيب ـ وهو الصواب ـ كانت الواو حرف عطف ، والجملة معطوفة على جملة : قال أبو حاتم ، والفقرة الماضية مقحمة بينهما للاعتراض .

(٢) يعني الشعر الذي رواه أبو زيد فقط ، وليس منه ما جاء في الشروح من زيادات الشُّرّاح . وفاعل يحفظ : ضمير مستتر جوازًا يعود على العباس . والجملة صغرى في محل نصب خبر : كان . و« أل » في الشعر : عهدية ذكرية ، أبدلت اللام شينًا وأدغمت في الشين الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا ، وبقيت في الرسم اصطلاحًا . والذي : اسم موصول لغير العاقل مبني على السكون في محل جر صفة للشعر ، وأل : زائدة لازمة للتزيين اللفظي . فالاسم وحده هو الصفة ، لا الاسم مع صلته ، خلافاً لمن وهم في ذلك . انظر شرح الألفية للمرادي ص ١٢٦ والمغني ص ٤٥٧ والمفصل في تفسير القرآن العظيم ص ١٤ . وفي : للظرفية المكانية تتعلق بفعل الصلة المحذوفة ، وتقديره : استقر . والعباس : الفَعّال : مبالغة اسم الفاعل من مصدر : عَبَسَ ، أدغمت منه الباء الأولى وجوبًا في الثانية ، ونقل للدلالة على الاسم العلم لتوكيد المبالغة . وأل : زائدة للمح الأصل . والفرج : الفَعَل ، مصدر بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة فعله : فَرِجَ ، مثل : عباس .

(٣) الكتاب : بدل من « ذا » مجرور . وأل : عهدية حضورية . والسورة : قطعة من القرآن الكريم مسمّاة باسم خاص توقيفًا من النبي ﷺ ، تشتمل على آيات ذات فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات . وهي على وزن : فُعْلة ، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة من مصدر : سارَ ، أي : علا وأحاط ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . وأل : لتعريف الأفراد من الجنس . ومن : للتبغيض حرف جر يتعلق بحال محذوفة عن : السورة . وحركت النون بالفتح لالتقائها بسكون لام التعريف بعدها . والقرآن : الوحي المنزَّل على محمد ﷺ ، لبيان العقيدة والعبادة والعمل والأحكام الشرعية والأخبار الصادقة وعلوم الكون والحياة ، ولإعجاز العرب في البلاغة . وهو مصدر : قُرِئَ ، فيه معنى المبالغة ، عُبِّرَ به عن اسم المفعول لتوكيد المبالغة و« أل » تكون فيه حرفية موصولة لغير العاقل ، ثم نقل للدلالة على اسم الذات لتوكيد على توكيد ، فصارت أل : زائدة للمح الأصل . انظر البرهان في علوم القرآن ١ : ٢٦٣ ـ ٢٧٨ والإتقان في علوم القرآن ١ : ١١٥ ـ ٢٢٢ ومعجم القراءات القرآنية ١ : ١٢٤ ـ ١٢٥ . والكاف : للتشبيه اسم بمعنى : مثل ، مبني على الفتح في محل نصب مفعول مطلق نائب عن مصدر الفعل« يحفظ » قبله ، لبيان النوع وتوكيد المصدر المضمن في ذلك الفعل ـ انظر شرح الكافية للرضي ١ : ١٢٢ ـ وهو مضاف . وما : حرف مصدري . والمصدر المؤول من « ما » وما بعدها في محل جر مضاف إليه ، والتقدير : حفظًا مثلَ حفظه .

(٤) اللام : للتبليغ حرف جر يتعلق بـ « قال » . والجملة معطوفة على جملة : كان العباس... يحفظ الشعر . وفي : للظرفية الزمانية حرف جر يتعلق بـ « حفظ » . والجملة ابتدائية في القول . وأبي : مضاف إليه مجرور بالياء ومضاف . وزيد : مضاف إليه مجرور . وفي الأصل : « حفظته زمنَ أبي زيد » . والزيادة من ك وش وب وق . وزمن على وزن : فَعَل ، مصدر بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة من مصدر : زَمِنَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة .

(٥) جملة حفظت : معطوفة على الابتدائية قبلها ، لا محل لها من الإعراب بالعطف . وكذلك جملتا : قرأت وكنت أعد . والهمز هنا : ما يُهمز من الكلام ، مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : هُمِزَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة ، ثم نقل للدلالة على الاسم العلم لتوكيد على توكيد . وأل : زائدة للمح الأصل . واللام : للاختصاص حرف جر يتعلق بحال محذوفة عن : كتاب الهمز . وعلى : للاستعلاء المعنوي حرف جر يتعلق بـ « قرأ » . وحفظًا : مفعول مطلق نائب عن مصدر : قرأ ، لبيان النوع والتوكيد أيضًا . والتقدير : قراءةَ حفظ . ولما حذف المضاف قام المضاف إليه مقامه .

أعُدُّ حُروفَه .(١)

بابُ شعر

[أخبرَني الرِّياشِيُّ ، قال : أخبرَنا] أبو زَيدٍ قال :(٢) أنشَدَني المُفضَّلُ

(١) كنت : فعل ماض ناقصٌ مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك . والتاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع اسم : كان . ووزن كنت : فُـلْـتُ ، فعل ثلاثي مجرد أجوف واوي ، أصله « كوَنَ » . ولما اتصل بضمير رفع متحرك نقل إلى : فَعَـلَ ، إلى : فَـعُـلَ ، فصار : « كوُنتُ » ، نقلت حركة الواو إلى ما قبلها ، فحذفت الواو لالتقائها بسكون النون . وأعد : أفـعُـلُ ، ماضيه : عَـدَّ ، فعل ثلاثي مجرد مضعف ، أصله « أعْـدُدُ » نقلت حركة الدال الأولى إلى الساكن قبلها ، وأدغمت الدال في الثانية إدغامًا كبيرًا واجبًا . والجملة : فعلية صغرى في محل نصب خبر : كان . وجملة كنت أعد : فعلية كبرى ذات وجه واحد . والحروف : جمع حَـرف . والمراد بالحروف هنا هو الكلمات . وأعدها أي : أُحصيها وأعرف عددها . وحَـرْف وزنه : فَـعْـل ، مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : حُـرِفَ ، أي : قُـطِـعَ ، عُـبِّـرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . الجنى الداني ص ٢٣ والتاج (حرف) . وحفظته . . حروفه : في محل نصب مفعول به لـ « قال » قبله .

(٢) بدأ الباب في الأصل وب كما يلي :« قال أبو زيد » . وما أثبتنا من العبارة مع ما قبله بين معقوفين هو من ك وش وق . وكلتا العبارتين تعني أن ما يرد هنا رواه التوّزي والسجستاني والرياشي : أولاهما بالتعميم المستفاد مضمونه مما مضى قبل الباب ، وهي رواية الأخفش عن المبرد والسكري كليهما ، والثانية بالقول :« أخبرني . . . أخبرنا » ، وهي من رواية السكري وحده . وانظر ص ٣٢ من أضداد أبي الطيب . ونص أبي زيد هنا ، مع بعض ما فيه من الشعر والنثر ، تراه في أخبار النحويين البصريين ص ٤٥ وأمالي القالي ٢ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ونزهة الألباء ص ١٢٧ . وفي النثر خلاف كثير بين النصوص المنقولة هناك . وانظر السمط ص ٦٣١ و٦٦١ و٩٢٢ ـ ٩٢٤ والمزهر ١ : ١٢٩ . وباب : خبر مرفوع ومضاف مبتدؤه محذوف ، والتقدير : هذا باب شعر . والجملة استئنافية ضمن مقولات الأخفش والمبرد والتوزي والسجستاني والسكري والرياشي وأبي زيد .

والباب : فُرجة في حاجز تَـنـقـل من ظاهر إلى خفي ، أي : من معلوم إلى مجهول يُكتشف ويُعلم . فهو في الأصل ما يُتوصّل به إلى الشيء التالي ، وأصله لباب الدار ثم صار بابًا في الكتاب ، ليوصل به إلى مقاطع متميزة متسلسلة هي الفصول . وقد تستغني بعض الكتب عن الفصول وتكتفي بالأبواب . انظر الكليات ١ : ٤٣٢ والتوقيف ص ١٠٩ وتحليل النص النحوي ص ٣٢ ـ ٤٠ . وباب وزنه : فَـعَـل ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : بِـيبَ أي : قُسم ، عُـبِّـرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . لغة العرب ١ : ١٢٤ . وأصله « بَـوَبٌ » قلبت الواو ألفًا لتحركها بعد فتح .

و« أخبرنا . . . وصاع » : في محل نصب مفعول به لـ « قال » قبله ، عدا ما أقحمه أبو حاتم والأخفش ، وهو كثير جدًّا وبعضه من كلام أبي زيد ومتصرف فيه ، كما سنذكر بعد . و« أنشدني . . . وصاعٌ » : كذلك للفعل قبله ، أي : من قول أبي زيد بعضه لا كله . وسوف نشير إلى ما هو ثابت من قوله . والياء : ضمير متصل في محل نصب مفعول أول مقدم . ولضمرة : متعلقان بحال مقدمة محذوفة عن المقطوعة الشعرية التالية ، عدا ما أقحمه الأخفش فيها ، والأبيات الثلاثة في محل نصب مفعول به ثان لـ « أنشد » . وجاء في مطبوعتَي أمالي القالي : « وقرأت بعض هذه الأبـيات على أبي بكر بن دريد ، في كتاب النوادر لابن دريد » . والمعروف أن ابن دريد ليس له كتاب نوادر ، وأن له كتاب أمالٍ ، منه بقية تحت عنوان : « تعليق من أمالي ابن دريد » ، نشرت في الكويت سنة ١٤٠٤ ، انظر منها ص ٣٢ ـ ٦١ ، والنص ليس فيها . ثم إن القالي حمل معه إلى الأندلس نوادر أبي زيد ، ولم يَرد فيما حمله ذكر نوادر لابن دريد . وقد نص القالي نفسه على أنه روى نوادر أبي زيد عن ابن دريد . انظر فهرست ابن خير ص ٣٧١ و٣٩٨ ـ ٤٢٥ و٤٦٥ ـ ٥٣٨ . فالظاهر أن العبارة في الأمالي محرفةُ الآخِـر ، وصوابه : « لأبي زيد » ، بدليل ما جاء عن أبي زيد بعد قليل هناك . ولو كان ما فيها مقصودًا لقيل : « في كتاب نوادره » بضمير الغائب ، بدلاً من تكرار : ابن دريد .

لِضَمرةَ بنِ ضَمرةَ النَّهشلِيِّ ، وهو جاهلِيٌّ :(١)

١ ـ بكَرَتْ تَلُومُكَ ، بَعدَ وَهْنٍ ، في النَّدَى
بَسْلٌ عَلَيكِ مَلامتِي ، وعِتابِي(٢)

---

(١) الشاعر اسمه شِقّةُ ، ولقّبه النعمانُ بن المنذر ضمرةَ لدمامته وقصره وهزاله ، وزعم ابن الأعرابي أنه كان قبل الإسلام بخمسمائة سنة . وهو من بني تميم ويعرف بالـمُعَيديِّ المشهور في الـمَثَل ، كان شاعرًا وخطيبًا وفارسًا شريفًا سيدًا أبرص ، وأحدَ حُكّام تميم المشهورين ـ وقيل : هو أول من ارتشى من حكام الجاهلية ـ وأبوه سيد وشاعر ، وابنه حريّ وحفيده نهشل وابن حفيده حريّ سادة شعراء . وضمرة : فَعْلة ، مصدر المرة بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : ضَمَرَ ، أي : هُزِلَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات جلدة السخلة من المعز لتوكيد المبالغة ، ثم نقل للدلالة على الاسم العلم لتوكيد على توكيد . وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث . الاشتقاق ص ١٧٤ و٢٤٤ والمقاييس واللسان والتاج (ضمر) . وسقط « وهو جاهلي » من نزهة الألباء ، ومع « النهشلي » من الأمالي .

والنهشلي : المنسوب إلى نهشل بن دارم من بني تميم . الأنساب ٥ : ٥٤٦ ومعجم القبائل العربية ص ١١٩٧ . ونهشل : فَعْلَل ، اسم رباعي مجرد ، صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر : نَهْشَلَ ، أي : أسَنَّ واضطرب من الكبَر ، عُبِّرَ به عن اسم الذات الصقر والذئب لتوكيد المبالغة ، ثم نقل للدلالة على الاسم العلم لتوكيد على توكيد . الاشتقاق ص ٢٤٣ والمبهج ص ٤٧ و١٢٤ . والجاهلي : المنسوب إلى الجاهلية بحذف التاء والياءين ، أي : الذي عاش ومات فيها . وهي عهود الشرك والكفر والجهل والطيش للعرب غالبًا قبل الإسلام ، مصدر صناعي للفعل : جَهِلَ ، يفيد المبالغة في الوصف ، مصوغًا بالنسبة إلى : الجاهل . وهو اسم فاعل من الجهل . فقد التقى في النسبة الثانية أربع ياءات ، فحذفت الأوليان للتخفيف . تصريف الأسماء والأفعال ص ٢٣٧ . وجملة هو جاهلي : اعتراضية في المقولات .

والمقطوعة الشعرية هذه نسبت إلى حرّيّ بن ضمرة في الوحشيات ص ٢٥٦ ، وهي من البحر الكامل ، والقافية من المتواتر ، مردفة بالألف ومطلقة موصولة بـمدّ هو الياء ، ورويها الباء . أمثال العرب للضبي ص ٨ ـ ٩ ونقائض جرير والفرزدق ١ : ١٣٩ وأضداد السجستاني ص ١٠٤ والبيان والتبيين ٢ : ٢٣٧ ـ ٢٣٨ والبرصان والعرجان والعميان والحولان ص ٩٥ ـ ٩٦ وطبقات فحول الشعراء ص ٥٦ ـ ٥٧ والمحبر ص ١٣٤ و٢٩٩ ونوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٥ والفاخر ص ٦٥ ـ ٦٨ والشعر والشعراء ص ٦١٩ ومجالس ثعلب ص ٥٣٦ والأغاني ١٠ : ٢٥ والاشتقاق ص ٢٤٤ وأمالي الزجاجي ص ٢٠٠ والزاهر ١ : ٢٤٧ ـ ٢٥٠ وأضداد ابن الأنباري ص ٦٣ والإبانة ٢ : ٢٣٨ وأضداد أبي الطيب ص ٣٢ ـ ٣٥ وإبداله ص ٥٣٦ والعقد الفريد ٢ : ٢٨٧ ـ ٢٨٨ وشرح الحماسة للشنتمري ص ١٢٨ وفصل المقال ص ١٣٦ ـ ١٣٧ والسمط ص ٩٢٢ وجمهرة الأمثال ١ : ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وشرح ديوان أبي تمام ٤ : ٣٥٣ وشرح اختيارات المفضل ص ١٣٦٧ وشرح الحماسة ١ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ والأزمنة والأمكنة ١ : ١٦٠ ومجمع الأمثال ١ : ١٢٩ ـ ١٣٠ واللسان والتاج (بسل) و(معد) و(عري) ونهاية الأرب ٢ : ٣٤٤ والخزانة ١ : ٢٤٣ وشرح أبيات المغني ٤ : ١٢٩ وبلوغ الأرب ١ : ٢٩٧ ـ ٣٠١ و٣١٦ والوافي في العروض والقوافي ص ١٩٥ ـ ٢٠٤ وسفينة الشعراء ص ١٣١ ـ ١٤٧ .

(٢) في « بكرت » ضمير ليس له عائد مذكور ، والمراد به امرأة الشاعر . وجاز ذلك لأمن اللبس . والجملة ابتدائية ضمن المفعول الثاني لـ « أنشد » . وتلوم : تعذل وتعنّف ، وزنه : تَفْعُلُ ، وأصله « تَلْوُمُ » أعل حملاً على ماضيه ، فنقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها . والفاعل يعود على المرأة أيضًا . والجملة في محل نصب حال من فاعل : بكرت . وبعد : تنازع فيه الفعلان : بكر وتلوم ، فيعلق بالثاني لأنه أقرب . وفي : للسببية ، أي : بسبب نَداك ، تتعلق بـ « تلوم » أيضًا . وتحذف ياؤه في اللفظ لالتقاء الساكنين : الياء والنون الأولى . وأل : نائبة عن ضمير المخاطَب ، وهو الشاعر نفسه . وفي هذا تخصيص للدلالة من لفظ عام . والندى : مجرور بالكسرة المقدرة للتعذر ، مصدر : نَدِيَ ، أي : جاد وسخا . وأصل المصدر : النَّدَيُ ، قلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح ، وأبدلت اللام نونًا وأدغمت في النون الثانية ، =

٢ ـ أأصُرُّها ، وبُنَيُّ عَمِّـي ساغِبٌ ؟
فكَفَـاكِ ، مِـن إبـةٍ عَلَـيَّ ، وعـابِ ! (١)

= وبقيت اللام في الرسم اصطلاحًا . والنَّداوة أصلها : النداية ، قلبت الياء واوًا لضرب من التوسع . سر الصناعة ص ٥٨٨ ـ ٥٨٩ والمحكم واللسان والتاج (ندي) .

وبسل : خبر مقدم للمبتدأ : ملامة ، والمعطوف عليه : عتاب . والجملة استئنافية ضمن المفعول الثاني أيضًا . وجاز إفراد الخبر عن اثنين لأنه مصدر كما سيذكر بعد ، بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة فعله : بَسُلَ ، أي : شَجُعَ فحَـرُمَ نيلُه . انظر العين ولغة العرب (بسل) . وعلى : للاستعلاء المعنوي تتعلق ب « بسل » . والأصل « على ك » قلبت الألف ياء لاتصالها بالضمير . والملامة : مصدر ميمي يفيد المبالغة والتوكيد للفعل : لامَ ، أصله « مَـلْـوَمَةٌ » أُعلّ حملاً على فعله ، فنقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها ، وقلبت الواو ألفًا لتحركها في الأصل وكونها بعد فتح الآن . والعتاب : مصدر : عاتَبَ ، أي : لام وذكّـر بما يجب تركه ، فيه توكيد لمعنى الملامة قبله . وكل من المصدرين مرفوع بالضمة المقدرة ومضاف إلى مفعوله في المعنى ، وفيه ضمير للفاعل ، وهو المخاطبة بالشطر الثاني هنا وما بعده . وفي هذا الشطر التفات من خطاب النفس إلى خطاب المرأة يفيد التوكيد . وبين المصدر ملامة والفعل « تلوم » جناس اشتقاقي باللفظ ، إذ الفعل مشتق من المصدر . وزاد بعد هذا البيت في الأمالي :

ولَـقَد عَلِمتِ ، فـلا تَـظُنُّـي غَيرَهُ، أن سَوفَ تَخـلِجُـني سَـبيلُ صِـحابي

والواو : حرف زائد . والجملة بعده ابتدائية لأن البيت ليس من إنشاد أبي زيد . واللام : حرف ابتداء للتوكيد . والفاء : حرف اعتراض معناه السببية . ولا : طلبية للنهي حرف جازم . وتظني أي : تتوهمي وتتخيلي ، فعل مضارع مجزوم بحذف النون . والياء : ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل . والفعل ينصب ههنا مفعولاً واحدًا . وغير : وصفية استثنائية للحصر ، مفعول به منصوب ومضاف إلى ضمير يعود على متأخر ، هو المصدر المؤول من « أن » وما بعدها ، أي : خلجَ السبيلِ إيايَ . والتقدير : لاتظني شيئًا مغايرًا إياه ، أي : إلاّ إياه . حذف الموصوف فحلت صفته محله في الإعراب . وجاز وصف النكرة بمضاف إلى ضمير لأن الإضافة لفظية والتنوين مَنْويّ ، كما قدّرنا قبل .

وأن : مخففة من « أنَّ » مصدرية للتوكيد ، حرف مشبه بالفعل . واسمه : ضـمير الشـأن المحـذوف ، أي : أنّـه . وهو يفيد التوكيد والمبالغة والتعظيم . وسوف : حرف تسويف . وتخلج : تجتذب وتنتزع . والنون : حرف وقاية . وسـبيل صـحابي أي : المنيـة . والجملـة في محـل رفـع خـبر « أن » . والبيـت مزيـد في الوحشـيات بعـد البيـت التـالي ، بروايـة : يَظلِـمُني ، أي : يُعجِـلني ويقطـع حيـاتي . والسـبيل : الطريـق ، يـذكر ويؤنـث علـى وزن : فَعِيـل ، بمعـنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : سَبِلَ ، أي : سُلِـكَ ، عُـبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . وصحابي : مضـاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة ومضاف .

(١) الهمزة الأولى : حرف استفهام معناه الإنكار الإبطالي ، أي : النفي والاستبعاد . وأصرها أي : أربط أخلافها بالصِّرار لئلاّ يرضعها أحد . ووزن أصرّ : أفـْعُـلُ ، أصله « أصْـرُرُ » نقلت حركة الراء الأولى إلى الساكن قبلها ، وأدغمت الراء في الثانية إدغامًا كبيرًا واجبًا . والجملة استئنافية ضمن المفعول الثاني أيضًا . والأخلاف : جمع قلة للخِلف : حَـلَـمَة الضرع . والمراد جمع التكثير لإضافته إلى ضمير النوق . والصرار : خيط يشد فوق الضرع ، اسم آلة مشتق من مصدر : صرَّ . والضمير « ها » : ليس له عائد مذكور أيضًا ، والمراد به النوق التي للشاعر . والواو : للمصاحبة والاقتران . وبنيّ : مبتدأ مرفوع ومضاف ، مصغر ابن . أصله « بَنَيٌ » على وزن : فَـعَـلٌ ، كما ذكرنا قبل . وفي التصغير صار « بُنَيْيٌ » فأدغمت الياء الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . وفي التصغير مبالغة في الإلزام بالحجة للمخاطبة .

والعم : أخو الأب ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : عَـمَّ ، أي : لَـزِمَ ، عُـبِّـرَ به عن اسم الذات =

ـ قال أبو الحَسَنِ : وزاد الأصمعِيُّ :(١)

= لتوكيد المبالغة . وأصله « عَمْمٌ » أدغمت الميم الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . وهو مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة ومضاف . والمراد ببني وعم هو الكثرة مع تبعيض وتعميم في آن ، أي : بعض أبناء وبنات أعمامي وجميع العُفاة المحتاجين حولي . وهذا من بابي ذكر القليل للدلالة على الكثير وذكر الخاص للدلالة على العامّ معًا . وساغب : خبر المبتدأ : بنيّ ، اسم فاعل من مصدر : سَغَبَ . وجاز الإخبار عن الكثرة بالمفرد لأنها بلفظ الإفراد . والجملة في محل نصب حال من الفاعل والمفعول به قبلها . وفي هذا الشطر مبالغة وتهويل في الرد على المرأة ، إذ يوهم الشاعر أنها تأمره بالشِّدة في منع العطاء كله ، ولعلها كانت تلوم الإسراف والتبذير فقط .

والفاء : حرف استئناف معناه السببية . وكفاك أي : حَسْبُك ما فعلتِ من اللوم والعتاب ! فدعي ذلك . والفاعل مقدر ، وهو الشأن الحاضر من فعل المرأة المخاطبة ، أي : كفاك هذا . والجملة استئنافية ضمن المفعول الثاني أيضًا . وفي ك وش وق وأضداد أبي الطيب : « وكَفاكِ » . وأصل الفعل « كَفَيَ » قلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح . والكاف : ضمير متصل مبني على الكسر في محل نصب مفعول به . ومن :حرف جر معناه التبيين متعلق بحال محذوفة عن الفاعل المقدر . وإبة : مصدر: وأبَ يَئِبُ . وهو الخزي والتقبض . والمراد به هنا لازم معناه ، وهو العتب ، أي : حسبك من عتب . وأصله « وِئبٌ » حذفت منه الواو حملاً على المضارع ، ونقلت حركتها إلى الساكن بعدها ، وزيدت التاء في الطرف للتعويض . وعلى : للاستعلاء المعنوي حرف جر تنازع فيه : إبة وعاب . فيعلق بالأول . والأصل : « على ي » قلبت الألف ياء وأدغمت في الياء الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا ، لاتصالها بالضمير . وعاب وزنه : فَعَل ، مصدر : عابَ يَعِيبُ . وأصله « عَيَب » قلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح . وفيه معنى التوكيد بالمرادف لمعنى « إبة » . وحذفت الياء في الرسم اصطلاحًا ، وهي الوصل حرف المدّ .

(١) سقط هذا السطر من ك وش ، وهو يعني أن البيت التالي أقحمه الأخفش رواية عن الأصمعي ، زيادة على ما رواه أبو زيد . والأخفش لم يدرك الأصمعي . فروايته منقطعة نقلاً عن بعض تلاميذ الأصمعي ، ولعله الرياشي الذي كان يحفظ كتب الأصمعي كلها ، وهو راوي هذه المقطوعة أيضًا ، كما جاء في مستهل الباب ، وكما ذكرنا في ترجمته قبل . وقال أبو الحسن . . . أبي زيد : اعتراض بين البيتين . والواو : حرف زائد . ووزاد . . . أبي زيد : في محل نصب مفعول به لـ « قال » قبله . والبيت التالي في محل نصب مفعول به لـ « زاد » . والفعل متعدّ هنا إلى مفعول واحد معناه : أضاف . والعبارة النثرية التالية ليست في ك وش أيضًا . والبيت لم يرد في أخبار النحويين والأمالي ونزهة الألباء .

والأصمعي منسوب إلى جده أصمع ، صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر : صَمِعَ ، أي : ذكِيَ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . والأصمعي هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن أصمع الباهلي من قيس عيلان بن مضر ، إمام في اللغة والغريب والمعاني والنحو ، ورواية الأخبار والأشعار والنوادر ، مشهور بالصدق والورع ، توفي سنة ٢١٦ . أخبار النحويين البصريين ص ٤٥ ونور القبس ص ١٢٥ وطبقات النحويين واللغويين ص ١٨٣ ونزهة الألباء ص ١١٢ وإنباه الرواة ٢ : ١٩٧ والبلغة ص ١٢٩ والأنساب ١ : ١٧٧ وبغية الوعاة ٢ : ١١٢ .

والتركيب أرأيت : صورته الاستفهام عن العِلم ، ومعناه الأمر بالإخبار ، وكان الأصل في المعنى : « أعلمتِ حالكِ هذه ؟ تدبريها وتفكري فيها واعلمي حقيقتها ، وأعلميني ما تنتهين إليه من ذلك » ، ثم اختصر هذا كله ، فجُعلت الرؤية بمعنى الإخبار لأنها سبب للعلم ، والعلمَ سبب للإخبار . فالمجاز الدلالي مركب بسببيتين . والهمزة : حرف استفهام لطلب التصديق معناه الأمر والتعجب ، مع التوبيخ والتقرير من باب تجاهل العارف . والفعل ماض بمعنى الأمر مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك ، يقتضي مفعولين ثانيهما بصيغة الاستفهام أو القسم . ولورود هذا الاستفهام بـ « هل » في البيت الرابع أقحم الأخفش عن الرياشي عن الأصمعي هذا البيت الثالث ، إذ به يلتئم السياق ويتضح المعنى والعلاقات التركيبية . ق : « أرأيتَ » . وصرخت : قالت بصوت عال . وبليل أي : في ليال . فالباء : للظرفية الزمانية تتعلق بـ « صرخ » . وليل : اسم جنس يراد به الكثرة . =

= والهامة : طائر من طيور الليل يقال له : الصدى . وهو كما زعم الجاهليون : روح الميت ، ويكون أيضًا روح القتيل الذي لم يُثأر له تصير طائرًا ، يخرج من رأسه حين يبلى فيصرخ : اسقوني اسقوني اسقوني . حتى يؤخذ بالثأر . وحينئذ يطير ويذهب . والحق أن هذا تخييل لتحريض ولي القتيل على طلب الثأر ، جعلَه جهلَة الأعراب حقيقة بالتوهم . المصباح المنير (هيم) وتهذيب الألفاظ ص ١٦٣ . وهامتي : فاعل مرفوع بالضمة المقدرة ومضاف . ووزن هامة : فَعَلة ، بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة : هَيِمَى ، من مصدر : هامَ ، أي : عطش ، عُبِّرَ به عن اسم الذات صفة غالبة لتوكيد المبالغة ، وزيدت في آخر التاء لتوكيد على توكيد . فأصله « هَيِمَة » قلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح .

والمشهور بين العلماء أن أصل الألف واو من « هوم » إذ لم يَرد تصرف واضح تعرف به ، لأن ما عرف أصله من الأجوف أكثره من الواو ، كما وصّى سيبويه . الكتاب ٢ : ١٢٧ وسر الصناعة ص ٧٩٩ . وانظر الأساس والذيل والصلة واللسان والتاج (هوم) . ففي هذا حمل للمجهول على المعلوم ، وهو هنا قياس مع الفارق ، لأن الاشتقاق والتصريف معروفان ، والعطش والهيام مشهوران بشيء من الملازمة . وزعم ابن فارس أن الهاء والألف والميم أصل صحيح يدل على علوّ ، والهامة منه ، مع أنه قال قبل : لا تكون الألف إلا مبدلة . معجم المقاييس ٦ : ٢٧ . وفي الشطر الأول كناية عن الموت قتلاً .

ومنها أي : من الدنيا . فالضمير ليس له عائد مذكور أيضًا ، وهو معروف يؤمن فيه اللبس . ومن : لابتداء الغاية المكانية حرف جر متعلق بـ « خرج » . وقد يكون « ها » عائدًا على متأخر ، هو « أثوابي » . وعلى هذا فأثواب : بدل من « ها » مجرور بالكسرة المقدرة ومضاف ، والجار متعلق باسم الفاعل « عاريًا » . ويرجّح هذا المعنى روايةُ : « باليًا أثوابي » ، وهي رواية السمط في ثلاثة مواضع . والأثواب : جمع قلة للثوب . وهو ما يلبس ، وصفَه بما يؤول إليه . وقيل : أراد بالأثواب بدنه أو أكفانه ، لأنها لا تكون إلاّ مما بلي ، والحيّ أولى بالجديد . السمط ص ٩٢٣ . وفي هذا الشطر كناية عن الموت ، تفيد البيان والتوكيد لما في الشطر الأول ، توكيد الخاصّ بالعامّ مع المبالغة والتفخيم .

والواو : للحال والاقتران . والجملة في محل نصب حال من الضمير المتصل في : هامتي . وجازت الحالية من المضاف إليه لأن المضاف جزء منه . وعاريًا : حال من فاعل : خرج . وأثواب : منصوب بنزع الخافض : من ، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل الياء ، أو فاعل لاسم الفاعل مرفوع بالضمة المقدرة ، إذ يقال : عَرِيَ الثوبُ ، أي : تجرّد من لابسه ـ والوجهان مبنيان على أن الضمير « ها » للدنيا ـ أو بدل من « ها » كما ذكرنا قبل ، بناء على أن هذا الضمير للأثواب . والعاري : اسم فاعل من مصدر : عَرِيَ . ويكون بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة ، حين يرفع « أثواب » على الفاعلية . وثوب على وزن : فَعْل ، مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : ثِيبَ ، لأنه يثاب إليه يلبس ثم يلبس ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . المقاييس (ثوب) .

ورأيت : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك ، ثلاثي مجرد من الباب الثالث مهموز ناقص يائي . والتاء : ضمير متصل مبني على الكسر في محل رفع فاعل . والمفعول الأول محذوف ، تنازع عليه « رأى » وفعل الشرط فكان فاعلاً للثاني ، وتقديره هنا : النوقَ . والجملة ابتدائية في مفعول : زاد . وإن : حرف شرط جازم يفيد التيقن والتحقق في المستقبل . وهذا خلاف المشهور من معناها ، إذ هي في الغالب لما هو غير متيقن أو محقق . وصرخت : فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم بـ « إن » . والتاء : حرف تأنيث . والجملة جملة الشرط غير الظرفي لا محل لها من الإعراب ، وجواب الشرط محذوف لدلالة البيت التالي عليه . والتقدير : فهل تحزن النوق لـمقـتـلي ؟ وفي هذا توكيد بتكرار الجملة مذكورة ومقدرة . والجملة الشرطية كلها في محل نصب حال مقدمة عن فاعل : تخمش وتعصب ، وفيها معنى التوكيد المضاعف . وفي البيتين احتباكٌ إيجازًا بالحذفين : حذفُ المفعولِ الأول والجوابِ من الأول لدلالة الثاني ، وإيرادُ الحال في الأول وصاحبها في الثاني محذوفًا منها ما سيرد فيه دليله . وجملة هل تخمشن : فعلية في محل نصب مفعول ثان لـ « رأيت » . وهي استفهامية في اللفظ تؤول إلى الخبرية في المعنى للمبالغة في التوكيد ، إذ المراد : أخبريني جوابَ هذا السؤال ، لا السؤالَ نفسه . ومثل هذا التركيب وارد في الآيتين ١٣ و١٤ من سورة العلق . وزعم الزمخشري في الكشاف ٤ : ٧٧٨ أن جملة الاستفهام هي جواب الشرط في مثل هذا السياق . ولو صح ذلك لوجبت =

٣ ـ أرأيتِ ، إن صَرَخَتْ بِلَيلٍ هامتي
وخَـرَجـتُ منهـا ، عـارِيـًا أثوابِـي ؟

رجَعَتِ الرِّوايةُ إلى أبي زيدٍ ـ
٤ـ هَل تَخمِشَنْ إبِلي، عَلَيَّ، وُجُوهَها؟
أم تَـعصِبَـنَّ رُؤُوسَـهـا ، بِسِـلابِ؟(١)

= الفاء الرابطة للجواب . وذكر أبو حيان في البحر ٨ : ٤٩٤ ـ ٤٩٥ أن الجملة الشرطية اعتراضية . والصواب ما ذهبنا إليه قبل . ويجوز عندي جعل ما في البيتين من التنازع بين الفعل الأول والشرط على الجملة الاسمية ، وجعلها في محل نصب مفعولاً به للأول .

ومن ذلك أيضًا ما في الآيات : ٢٠٥ ـ ٢٠٧ من سورة الشعراء و٤٠ و٤٦ و٤٧ من سورة الأنعام و٥٠ من سورة يونس و٢٨ من سورة هود و٧١ و٧٢ من سورة القصص و٥٢ من سورة فصلت ، وفي الآيات ٦٣ من سورة هود و٢٨ و٣٠ من سورة الملك بزيادة الفاء في الثاني للمبالغة في التوكيد . وقيل بتعليق أداة الشرط للفعل عن العمل ، وكون الجملة الشرطية سادة مسد المفعولين . وفي الآية ٩ من سورة العلق حُذف المفعول الثاني لدلالة ما في الآية ١٤ ، وفي الآية ١١ حُذف المفعولان لدلالة ما في الآيتين ٩ و١٤ عليهما ، وفي الآية ١٣ حذف الأول لدلالة ما في الآية ٩ عليه ، فكان في نسق الآيات احتباك وتوكيد مضاعفان . وقد يرد المفعولان في أشباه هذا التركيب ، كما في الآيات : ٧٧ و٧٨ من سورة مريم و١٩ ـ ٢١ و٣٣ ـ ٣٥ من سورة النجم و٥٩ من سورة يونس و٤٠ من سورة فاطر و٣٨ من سورة الزمر و٥٨ و٥٩ و٦٣ و٦٤ و٦٨ و٦٩ و٧١ و٧٢ من سورة الواقعة و٤ من سورة الأحقاف .

وهما واردان مع زيادة الفاء في الثاني للمبالغة في التوكيد ، نحو الآيتين : ٤٣ من سورة الفرقان و٢٣ من سورة الجاثية . وهذا يرجح زيادة الفاء ، فيما ذكرنا قبل ، على التعليق بأداة الشرط . وقد يحذف المفعولان معًا لدلالة الشرط عليهما كما في الآيات : ٨٨ من سورة هود و١٠ من سورة الأحقاف ، ويحذف الثاني لدلالة السياق كما في الآية ٦٢ من سورة الإسراء . وليس من هذه التراكيب ما في الآيات ٦٣ من سورة الكهف و٧٥ ـ ٧٧ من سورة الشعراء و١ من سورة الماعون ؛ لأن الفعل فيها يقتضي مفعولاً واحدًا ، هو : إذ وما والذي ، والفاء بعدُ هي استئنافية . انظر التحليل النحوي لهذه الآيات في مواطنها من : الكشاف للزمخشري والـمُجيد في إعراب القرآن الـمَجيد للصفاقسي والبحر المحيط والتذييل والتكميل والدر المصون والهمع ١ : ١٥٥ وروح المعاني للآلوسي والمفصل في تفسير القرآن العظيم للجلالين .

(١) هل : حرف استفهام لطلب التصديق يفيد النفي . وتخمش : تجرح البَشَرة بالأظافر . والفعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد . والنون : حرف توكيد وإخراج لمضمون الفعل إلى المستقبل . وإبلي : فاعل مرفوع بالضمة المقدرة ومضاف . وفيه تخصيص للدلالة العامة ، إذ هو للقطيع من الجمال والنوق وضعًا ، وأريد به هنا النوق خاصة . وهو اسم جمع واحده آبِلٌ ، خلافًا لقول العلماء بأنه لا واحد له من لفظه ، وأن واحده جمل أو ناقة . ووزنه : فِعِل ، مبالغة اسم الفاعل من مصدر : أَبَلَ ، أي : اجتزأ عن الماء بالرُّطْب من النبات ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة ، وليس من « أَبَّلَ » خلافًا لما ذكر ابن فارس . انظر الصحاح ومختاره واللسان والمقاييس والقاموس والمصباح والتاج ومحيط المحيط ولغة العرب (أبل) . ووزن « فِعِل » نادرٌ ما جاء عليه من الأسماء ، حتى قيل : الإبل منفرد بذلك . الكتاب ٢ : ٣١٥ والممتع ص ٥٣ والارتشاف ١ : ١٩ وشرح الشافية ١ : ٤٥ ـ ٤٦ والمزهر ٢ : ٦ وابن عصفور والتصريف ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

وعليّ أي : بسبب قتلي . فعلى : للسببية تتعلق بـ « تخمش » ، قلبت ألفها ياء وأدغمت في ياء المتكلم . وهو إدغام صغير واجب ، كما ذكرنا قبل . وقد حذف الجار والمجرور « عليّ » من الشطر الثاني لدلالة الأول عليهما . =

[الشرح والتفسير]

قال أبو حاتم : [قولُه] :(١) « بكَـرَتْ » أي : عَجَّلَتْ .(٢) ولم يُـرِد بُكـورَ الغُدُوِّ .(٣) ومنه(٤) باكُورةُ الرُّطَبِ والفاكهةِ :(٥) للشَّيءِ المُتعجِّل منه . وتقول :(٦)

= وحذف ما يخمش به من الأول لدلالة السلاب في الثاني ، احتباكًا بالإيجاز أيضًا . ووجوه : مفعول به منصوب ومضاف . وها : ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه . والوجوه : جمع وجه . وهو ما يقابَل به الآخرون من الرأس ، وزنه : فَعْـل ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة من مصدر : وَجهَ ، أي : قابل ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . المقاييس (وجه) . وأم : حرف استئناف ، وهي منقطعة لورودها بعد « هل » ، وتفيد معنى الإضراب الانتقالي مثل : بل ، مع تضمنها معنى الاستفهام المنفي بهمزة . إلاّ أن ما بعد « أم » هذه يكون للشك ، وما بعد « بل » يكون لليقين . انظر شرح اختيارات المفضل ص ١٦٠٠ . والنفي هنا يفيد أن الشك مردود أيضًا . فالفعل « تعصب » محال وقوعه أصلاً .

وتعصب : تشد بالعصابة . وتعصبنّ : مثل : تخمشنّ ، والنون المشددة للمبالغة في التوكيد وإخراج مضمون الفعل إلى المستقبل . والأصل « تخمشْنَنْ » أدغمت النون الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . والرؤوس : جمع رأس . وهو ما يعلو العنق ، وزنه : فَعْـل ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : رأسَ يرأسُ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . والباء : للاستعانة حرف جر . وسلاب : مجرور بالكسرة ، وحذفت ياء الوصل في الرسم اصطلاحًا ، وهي حرف المدّ . والجار والمجرور متعلقان بـ « تعصب » . والجملة استئنافية ختام المفعول الثاني لـ « رأى » في البيت ٣ ، وختام المفعول الثاني لـ « أنشد » . والسلاب : جمع سَلَبة . وفي كل من الجملتين استعارة مكنية عنادية تهكمية ، بحذف المشبه به ، وهو النساء . انظر المفصل في علوم البلاغة العربية ص ٤٥٧ ـ ٤٩٣ . و« أنشدني المفضل . . . بسلاب » هو من قول أبي زيد ، عدا الاعتراض .

(١) هذه تتمة من ك وش ، وسقط « قال أبو حاتم » منهما . و« قوله . . . لكم بسل » : في محل نصب مفعول به مقول القول لـ « قال » قبله .

(٢) يعني : بادرت وأسرعت . ب : « عجلَتْ » . وأي : حرف تفسير . وما بعدها بدل مما قبلها . وكذلك ما يلي من مثل هذا الركيب . وبعض الشرح في الأمالي منسوبًا إلى القالي بخلاف يسير ، وقليل منه باختلاف كثير للعبارة في أخبار النحويين ونزهة الألباء ملحقًا بقول أبي زيد . فلعل أبا حاتم استبدل ببعضه ما قاله هنا .

(٣) الواو : حرف استئناف . ولم يرد أي : لم يقصد الشاعرُ ضمرةُ في قوله : بكرت . والجملة استئنافية في القول . والبكور : التبكير مفعول به منصوب ومضاف . والغدو : القيام صباحًا ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٤) منه أي : من قوله « بكرت » بمعنى التعجيل لا بمعنى البكور . ومن : للتبعيض تتعلق بخبر مقدم محذوف .

(٥) الباكورة : أول ما ينضَج من الثمر ، مبالغة اسم الفاعل من مصدر : بَكَرَ ، صفة مضافة إلى الموصوف للمبالغة في الوصف أيضًا ، والتاء مزيدة فيها لتوكيد المبالغة المضاعفة . والرطب : ما نضج من ثمر النخل ولان وحلا قبل أن يصير تمرًا ، اسم جنس جمعيٌّ واحدته رُطَبة ، أصله مبالغة اسم الفاعل من مصدر : رَطَبَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ومراحل هذا الثمر : طلْع فخَلال فبلَح فبُسر فرُطَب فتمر . لغة العرب (بسر) . والفاكهة : الثمار اللذيذة ، اسم فاعل مؤنث من مصدر : فَكِهَ ، أي : لَذَّ وطاب ، عُبِّرَ به عن اسم الذات للمبالغة في الوصف . وذكره هنا تعميم بعد تخصيص يفيد التوكيد والتفخيم . وأل : لتعريف ماهية الجنس في المواضع الثلاثة . وباكورة : مبتدأ مؤخر مرفوع ومضاف . والجملة استئنافية أيضًا .

(٦) للشيء يعني : مقولاً للشيء . أي : ما هو موجود أو ممكن وجوده . وهو مصدر : شِيْءَ أي : أُريدَ ، عُبِّرَ به عن اسم المفعول للمبالغة في الوصف ، ونقل للدلالة على اسم الذات لتوكيد المبالغة . وأل : عهدية ذهنية . واللام : للمجاوزة المجازية بمعنى : عن . والجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة عن العبارة المتقدمة . والمتعجل : المسرع في النضج قبل غيره . وأل : حرفية موصولة لغير العاقل . ومنه أي : مما مضى ذكره ، أي : الرطب والفاكهة معًا . ومن : لتبعيض الشيء تتعلق بحال محذوفة عنه . وفي الأمالي : والعرب تقول .

أنا أُبكِّرُ العَشيّةَ فآتيكَ ،(١) أي : أُعجِّلُ ذلك وأُسرِعُه .(٢) ولم يُرِدِ الغُدُوَّ .(٣) ألا تَراهُ يقول : « بعدَ وَهنٍ » ،(٤) أي : بعدَ نومةٍ ؟(٥) والنَّدى : السَّخاءُ

(١) أنا : ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ . والألف : حرف زائد في الرسم للوقف . وجملة أبكر : فعلية صغرى في محل رفع خبر ، عطفت عليها جملة : آتيك . فهي في محل رفع بالعطف . والتضعيف في : أبكر ، للمبالغة . وأنا . . . فآتيك : في محل نصب مفعول به لـ « تقول » على الحكاية . وجملة أنا أعجل : ابتدائية في القول كبرى ذات وجهين . وجملة تقول : استئنافية أيضًا . والعشية : ما بين صلاتَي المغرب والعشاء ، مفعول فيه ظرف زمان منصوب ، تنازع فيه الفعلان فيعلق بالأول ، يريد : هذه العشية القادمة . فأل : عهدية حضورية . وفي هذا تخصيص للفظ عام الدلالة .

وعشية وزنه : فَعِيلة ، وهو في الأصل « عَشِيْوٌ » مبالغة اسم الفاعل من مصدر : عَشا ، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الأولى . وزيدت فيها التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، صفة غالبة . والفاء : عاطفة للترتيب والتعقيب والسببية . وآتي : أجيء ، فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة للثقل ، وزنه : أفعِلُ . أصله « أأْتِيُ » أبدلت الهمزة الثانية ألفًا لسكونها بعد همزة مفتوحة ، واستثقلت الضمة على الياء فسكنت . والفاعل تقديره : أنا . والكاف : ضمير متصل في محل نصب مفعول به . وفي الأمالي : أنا أبكر إليك العشية .

(٢) ذلك : إشارة إلى الإتيان . وهو المصدر المضمن في : آتي . وذا :اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا . واللام : حرف زائد للمبالغة في البعد ودفع توهم الإضافة، حرك بالكسر لالتقاء الساكنين . والكاف : حرف خطاب يفيد البعد . وجملة أعجل : تفسيرية لامحل لها من الإعراب عطفت عليها : أسرعه ، لا محل لها من الإعراب بالعطف . وأصل أعـجّـل « أعَـجْـجِل » أدغمت الجيم في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا ، وأصل أسرع « أؤْسرع » حذفت منه الهمزة الثانية للتخفيف . والزيادة في الفعلين للتعدية والجعل .

(٣) أي : لم يرد الشاعر ذلك . وهذا تكرار لما ذكر قبل بخلاف يسير ، يفيد التوكيد والبيان ، ولعله من تداخل عبارات الشرّاح . ولم : للنفي والقلب حرف جازم . ويرد : فعل مضارع مجزوم ، وزنه : يُفِلْ ، وأصله « يُؤَرْوِد » حذفت منه الهمزة حملاً على حذفها من « أُؤَرْوِد » الذي التقت فيه همزتان فحذفت الثانية منه للتخفيف ، ونقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها ، وقلبت الواو ياء لسكونها بعد كسر . ولما جزم الفعل بالسكون حذفت الواو منه لالتقاء الساكنين ، ثم حركت الدال بالكسر لالتقائها بسكون اللام بعدها . والزيادة في الفعل للمبالغة . والغدو : مفعول به منصوب ، وزنه : الفُعُول ، مصدر الفعل :غدا ، وأصله « غُدُوْوٌ » أدغمت الواو الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . وأل : لتعريف ماهية الجنس . والجملة استئنافية أيضًا .

(٤) الهمزة : حرف استفهام لطلب التصديق معناه التقرير والتوبيخ . ولا : حرف نفي . وترى : تعلم ، فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة ، قلبت ألفه الـمُـمالةٌ مُشالةٌ لاتصاله بالضمير . وهو ينصب مفعولين ، ووزنه : تَـفَـلُ ، وأصله « تَـرْأيُ » حذفت منه الهمزة بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها للتخفيف ، وقلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح . والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره : أنتَ . والهاء : ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول . وجملة تراه يقول : استئنافية أيضًا كبرى ذات وجه واحد . ويقول أي : قال ، عُبِّرَ به عن الحال الماضية لاستحضار الحال . والجملة فعلية صغرى في محل نصب مفعول ثان . والمراد بـ « ألا ترى » هو الاستدلال على ما ذكر قبل من المعلومات . ك وش :« ترى قوله » . وفي الأمالي : تراه قال .

(٥) كذا . والوهن : ما بعد ساعة من الليل ، وقد يكون ذلك في آخره . وتفسيره بالنومة تأويل مجازي بما سيكون فيه ، وليس تفسيرًا لغويًا بالوضع . وبعد : بدل من نظيره قبل منصوب بالبدلية ومضاف ولا يعلق لأنه فقد وظيفة الظرفية . والنومة : المرة الواحدة من النوم ، مصدر المرة للفعل : نام . وعلى هذا فما نفاه أبو حاتم من معنى الغدو فيه نظر ، إذ يحتمل الوهن في قول الشاعر أن يكون للغدو باكرًا ، والبكورُ بكور غدو ، ولاسيما إذا علمنا أن بعض الشعراء قد عبروا عن مثل ذلك صراحة في ذكر اللوم .

والعَطاءُ .(١) فلامَته في ذلك(٢) وأمرَته بالإمساك .(٣)
بَسلٌ عليكِ : [حَرامٌ عليكِ] .(٤) وكذلكَ قولُ زُهيرٍ :(٥)

(١) العطاء : الجود ، اسم مصدر يفيد المبالغة للفعل : أعطى . واللوم على المبالغ فيه يقتضي المبالغة في اللوم . وأصله «عَطاوٌ» قلبت الواو ألفًا لتطرفها بعد ألف زائدة وأبدلت الألف الثانية همزة لالتقاء الساكنين . ومثله : سخاء ، مصدر : سخا يَسخُو . ك وش : «الإعطاء» . وهو المصدر الأصلي للفعل وقليل الاستعمال . والندى : مبتدأ خبره : السخاء . والجملة استئنافية أيضًا .

(٢) أي : بسبب الندى . وفي : للسببية تتعلق بالفعل قبلها . والفاء : حرف استئناف يفيد السببية . والجملة استئنافية أيضًا عطفت عليها جملة : أمرت . فهي لا محل لها من الإعراب بالعطف .

(٣) أي : إمساك ما يملك ومنع العطاء . وهذا غير ظاهر في قول ضمرة ، وإنما هو مفهوم باللزوم مما يقابل اللوم على الندى ، وفيه تضخيم ومبالغة أيضًا كما ذكرنا قبل . والباء : للإلصاق المعنوي تتعلق بالفعل قبلها . وإمساك : مصدر للفعل : أمسك . والهمزة مزيدة للمبالغة .

(٤) الزيادة بين معقوفين تتمة من ك وش وب وق . والحرام :ما لايجوز فعله ويعاقب عليه ، مصدر بمعنى الصفة المشبهة يفيد توكيد المبالغة ، فعله : حَرُمَ . وعلى : للاستعلاء المعنوي تتعلق بما قبلها . والظاهر أن هذا السطر وبيت زهير من قول أبي حاتم ، لكن الصواب أنهما من قول أبي زيد ، كما جاء في السمط ص ٩٢٣ ، وقد أدرجهما أبو حاتم في قوله . وبسل عليك : في محل رفع مبتدأ على الحكاية ، خبره : حرام عليك ، على الحكاية أيضًا . والتقدير : قول بسل عليك بمعنى قول حرام عليك . والجملة استئنافية أيضًا . انظر إعراب الجمل ص ٨٠ ـ ٨٢ و٢٢٨ ـ ٢٣١ .

(٥) أي : ومثل ذلك المعنى قول زهير . والكاف : اسم مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم ومضاف إلى اسم الإشارة . وقول : مبتدأ مؤخر مرفوع ، مصدر مضاف إلى فاعله في المعنى . والجملة معطوفة على التي قبلها ، لامحل لها من الإعراب بالعطف . وقبل هذا البيت قوله أيضًا :

تَرَبَّصْ ، فإن تُقْوِ المَرَوراةُ منهُمُ ... وداراتُها ، لا تُقْوِ منهُم إذًا نَخلُ
فإن تُقوِيا ، منهُم ، فإنَّ مُحَجَّرًا ... وجزعَ الحِسا ، منهمُ إذًا ، قَلَّما يَخلُو

شرح شعر زهير ص ٨٦ ـ ٨٧ . وزهير : ابن أبي سُلمى ، أي : رِياح بن قُرط بن الحارث من بني مزينة ، شاعر كبير في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وقيل : إنه أشعر الشعراء . طبقات فحول الشعراء ص ٤٠ ـ ٩٨ والشعر والشعراء ص ٨٦ ـ ١٠٣ والاشتقاق ص ١١١ ـ ١١٢ والأغاني ١٠ : ٢٨٨ وجمهرة النسب ١ : ٤٠١ ـ ٤٠٢ وجمهرة أنساب العرب ص ١٩٠ ـ ١٩١ ومختصر الجمهرة ص ٧٧ والسمط ص ٢٦١ والمقاصد النحوية ٢ : ٢٦٧ والخزانة ١ : ٣٧٥ ـ ٣٧٧ . وانظر الاستيعاب ص ١٣١٣ ـ ١٣١٧ والإصابة ٥ : ٥٩٢ ـ ٥٩٦ وأسد الغابة ١ : ١٦٤ و٢ :٢٤٠ . والبيت من البحر الطويل ، والقافية من المتواتر مجردة من الردف والتأسيس مطلقة موصولة بمد هو الواو ، ورويها اللام . وقد حذفت واو الوصل التي للإطلاق من البيتين الأول والثالث اصطلاحًا .

والبيت الثالث في محل نصب مفعول به للمصدر : قول . وتربص : تلبث ولا تعجل بالذهاب عن هذه الديار . وتقوي : تخلو وتُهمل . والمروراة ونخل ومحجر : مواضع . ومنهم أي : من الممدوحين المذكورين في بيت متقدم . والدارة : الدار . يعني : إن خلت المروراة منهم بالغزو فإن نخلاً تكون عامرة بهم ، وإن خلت المروراة ونخل كانوا في محجر وجزع الحسا . والجزع : جانب الوادي . والحسا : الحساء . قصره الشاعر للتخفيف . وهو جمع حِسْي ، أي : غِلَظ من الأرض فوقه رمل يجتمع فيه ماء المطر . وقلما يخلو أي : لا يخلو ذلك . ومثل هذا التركيب غالبًا ما يفيد النفي . وقد أعاد على محجر والجزع ضمير المفرد .

والبلاد : جمع بلد ، أي : أرض ، اسم جنس للمكان . وهو مصدر الفعل : بَلِدَ ، إذا اتضح ما بين جانبيه واتسع ، عُبِّرَ به عن الصفة المشبهة للمبالغة ، ونُقل للدلالة على اسم الذات لتوكيد المبالغة . وبلاد : خبر لمبتدأ=

بِــلادٌ ، بِهــا نــادَمتُهُم ، وأَلِفــتُهُم فإن يُقْوِيا ، مِنـهُم ، فإنَّهُمـا بَسـلُ

قال أبو حاتِم :(١) هي بَسلٌ ، وهما بَسلٌ ، وهنَّ بَسلٌ .(٢) الواحدُ والاثنانِ والثَّلاثةُ والذَّكَرُ والأُنثى فيه سَواءٌ ،(٣) كما يقال : رَجُلٌ عَدْلٌ ، وامرأةٌ عَدْلٌ ، ورَجُلانِ عَدْلٌ ، وامرأتانِ عَدْلٌ ، وقَومٌ عَدْلٌ .(٤) وساغِبٌ : جائعٌ . يقول :(٥) فلا أصُرُّ نُوقِي ،(٦) وابنُ عمِّي جائعٌ ، حتّى أُروِيَهُ .(٧) والسَّغَبُ : الجوعُ .

= محذوف ، أي : هي . والجملة ابتدائية في مقول القول . وبها أي : فيها . فالباء : للظرفية المكانية ، تنازع فيها الفعلان بعدها ، فتعلق بالأول . والجملة الأولى في محل رفع صفة لبلاد ، عطفت عليها الثانية . فهي في محل رفع بالعطف . ونادمتهم : جالستهم وكنت نديمًا لهم . فالزيادة للمشاركة يبدؤها الفاعل . وألفتهم أي : أنست بهم وأحببتهم .

والفاء : حرف استئناف . والجملة الشرطية كلها استئنافية في مقول القول . ويقويا أي : محجر والجزع ، فعل مضارع مجزوم بحذف النون . والألف : ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل . وأصل الفعل « يُـؤَقويان » حذفت الهمزة حملاً على حذفها من « أُؤَقوي » . وفيما عدا الأصل وق : « تُـقـويا » . ومن : لابتداء الغاية المكانية تتعلق بالفعل قبلها . والفاء : رابطة لجواب الشرط تفيد توكيد السببية والتعقيب والترتب . وما : مركبة من : الميم حرف عماد ، والألف حرف تثنية . وبسل : خبر « إنّ » مرفوع . وحذف التنوين ـ وهو نون ساكنة ـ لالتقائه بسكون الوقف . والجملة في محل جزم جواب الشرط. أي: محميان لا يطمع فيهما أحد بغزو أو عدوان، حيثما كان القوم، لماهم عليه من عزة ومنعة.

(١) جملة « قال أبو حاتم » توكيد وبيان لنظيرتها قبل . وبقية الفقرة هي من تتمة كلام أبي حاتم المتقدم . وجملة هي بسل : استئنافية فيه ، عطفت عليها الجملتان بعد . فهما لا محل لهما من الإعراب بالعطف .

(٢) الضمائر المنفصلة هنا ليس لها عائد مذكور ، ويراد بها التعبير عن المؤنث والمثنى وجمع المؤنث أيضًا .

(٣) أي : متساويات في التعبير عنها بالمفرد المذكر ، لأن الأصل في المصدر أو اسمه لزوم ذلك حين يوصف به نعتًا أو خبرًا أو حالاً ، إذ الوصف به كالوصف بجميع الجنس المعنوي مبالغة في البيان . وقد يُجرى مُجرى المشتقات فيطابق الموصوف . انظر الخصائص ٢ : ٢٠٢ ـ ٢٠٧ والمحتسب ٢ : ١٠٦ والصاحبي ص ٢١٣ وأضداد أبي الطيب ص ٣٣ ـ ٣٤ وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٠٧ وارتشاف الضرب ٢ : ٣٤٢ واللسان والتاج (عدل) و(ضيف) و(خصم) و(رضو) . وفي : للظرفية المكانية تتعلق بسواء . وسواء : اسم مصدر يفيد المبالغة للفعل : تساوى ، وفيه مثل ما في : عطاء . ولكن أصل لامه الياء وهو خبر للمبتدأ : الواحد وما عطف عليه . والجملة استئنافية أيضًا .

(٤) الكاف : اسم مبني على الفتح في محل نصب مفعول مطلق نائب عن مصدر : سواء ، ومضاف إلى المصدر المؤول من « ما » وما بعدها . وجملة يقال : صلة الحرف المصدري لا محل لها من الإعراب . ورجل . . . وقوم عدل : في محل رفع نائب فاعل على الحكاية لـ « يقال » . وامرأة : افـعَـلة ، زيدت فيه همزة الوصل حملاً على المذكر : امرؤ . والقوم :الرجال ، اسم جمع واحده قائم ، كالشَّرب والـرَّكب للشارب والراكب . والقائم : اسم فاعل من مصدر : قامَ ، عُبِّـرَ به عن« الرجل » اسم الذات للمبالغة ، إذ هو القوّام على شؤون النساء والأهل . وهذا خلاف ما عليه العلماء ، من أن القوم لا مفرد له من لفظه .

(٥) أي : الشاعر ضمرة في صدر البيت الثاني .

(٦) النوق : جمع ناقة . وهي أنثى الإبل . والفاء : حرف زائد .

(٧) حتى : حرف جر يحتمل في المعنى أن يكون لانتهاء الغاية الزمانية أو للتعليل . والثاني أقرب إلى المراد ، لئلاَ يكون صرٌّ للأخلاف بعد ارتواء ابن عمه ، فيكونَ الشاعر بخيلاً . فهو لا يقصد بالجود ابن عمه وحده . والدليل في البيتين الثالث والرابع . ثم إن التعليل قد يكون متعلقًا بالنفي أو بالفعل ، فيحتمل مع التعلق بالنفي معنى البخل ، أي : أصرّها =

والإبةُ : الخزيُ والحَياءُ . يقال : خَزِيتُ منَ الشَّيءِ ،[١] أي : استَحيَيتُ منهُ . قال :[٢] وقلتُ لأعرابيّةٍ بالعُيونِ بِنتِ مِائَةِ سَنَةٍ :[٣] ما لَكِ لا تأتِينَ أهلَ

= لغير ذلك . فالأصح أن تكون حتى : استثنائية للتحقيق ، لأن الاستثناء بـ « حتى » هو إما منقطع بمعنى : لكن ، وإما متصل للحصر بمعنى : إلاّ أن . والأول هو المقصود ، أي : لا أصرّها أبدًا ، لكنني أُرويه . أما الثاني ففيه ما يشبه معنى التعليل أيضًا .

وأُروي : فعل مضارع منصوب بـ « أن » مضمرة وجوبًا . والمصدر المؤول في محل جر بـ « حتى » . والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء ولا يعلقان . انظر إعراب الجمل ص ٣٢٧ . والفعل وزنه : أُفْعِلَ ، ماضيه : أروَى ، فعل ثلاثي مزيد فيه حرف قبل الفاء ، والزيادة فيه للجعل والتعدية . وأصل المضارع « أُؤَرْوِيُ » التقى في أوله همزتان زائدتان ، فحذفت الثانية للتخفيف ، وحمل عليه في الحذف أخواته : تُروي ونُروي ويُروي ، واستثقلت الضمة على الياء فسكنت ، ثم نصبت كما ذكرنا .

(١) من : للسببية في الموضعين تتعلق بالفعل قبلها . وحركت ياء « أي » بالكسر لالتقائها بسكون السين بعدها . وجملة استحييت منه : تفسيرية لجملة : خزيت من الشيء ، التي في محل رفع نائب فاعل لـ « يقال » على الحكاية . وكذلك ما يشبهه من التركيب . والزيادة في « استحييت » للمبالغة . والحياء : الفَعال ، مصدر : حَيِيَ ، وأصله « حَيَايٌ » قلبت الياء ألفًا لتطرفها بعد ألف زائدة ، وأبدلت الألف الثانية همزة لالتقاء الساكنين .

(٢) الظاهر أن القول هنا أيضًا لأبي حاتم ، والصواب أنه لأبي زيد ، كما جاء في الأمالي ٢ : ٢٨٤ والسمط ص ٩٢٣ والمزهر ١ : ١٣٩ . فالفعل « قال » وارد للتوكيد والبيان ، والواو بعده : حرف استئناف لما مضى من كلام أبي زيد . وسقط « قال » من ك وش وق .

(٣) الأعرابية : المنسوبة إلى الأعراب . وهو في الأصل جمع قلة مفرده عَرَب ، نقلت دلالته العامة بالتخصيص إلى البداة منهم ، فصار اسم جنس جمعيًّا واحده أعرابيّ ، أي : من يسكن البادية من العرب . والباء : للظرفية المكانية تتعلق بصفة محذوفة لأعرابية . والعيون : جمع عين ، موضع في الطريق من واسط إلى مكة . معجم البلدان ٤ : ١٨١ في رسم (العيون) . ومن زعم أنه موضع بالبحرين فقد وهمَ ، لأن أهل البحرين على صلة بالأعاجم ، والعلماء لايأخذون الفصاحة عنهم . انظر الأمالي ٢ : ٢٨٠ وق ص ١٤٥ .

وبنت : صفة لـ « أعرابية » مجرورة ومضافة . وهو دلالته المجازية : ذات أي : صاحبة . ومنه قولنا : الأفعال ذوات الثلاثة . وهو على وزن : فِعْل ، وأصله « بَنَيٌ » على وزن : فَعَلٌ ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : بُنِيَ يُبنَى ، فنقل إلى « بِنْي » على وزن : فِعْل ، للتأنيث ، ثم أُبدلت الياء تاء على غير قياس للتخفيف . ومائَة على وزن : فِعَة ، والألف مزيدة فيه بالرسم اصطلاحًا لئلا يلتبس بـ « منه » ، اسم جمع والتاء فيه للتأنيث اللفظي ، أصله « مِئْيٌ » على وزن : فِعْل ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : مُئِيَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة ، وحذفت منه الياء على غير قياس ، وعوض منها تاء في الطرف . انظر الكتاب ٢ : ٨٢ و١٠ والخصائص ١ : ٢٠٠ ـ ٢٠٢ والمورد النحوي الكبير ص ١١١ ـ ١١٢ و١٦٧ وسر الصناعة ص ١٤٩ ـ ١٥٣ و٦٠٤ و٦١٥ والممتع الكبير ص ٣٩٦ وشرح الملوكي ص ٤٠٩ و٤١٦ واللسان والتاج (بني) و(مأي) . وسنة على وزن : فَعَة ، أصله « سَنَوٌ » مصدر الفعل : سَنا ، أي : دارَ ، من دوران الأرض حول الشمس مدة دورة كاملة ، حذفت منه الواو للتخفيف وعوض منها تاء في آخره مع الدلالة على المرة ، وعُبِّرَ به عن اسم الفاعل للمبالغة في الوصف ، ثم نُقل للدلالة على اسم الذات لتوكيد المبالغة . اللسان والتاج (سنو) .

الرُّفقة ؟[١] فقالت : إنِّي أخزَى أن أمشِيَ في الرِّفاقِ ، أي : أستَحِي .[٢]
ويقال : اتّأبتُ منَ الشَّيءِ : استَحييتُ منهُ ، مثلُ : اتَّعدتُ واتَّقيتُ . والأصل[٣] من : وَقَيتُ ووَعَدتُ . ويقال : أوْءَبتُ الرَّجُلَ فاتّأبَ ، أي : أحشَمتُهُ فاحتَشَمَ .[٤]

---

(١) ما لك أي : أيُّ شيءٍ حاصلٌ لكِ ؟ وما : اسم استفهام لطلب التعيين مبني على السكون في محل رفع مبتدأ . واللام : حرف جر معناه الاختصاص يتعلق بالخبر المحذوف . والجملة ابتدائية في القول . ولا : حرف نفي . وتأتي : تحضر وتصاحب ، فعل مضارع حذفت لامه لالتقاء الساكنين مرفوع بثبوت النون . والياء : ضمير متصل في محل رفع فاعل . والجملة في محل نصب حال من الكاف . وفي الأمالي والسمط :« لا تصيرين إلى الرُّفقة » . وأهل الرفقة : صاحبات الرفقة وملازِماتها . وأهل : مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : أَهَلَ يأهُل ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . والمضارع هذا شاذ . الاقتصاد اللغوي ص ٢٨٧ . والرفقة : المُرافَقة ، على وزن : فُعْلة ، اسم مصدر يفيد المبالغة فعله : رافَقَ ، مثل صُحْبة بمعنى مُصاحَبة . وقد يعبَّر به عن اسم الفاعل لتوكيد المبالغة ، فيكون بمعنى المُرافِق . وأل : نائبة عن ضمير المخاطبة . وفي المزهر : الزُّقَـقة .

(٢) سقط « إني » من الأمالي والسمط . ق : « أخزَى » . وفي ب والسمط : « أَمَشِّيَ » . وفي المزهر : « الزُّقاق » . والرفاق : جمع رُفقة . وأل : عهدية ذكرية . وفي : للمصاحبة تتعلق بحال محذوفة عن فاعل : أمشي . تريد : مع الرفاق مصاحِبةً إياهن . والمصدر المؤول من « أن » وما بعدها في محل نصب بنزع الخافض : من . وأستحي على وزن : أستَفِلُ ، فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة للثقل ، ماضيه : استَحَى ، على وزن : استَفَلَ ، فعل ثلاثي مزيد فيه ثلاثة أحرف قبل الفاء للمبالغة ، أصله « أستَحْيِيُ » بهمزتين وياءين ، حذفت منه الياء الأولى للتخفيف حملاً على الماضي ، بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها ، واستثقلت الضمة على الثانية فسكنت ، وحذفت همزة الوصل لفظًا ورسمًا للتخفيف على غرار : أُكرِمُ ، في التقاء همزتين . والماضي حذفت ياؤه الأولى بعد نقل حركتها ، وقلبت الثانية ألفًا لتحركها بعد فتح . والحذف هذا لغة بني تميم ، و« استحْيَيتُ وأستحْيِي » لغة أهل الحجاز . وقد وردت في السطر التالي . انظر الكتاب ٢ : ٣٨٩ والمنصف ٢ : ٢٠٤ ـ ٢٠٦ وشرح التصريف ص ٥١٦ ـ ٥١٩ وإملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٢٦ والممتع الكبير ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ وشرح الشافية ٣ : ١١٩ ـ ١٢٠ والدر المصون ١ : ٢٢١ .

(٣) جملة استحييت منه : تفسيرية للتي قبلها من دون حرف تفسير لا محل لها من الإعراب . ومثل : صفة للمفسَّرة التي هي في محل رفع نائب فاعل على الحكاية ، مرفوعة ومضافة . واتعدت : في محل جر بالإضافة على الحكاية ، عطف عليه : اتقيت . فهو في محل جر بالعطف . ووزن مثل : فِعْل ، بمعنى مُماثِل للمبالغة من مصدر : ماثَلَ . وهو من المفردات المغرقة في الإبهام لا يتعرف بالإضافة لأنها تكون لفظية . وفي « الأصل » أل : نائبة عن ضمير الغائبَينِ : اتعدتُ واتقيتُ ، أي : وأصلُهما . وفي العبارة بعدُ لفٌّ ونشر مشوش ، قَدَّم فيه « وقيت » على « وعدت » . انظر التلخيص ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ ونهاية الأرب ٧ : ١٥٤ وخزانة الحموي ص ٤٣٦ وجواهر البلاغة ص ٣٧٩ وأنوار الربيع ٥ : ١٧٣ ـ ١٧٧ . والواو : للحال والاقتران . والأصل : مبتدأ خبره محذوف يتعلق به « من » الذي هو حرف جر لابتداء الغاية المكانية . والجملة في محل نصب حال من : اتعدت واتقيت . ووقيت : في محل جر على الحكاية ، عطف عليه : وعدت . فهو في محل جر بالعطف .

(٤) يقال أي : تقول العرب . والهمزة الأولى في « أوءبت » مزيدة للجعل والتعدية . وهمزة الوصل والتاء الثانية مزيدتان في « اتَّأبَ » للمطاوعة ، وقد تكونان للمبالغة إذ يقال : اتّأبتُ ، أي : وأبتُ . ومطاوعة « افتَعَلَ » لـ « أفعَلَ » قليلة في الكلام ، نحو : ألهبتُه فالتهبَ ، وأحشمتُه فاحتشمَ ، وأرويته فارتوَى ، وأحرقتُه فاحترقَ . هذا ما عليه جمهور العلماء ، وعندي أن هذه الأفعال المزيدة بحرفين هي لمطاوعة : وأبته ولَـهبته وحَشمته ورَوَيته وحَرقته ، والمزيد بالهمزة هو للمبالغة في المعنى ، نحو : سقيت وأسقيت وشعلت وأشعلت . انظر تصريف الأسماء والأفعال ص ١١٣ =

فيُدغِمونَ[(١)] الواوَ في التّاءِ بعدَما يَقلبونَ الواوَ تاءً.[(٢)] وكذلكَ[(٣)] «اتَّعَدْنا» هو من الوَعد. وقالوا: «التُّخَمةُ والتُّكْلانُ والتَّولَجُ»[(٤)] ـ وأصل هؤلاء التّاءات[(٥)] الواوُ ـ فقلبوا لغيرِ إدغام،[(٦)] لأنَّ قولَهم:[(٧)] «اتَّعَدَ» كرهوا فيه أَن يقولوا:

= و١١٨. وافتقاد نحو «رَوَى ولَـهبَ» متعديًا لا يمنع ذلك، إذ يقال: كان مثل ذينك الفعلين مستعملاً ثم أُهمل. وهذا كثير جدًّا لا يحصى، أشار إليه الخليل في معجمه مراراً. والفاء بين الجملتين في الموضعين: حرف عطف للترتيب والتعقيب والسببية. ك وش وق: أوأبت الرجل أي أحشمته، فاتّـأب أي فاحتشم.

(١) ضمير الجماعة في «يدغمون» ليس له عائد مذكور أيضًا، وهو معلوم من السياق هنا وفيما يلي من الكلام، ومراد به العرب، كما ذكرنا في تفسير: يقال. يعني أن العرب يفعلون ذلك في «اتّـأبتُ». ك وش وق: «يُدغِمون». ب: «يَـدَّغِمون». وكذلك شأن ما تصرف من هذا فيما يلي من النص. والأول ينسب إلى الكوفيين ومصدره الإدغام، والثاني ينسب إلى البصريين ومصدره الادِّغام. وهو إدخال شيء في آخر، نحو: أدغمت الثياب في الصندوق. شرح المفصل ١٠: ١٢١. والفاء: حرف عطف للترتيب والتعقيب والسببية. والجملة معطوفة على جملة: يقال.

(٢) أي: يُبدلون الواو تاء. وتاء: حال من الواو منصوبة. والأصل في الأفعال: اِوتَـأبَ اِوتَـعَـدتُ اوتَـقَـيتُ، أبدلت الواو تاء وأدغمت في التاء الثانية. وبعد: مفعول فيه ظرف زمان منصوب ومضاف متعلق بالفعل قبله. وما: حرف مصدري، والمصدر المؤول في محل جر مضاف إليه. والتقدير: بعد قلبِـهم الواوَ تاءً.

(٣) ق: «كذلك» بحذف الواو قبلُ. وفي العبارة هذه تكرار لما مضى، جيء به لبيان المصدر. والكاف: اسم مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ مقدم ومضاف. وذا: اسم إشارة في محل جر مضاف إليه، حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا. واللام: حرف زائد للمبالغة في البعد ودفع توهم الإضافة، حرك بالكسر لالتقاء الساكنين. والكاف: حرف خطاب يفيد البعد. واتعدنا: في محل رفع مبتدأ مؤخر على الحكاية. والجملة استئنافية أيضًا.

(٤) التخمة من الوخامة، اسم جنس يدل على ذات. وهي داء يصيب الإنسان من طعام فاسد أو من امتلاء المعدة. والأصل: الوُخَـمة، أبدلت الواو تاء. والتكلان: التوكّـل والاعتماد، اسم مصدر للمبالغة فعله: اتكَـلَ. والأصل: الوُكْـلان، أبدلت الواو تاء. والتولج: كِناس الظبي مَولج في الشجر يأوي إليه ليستتر. أصله «وَولَـجٌ» على وزن: فَوعَل، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من الوُلُوج، عُـبِّـرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة، وأبدلت الواو تاء: تَولَـجٌ. ويقال فيه أيضًا: دَولَـجٌ، بإبدال التاء دالاً. شرح التصريف ص ٣٦٧ والممتع ص ٢٣٧وشرح الملوكي ص ٣٢٢ و٣٢٦. والكلمات الثلاث فيها إدغام اللام في التاء أيضًا، والإبدال المذكور قبل فيها سماعي للتخفيف.

(٥) يعني التاءات الثوانيَ في: التخمة والتكلان والتولج. وقد أشار إليها بما يشار به إلى جمع العاقلين والعاقلات. وهو جائز وفصيح. وها: حرف زائد لتوكيد التنبيه حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا. وأولاء: اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر مضاف إليه. والتاءات: بدل منه مجرور بالبدلية. وأل: عهدية حضورية. والواو: خبر مرفوع للمبتدأ: أصل. والجملة اعتراضية.

(٦) أي: أبدلوا الواواتِ تاءاتٍ، مع أنها ليست في موقع يقتضيه الإدغام، يعني لمغايرة سبب الإدغام القياسي، قبل أن تحلّـى بـ «أل». أما الإدغام الحاصل الآن فلا علاقة له بذلك الإبدال، وإنما هو لالتقاء لام التعريف والتاء المبدلة. وقد بقيت اللامات بعد الإدغام في الرسم اصطلاحًا. واللام: للسببية تتعلق بـ «قلب». والجملة معطوفة على جملة قالوا، الاستئنافية. فهي لا محل لها من الإعراب بالعطف.

(٧) اللام: للسببية أيضًا، والمصدر المؤول في محل جر به. والجار والمجرور متعلقان ب «قلب» أيضًا مقيدًا بالجار والمجرور المتقدمين. انظر إعراب الجمل ص ٢٩٢. وسقط «قولهم» من ق.

« ايتَعَدَ » ، فتَنقلبَ(١) ياءً ، و« ياتَعِدُ » فتَنقلبَ ألفًا ، و« يُوتَعَدُ » فتَنقلبَ واوًا . فكرهوا في هذا التّقلُّبَ ، فجاؤوا بالتّاء ، وهو حرفٌ جَلد لاينقلبُ .(٢)

والاسمُ التُّؤَبَةُ ،(٣) على وزن : التُّخَمة . ويقال : إنَّ الطَّعامَ تُؤَبَةٌ . يقول :(٤) يَستَحِي الإنسانُ ، إذا دُعِيَ إليه فَجاءهُ .(٥)

[شواهد التفسير]

العــابُ(٦) والعَيــبُ لُغتــانِ ،(٧) كمــا يقــال : القــارُ والقِــيرُ ، والقــادُ

---

(١) أي : فتنقلب الواو . وياء : حال من الفاعل منصوبة . وعندي احتمال أن تكون الياء هنا مفعولاً ثانياً ، والأول صار فاعلاً عندما صيغ الفعل للمطاوعة ، إذ الفعل قلبَ : يتعدى إلى مفعولين ، لأنه بمعنى : جعل وصيّرَ . ومن ذلك نحو : ارتدَّ وانجعلَ وانعدَّ . ومثل هذا القول ينسحب على مايلي من التعليقات المناظرة ، ويقتضي التأمل . وفي : للظرفية المكانية تتعلق بالفعل قبلها . والمصدر المؤول من « أن » وما بعدها في محل نصب مفعول به لـ « كره » . والجملة في محل رفع خبر : أنّ . وايتعد : في محل نصب مفعول به لـ « يقول » على الحكاية . ب : « فتَنـقَـلِـبُ » . ق : « أو ياتعد فتنقلبُ » . وكذلك رفع الفعلين فيهما بعد . والنصب واجب للعطف على فعل مضارع منصوب ، وعلامة نصبه حذف النون . أما الرفع فيحتاج إلى تأويل بعيد لا داعي له في التركيب .

(٢) الحق أن ما ذكره أبو حاتم هنا عن الإبدال هو اللغة المشهورة الفصحى ، وهي لأكثر العرب . أما بعض أهل الحجاز فلا يكرهون هذا التقلب ، ويقولون : إيتَـعَـدَ وياتَعِـدُ ويُـوتَـعَـدُ . وبعض آخر يقول : ائتَـعَـدَ ويأتَـعِـدُ ائتِعادًا فهو مُـؤتَـعِـدٌ ، بالهمز . انظر سر الصناعة ص ١٤٨ والمنصف ١ : ٢٠٥ وشرح التصريف ص ٣٥٣ والتسهيل ص ٣١٠ - ٣١١ وشرح الكافية الشافية ص ٢١٣٦ والممتع الكبير ص ٢٥٦ وشرح الملوكي ص ٢٩٥ والتكملة ص ٢٤٨ واللسان والتاج (وعد) والاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد ص ٢١٩ .

(٣) الاسم أي : من الإبة . والتؤبة : الخزي والعار . وهو اسم مصدر للمبالغة فعله : اتّـابَ . وأصله « وُؤَبَةٌ » أبدلت الواو تاء للتخفيف : تُؤَبَةٌ ، ثم أبدلت لام التعريف تاء وأدغمت في التاء الثانية ، وبقيت اللام في الرسم اصطلاحًا . واسم المصدر : ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه ، وخالفه بخلوه لفظًا أو تقديرًا ، من بعض أحرف فعله ، دون تعويض . الخليل ص ٦٨ . والتؤبة : خبر مرفوع للمبتدأ : الاسم . والجملة استئنافية أيضًا . وعلى : للمصاحبة تتعلق بحال محذوفة عن التؤبة .

(٤) أي : يقول صاحب الكلام المتقدم . فضمير الفاعل ليس له عائد مذكور أيضًا ، ويفهم من السياق .

(٥) إذا : اسم مبني على السكون في محل نصب ظرف زمان متعلق بـ « يستحي » ومضاف إلى الجملة بعده . ودعي : فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح ، أصله « دُعِوَ » قلبت الواو ياء لأنها لام بعد كسر . ونائب الفاعل يعود على الإنسان . وجملة جاء : معطوفة على جملة : دعي ، في محل جر بالعطف . ب : فُجاءَةً .

(٦) العاب أصله « العَيَـبُ » قلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح . وكذلك : القار والقاد والذام . ك وش وق : والعاب .

(٧) يعني أنهما لغتان مختلفتان في مصدر : عابَ يَعيبُ .

والقِيدُ ، والذّامُ والذّيمُ .(١) ويقال : هو منّي قادَ رُمحٍ وقِيدَ رُمحٍ .(٢) وقال بعضُ العربِ :(٣) إنّ الرَّجَزَ لَعابٌ ، أي : لَعَيبٌ . والرَّجَزُ :(٤) ارتعادُ مُؤَخَّرِ البعيرِ عِندَ النُّهوضِ . يقال : ناقةٌ رَجزاءُ وبَعيرٌ أرجَزُ .(٥) وذلك عَيبٌ . قال أبو النَّجمِ ، يصفُ امرأةً :(٦)

---

(١) القار : الزفت تطلى به الإبل الجربى . والقاد : المسافة والقدر . والذام : العيب . وبين « العاب والعيب » من جهة وبين « القار والقير والقاد والقيد » من جهة ثانية فرقان : أن الأول مصدر والثاني اسم ذات ، وأن الأول مفتوح الفاء قبل الياء والثاني مكسورها . أما « الذام والذيم » فمثل « العاب والعيب » في المصدرية والفتح . وفي حاشية الأصل : « بكسر الذال ، وكان الأصل : العاب العيب » . قلت : كسر الذال غير معروف في اللغة . انظر تهذيب إصلاح المنطق ص ١٣٢ وتهذيب الألفاظ ص ٢٦٥ والصحاح ومختار الصحاح وشمس العلوم والقاموس واللسان والمصباح المنير والتاج ومحيط المحيط ولغة العرب في ترجمة (ذيم). أما « العاب العيب » فهو عبارة « أخبار النحويين » والأمالي أيضًا ، ولكنها من دون القول : لغتان .

(٢) ب : « قادَ رُمحٍ وقِيدَ رُمحٍ » بالنصب والرفع . وقيل :« النصب أولى لأن القاد والقيد للظرفية ، والظرف هنا بمعنى القرب من المظروف ، أي : المكان ، وحاوٍ له . ولو كان للبعد لكان أولى بالرفع ، نحو : هو مني مناطُ الثريّا ، لأنه بعيد من المظروف وليس حاويًا له » . وفيه نظر ، لأن الذي للبعد أيضًا ليس بعيدًا من المظروف ، بل هو محتوٍ عليه . شرح الكافية ١ : ٩٥ . فالرفع هنا جائز أيضًا على الخبر ، وليس عليه أولَويّة . فيكونُ المعنى على حذف مضاف قبل المبتدأ ، والتقدير : بُعدُه مني قادُ رمح . والجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة عن « هو » ، في صورتَي النصب والرفع لـ « قاد » . ورمح وزنه : فُعْل ، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة من مصدر : رَمَحَ ، نقل للدلالة على اسم الذات لتوكيد المبالغة .

(٣) في الأمالي ٢ : ٢٨٠ :« قال أبو زيد : سمعت أعرابيًا يقول » . والعبارة بعدُ فيها خلاف لما هنا يسير . وذكر القالي أن بيت أبي النجم هو من إنشاد أبي زيد .

(٤) الرجز : مصدر الفعل : رَجِزَ . وهو داء . وأل : عهدية ذكرية . ومؤخّر :مُفَعَّل ، اسم مكان من مصدر : أخَّرَ . أصله « مُؤَخْخَر » أدغمت الخاء الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . والبعير : الذكر من الإبل . وزنه : فَعِيل ، مبالغة اسم الفاعل من مصدر : بَعَرَ ، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . وأل : لتعريف ماهية الجنس . وهي في النهوض نائبة عن ضمير الغائب . وعند : ظرف زمان منصوب ومضاف متعلق بالمصدر : ارتعاد .

(٥) أرجز : صفة مشبهة من مصدر الفعل : رَجِزَ . ورجزاء : مؤنث أرجز . أصله « رَجزاى » بألفين ثانيتهما للتأنيث ، أبدلت همزة لالتقاء الساكنين . سر الصناعة ص ٨٣ ـ ٨٤ . وانظر الخصائص ١ : ٨٨ ـ ٨٩ .

(٦) أبو النجم هو الفضل بن قُدامة بن عبد بن عُبيد الله من بني عِجل بن لُجَيم ، شاعر وراجز أموي مشهور . والنجم : الفَعْل ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : نَجَمَ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . وأل : زائدة للمح الأصل . طبقات فحول الشعراء ص ٧٣٧ ـ ٧٥٣ والشعر والشعراء ص ٥٨٤ ـ ٥٩١ ومعجم الشعراء ص ١٨٠ ونوادر المخطوطات ٢ : ٢٨٥ والموشح ص ٣٣٤ ـ ٣٣٦ والأغاني ٩ : ١٥٠ والسمط ص ٣٢٨ ومعاهد التنصيص ص ٩ ـ ٢١ والخزانة ١ : ٤٨ ـ ٥٠ و٤٠١ ـ ٤٠٨ . والبيت في ديوانه ص ٤٢ من قصيدة في الغزل والفخر ، ارتجلها أمام عبد الملك بن مروان ، حين قال له : إنك لا تُحسن القصيد . فقال : إني لأُحسنه . قال : فقل في هذه الجارية : فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : شعثاء . فأنشد القصيدة ، وهي في ٣٠ بيتًا قوافيها على غرار اسم الجارية . السمط ص ٩٢٤ . وجملة يصف : في محل نصب حال من فاعل : قال . وذكر القالي أن هذا البيت ، كما قلنا قبل ، هو من إنشاد أبي زيد .

تَجِدُ القِيامَ كأنَّما هُوَ نَجدةٌ حَتّى تَقُومُ، تَكَلُّفَ الرَّجزاءِ[1]

أي: تَنهضُ من ثِقَلِ عَجيزَتِها[2] في شِدّةٍ.[3] والنَّجدةُ: الشِّدّةُ.

والبَسلُ: [الحَرامُ. والبَسلُ أيضًا]: الحَلالُ.[4] وهذا الحَرفُ منَ الأضدادِ.[5]

---

(١) البيت من البحر الكامل، والقافية من المتواتر مردفة بالألف، ورويها الهمزة، مطلقة موصولة بمدّ هو الياء المحذوفة في الرسم اصطلاحًا. وتجد: ترى وتحسب. وهو فعل مضارع مرفوع ينصب مفعولين، أصله «تَوجِدُ» حذفت منه الواو حملاً على حذفها من «يَوجِد» لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسر. والقيام: مصدر: قامت تقوم، أصله «قِوام» قلبت الواو ياء لأنها عين في مصدر فعل معلّ العين على وزن: فِعال. المنصف ١: ٣٤١ ـ ٣٤٣ والممتع ص ٣١٩ وشرح المفصل ٥: ٤٥ و١٠: ٨٨ وأوضح المسالك ص ٤٤٨ والتصريح على التوضيح ٢: ٣٨٩. وبين «قيام وتقوم» جناس اشتقاقي. والبيت في محل نصب مفعول به مقول القول لـ«قال». وجملة تجد... نجدة: ابتدائية في القول كبرى ذات وجهين. والقيام: مفعول به أول. وأل: نائبة عن ضمير الغائبة، إذ التقدير: قيامَها. وكأن: لتوكيد التشبيه. وما: حرف زائد للمبالغة في توكيد التشبيه. ونجدة: مصدر للفعل: نَجُدَ، خبر للمبتدأ: هو. والجملة في محل نصب مفعول به ثان.

وحتى: حرف استئناف لانتهاء الغاية في الارتفاع. والجملة بعده استئنافية ضمن القول. ولا تكون «حتى» حرف جر للتعليل أو لانتهاء الغاية، لأن الأول يجعل وجدان الشدّة سببًا لقيامها قيام الرجزاء، والثاني يعني انقطاع الشدّة بقيامها قيام الرجزاء. ولا تكون للاستثناء، إذ ليست في سياق النفي ظاهرًا أو مقدرًا، ولئلاّ يكون انقطاع غير مناسب للمراد. وتقوم: فعل مضارع مرفوع. وفي ب وق والأمالي: «تَقُومَ». وتكلف: مفعول مطلق منصوب نائب عن مصدر «تقوم» لبيان النوع والتوكيد. والتقدير: تقوم قيامَ تكلفِ الرجزاء. وهو مصدر مضاف إلى فاعله في المعنى، فعله: تَكَلَّفَ، وأصله «تَكَلْلُفٌ» أدغمت اللام الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا.

(٢) من: للسببية حرف جر يتعلق بـ«تنهض». والعجيزة: العجزُ أي: المؤخَّرة. وهي على وزن: فَعِيلة، صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر: عَجِزتْ، أي: ضخمت وارتفعت، عُبِّر بها عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. والتاء: مزيدة للنقل من الوصفية إلى الاسمية، أي: الصفة الغالبة.

(٣) الجملة تفسيرية للجملة الكبرى في الشطر الأول، لا محل لها من الإعراب. وفي: للمصاحبة تتعلق بحال محذوفة عن الفاعل، أي: مصاحبةَ الشدةَ والمعاناة.

(٤) أي: ويكون البسل أيضًا في غير قول ضمرة بمعنى الحلال. والزيادة بين معقوفين من المزهر ١: ٣٩٢، مع نسبة النص فيه لأبي زيد في نوادره. وأيضًا: مصدر للفعل: آضَ، بمعنى اسم الفاعل للتوكيد، حال منصوبة عن: البسل.

(٥) انظر الأضداد للسجستاني ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ولأبي الطيب اللغوي ص ٣٢ ـ ٣٧ وللصغاني ص ٢٢٤. والحرف أي: الكلمة. وأل: عهدية حضورية. ومن: للتبعيض تتعلق بالخبر المحذوف للمبتدأ اسم الإشارة. والأضداد: جمع ضِدّ. وهو اللفظ يقع على الشيء وضده في المعنى. فقد جاء عن العرب أنهم قد يُسمّون المتضادَّين باسم واحد، نحو: الجَوْن، للأبيض والأسود. الصاحبي ص ٩٧ ـ ٩٨ وأضداد السجستاني ص ٧٢. وضد: فِعْل، بمعنى مُضادّ للمبالغة من مصدر: ضادَّ، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وأصله «ضِدْدٌ» أدغمت الدال الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا.

قال عبدُ اللهِ بنُ هَمّامٍ :(١)

زِيادتَنـا ، نُعمـانُ ، لا تَحـرِمَنَّنـا   تَـقِ اللهَ فِينا ، والكِتابَ الَّذِي تَتلُو (٢)

---

(١) شاعر إسلامي أموي ، سَلُولي من بني مُرّة بن صعصعة من قيس عيلان ، أدرك عهد سليمان بن عبد الملك ، وكان يقال له من حسن شعره : العَطّار . وهمام : مثل بسّام . والسلولي : المنسوب إلى سَلُول . وهي جدة من جداته بنت ذُهل بن شيبان ، غلبت على بني مرة في النسب . وهو مبالغة اسم الفاعل من مصدر : سَلّ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . وزعم ابن جني أنه اسم مرتجل لايعرف أصله . المبهج ص ١٢٩ و١٩١ وطبقات فحول الشعراء ص ٥٩٣ و٦٢٥ ـ ٦٣٧ والشعر والشعراء ص ٦٣٣ ـ ٦٣٤ والأغاني ١٤ : ١١٥ ـ ١١٦ والسمط ص ٦٨٣ والخزانة ٣ : ٦٣٨ ـ ٦٣٩ والأنساب ٣ : ٢٨٢ .

والبيتان من إنشاد القالي عن ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي زيد ، في الأمالي ٢ : ٢٧٩ . فهما من نوادر أبي زيد وإنشاده أيضًا ، ومن قصيدة يشكو فيها الشاعر إلى معاوية ظلم النعمان بن بشير والي الكوفة في دفع حقوق أهل الديوان من الرواتب . انظر ص ٧٢ من ب والأغاني ١٤ : ١١٦ والإتباع ص ٥ وتهذيب إصلاح المنطق ص ٢٨ والخصائص ٢ : ٢٨٦ وسر الصناعة ص ١٩٨ وأضداد السجستاني ص ١٠٤ وابن الأنباري ص ٦٣ وأبي الطيب ص ٣٤ ـ ٣٧ والسمط ص ٩٢٣ وشرح الشافية ١ : ٢٠٥ وشرح شواهده ص ٢٩٦ والصحاح واللسان والتاج (بسل) و(وقي) .

(٢) البيتان من البحر الطويل ، والقافية من المتواتر مجردة مطلقة موصولة بمدّ هو الواو ، ورويها اللام . الوافي ص ٣٧ و١٩٨ وكتاب القوافي ص ١١ ـ ١٢ والقسطاس في علم العروض ص ٧٠ . والزيادة : عشرة دنانير كان معاوية أمر والي الكوفة النعمان بن بشير أن يضيفها إلى أُعطيات المستحقين من أهل الكوفة ، وكان النعمان عثمانيًا يبغض بعضهم فلم يُنفِذها لهم ، وأنفذها للآخرين . ولما كلموه في ذلك زجرهم ، فشكوا أمرهم إلى معاوية على لسان الشاعر . والبيتان في محل نصب مفعول به لـ « قال » .

وزيادة : مفعول به ثان لفعل محذوف يفسره المذكور ، على سبيل الاشتغال ، لأن الفعل المؤكّد لا يعمل فيما قبله . انظر الكتاب ١ : ٤٢ ـ ٤٧ والمقتضب ٢ : ٧٦ و٢٩٩ و٣ : ١٧٦ وشرح المفصل ٢ : ٣٧ والبسيط ص ٦١٦ ـ ٦٦٠ وشرح شواهد الشافية ص ٤٩٧ . أي : لاتحرمنّنا زيادتنا لاتحرمنّنا إياها . والجملة الأولى ابتدائية في القول ، والثانية تفسيرية لا محل لها من الإعراب تفيد التوكيد . والزيادة : مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : زِيدَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ونعمان : منادًى مفرد علم بحرف هو « يا » محذوف للمبالغة في التنبيه والنداء للبعيد ، مبني على الضم في محل نصب . والجملة فعلية اعتراضية . ونعمان : صفة مشبهة تفيد المبالغة مشتقة من النعمة مصدر : نَعِمَ ، عُبِّرَ بها عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . انظر المقاييس ٥ : ٤٤٦ ـ ٤٤٧ والاشتقاق ص ١٣٧ .

ولا : طلبية للنهي حرف جازم . وتحرمنّ : تمنعنّ ، فعل مضارع ينصب مفعولين مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد ، وفي محل جزم . والنون المشددة :حرف للمبالغة في التوكيد وإخراج مضمون الفعل عن الحال ، أدغمت نونه الأولى في الثانية . ونا : ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول . والثاني محذوف لدلالة ما قبله عليه . وهذا يعني أنه بين الجملتين احتباك . وتق الله أي : تجنب غضبه والزم طاعته . والفعل أمر مبني على حذف حرف العلة . ولفظ الجلالة : مفعول به منصوب ، وأل : زائدة لازمة للتزيين اللفظي والتعظيم . وهو على وزن : العالَ ، أصله « إلاهٌ » على وزن : فِعال ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : أَلِـهَ ، أي : عُـبِدَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ثم حُلِّيَ بـ « أل » ، فأدغمت اللام الأولى في الثانية ، وبقيت اللام الأولى في الرسم اصطلاحًا ، للتعبير عن الاسم العلم المعظم ، وحذفت الألف منه في الرسم . ولامه الثانية تفخَّم في اللفظ أصلاً ، وترقق إذا كان قبلها كسرة كما هنا ، إذ لا تجوز فيها الإمالة حفاظًا على القدسية والتعظيم ، وخلافًا لسائر الأسماء . وفينا أي : بسبب حقوقنا ، متعلقان بالفعل قبلهما .

=

أيُثبَتُ ما زِدتُم ، وتُلقَى زِيادتي ؟ دَمي ، إن أُسيغَتْ هذِهِ ، لَكُمُ بَسلُ(١)
قال أبو الحَسنِ : ويُروى : « أُجِيزَتْ »(٢) و« أُحِلَّتْ » . أي : حَلالٌ .(٣)

= والكتاب : القرآن الكريم ، معطوف على لفظ الجلالة منصوب بالعطف ، وأل : عهدية ذهنية . والذي : اسم موصول مبني على السكون ، وهو وحده ، بدون الصلة خلافًا لما يزعمه بعض المعربين ، في محل نصب صفة للكتاب . وأل : زائدة لازمة للتزيين اللفظي ، أدغمت لامها في اللام الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . وتتلو : تقرأ وترتل ، فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة ، وزنه : تَفْعُلُ ، وأصله « تَتْلُوُ » استثقلت الضمة على الواو فسكنت . والفاعل : ضمير مستتر وجوبًا تقديره : أنتَ . والضمير العائد على الاسم الموصول محذوف ، أي : تتلوه . والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب .

(١) الهمزة : حرف استفهام معناه الإنكار التوبيخي ، للتبكيت والتعجب في الفعلين التاليين . ويثبت : يُقرّر ويُنفذ . وفيه حذف همزة الجعل والتعدية ، كما ذكرنا في : يُقويا . وهو فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع ، عُبِّر به عن الماضي لإنكار استمرار مضمونه . وفي الأضداد والأمالي : « أَيَثْبُتُ » . وما سجلناه أولى لموافقة الفعل التالي بعده . وما زدتم أي : ما أضفتموه إلى أنفسكم وإلى أصحابكم . وفي الفعل ما في « يثبت » من التعبير عن الماضي وإنكار الاستمرار أيضًا . وما : اسم موصول لغير العاقل مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل ، وحده من دون الصلة . والجملة استئنافية ضمن قول الشاعر . وزدتم وزنه : فِلْتُم ، أصله « زَيَدَ » ولما اتصل بضمير رفع متحرك نقل من : فَعَلَ ، إلى : فَعِلَ ، فصار : زَيِدْتُم . نقلت حركة الياء إلى ما قبلها ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين . والجملة صلة الموصول حذف منها الضمير العائد أيضًا ، أي : زدتموه .

والواو : حرف عطف لمطلق الجمع . وتلقى : تطرح وتهمل ، فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة المقدرة ، حذفت منه همزة الجعل أيضًا . وبين « يثبت وتلقى » طباق في المعنى . وزيادتي : نائب فاعل مرفوع بالضمة المقدرة ومضاف . وبينها وبين « زدتم » جناس اشتقاقي . والجملة معطوفة على الجملة الاستئنافية قبل . والدم : سائل أحمر يجري في الشرايين والأوردة ، ماء للحياة حين يكون صافيًا . ووزن دم : فَعٌ ، أصله « دَمَيٌ » مصدر وزنه : فَعَلٌ ، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : دَمِيَ ، أي : سالَ ، حذفت منه الياء نسيًا للتخفيف ، وعُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ودمي : مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة ومضاف . والخبر : بسل . والجملة استئنافية ختامًا للقول .

وإن : حرف شرط جازمٌ يفيد عدم التيقن في المستقبل . وأسيغ : أُجيز وأُبيح . وزنه : أُفْعِلَ ، وأصله « أُسْوِغَ » والهمزة مزيدة للجعل والتعدية ، أعل حملاً على المجرد ، فنقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها ، وقلبت الواو ياء لسكونها بعد كسر . وهو فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح في محل جزم بـ « إن » . والتاء : حرف تأنيث . وها : حرف زائد لتوكيد التنبيه ، حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا . وذه : اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع نائب فاعل . والجملة جملة الشرط غير الظرفي لا محل لها من الإعراب . وجواب الشرط محذوف لدلالة ما حوله عليه ، أي : فهو لكم بسلٌ . وفي هذا توكيد بتكرار الجملة مذكورة ومقدرة . والفاء : رابطة لجواب الشرط تفيد توكيد السببية والتعقيب والترتب . والجملة المقدرة في محل جزم جواب الشرط . والجملة الشرطية في محل نصب حال مقدمة عن الضمير المستتر في « بسلُ » ، تفيد المبالغة في التوكيد لعاملها . واللام : للتعليل تتعلق بـ « بسل » .

(٢) جملة قال أبو الحسن : توكيد وبيان لنظيرتها من قبل . وأجيزت : مثل أسيغت .

(٣) هذا التفسير لأبي زيد ومن النوادر . وأُحل وزنه : أُفْعِلَ ، والهمزة مزيدة فيه للجعل والتعدية . أصله « أُحْلِلَ » نقلت حركة اللام الأولى إلى الساكن قبلها ، وأدغمت اللام في الثانية . وهو إدغام كبير واجب . وحلال : تفسير لـ « بسل » في آخر بيت الشاعر . فهو بدل منه ، ويروى أجيزت وأحلت : اعتراض بينهما . وحلال : مصدر بمعنى الصفة المشبهة لتوكيد المبالغة فعله : حَلَّ . وسقط « قال . . . أحلت » من ك وش .

ويُروى : « لا تَمحُوَنَّها » .(١) تَنصِبُ « زيادتَنا » ،(٢) وإن شَغلتَ الفعلَ بالهاء ،(٣) لأنّه نَهيٌ ، كقولكَ : زيدًا لا تَضرِبْه .

« تَقِ اللهَ » يريد : اتَّقِ اللهَ . فحذفَ إحدى التّاءينِ معَ الألف ،(٤) استخفافًا . ولا يُصنعُ هذا بكلّ ما أشبَهَه ،(٥) وقد جاء أيضًا ،(٦) أنشدَناهُ أبو زيدٍ هكذا :(٧)

(١) أي : في البيت الأول . والظاهر أن هذه الرواية للأخفش ، والصواب أنها لأبي زيد كما جاء في السمط ص ٤١٣ . وانظر ص ٢٧ من ب .

(٢) أي : بفعل محذوف يفسره المذكور بعد . انظر تعليقنا على البيت الأول . و« تنصب . . . لا تضربه » هو قول الأخفش ، كما جاء في السمط ص ٩٢٣ . وما بعده هو لأبي حاتم ، كما هو الظاهر من قوله : أنشدناه أبو زيد .

(٣) كذا . والمراد : بـ« ها » . والكاف بعدُ : اسم مبني على الفتح في محل رفع صفة لـ« نهي » ومضاف إلى : قول . وجاز وصف النكرة بالمضاف لأن الإضافة لفظية والتنوين منويّ ، والتقدير : مماثلٌ قولَك .

(٤) كذا أيضًا . يعني همزة الوصل . والتاء المحذوفة هي الأولى الساكنة في لغة من قال في المضارع : يَتَقِي . فلما سقطت حذفت الهمزة لتحرك ما بعدها . وتكون المحذوفة هي الثانية في لغة من يقول : يَتْقِي أو يَتْقَى . والماضي : تَقَى . وإنما قيل : يَتْقِي ويَتْقَى ، ليكون ما بعد حرف المضارَعة ساكنًا ، على غرار ما هو في الأفعال أصلاً . أما الماضي والأمر فلا تسكن فيهما التاء لأنها أول . وتق الله : في محل رفع مبتدأ على الحكاية خبره جملة يريد ، الصغرى أي : يريد به . والجملة الكبرى استئنافية في القول . واتق الله : في محل نصب مفعول به للفعل قبله على الحكاية . وإحدى : مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة للتعذر ومضاف . والجملة معطوفة على التي قبلها في محل رفع بالعطف . وأل : عهدية ذكرية في الموضعين . ومع : ظرف للمصاحبة مفعول فيه منصوب ومضاف متعلق بحال محذوفة عن : إحدى . واستخفافًا : مفعول لأجله منصوب ، أي : طلبًا للخفة .

(٥) أي : نحو : اتَّسَى واتَّلَى واتَّبَعَ واتَّصلَ . يعني أن ذلك ورد في بعض الأفعال لا في كلها ، نحو : تَخَذَ وتَجَهَ وتَسَعَ . وقيل : « تخذ » مخفف من : اتَّخَذَ ، وهو من : أخذ ، مثل : اتَّزَرَ واتَّمَنَ واتَّهَلَ ، من الإزار والأمن والأهل. انظر سر الصناعة ص ١٩٧ ـ ١٩٩ وتهذيب إصلاح المنطق ص ٢٨ والسان والتاج (تخذ) و(تجه). وذا: اسم إشارة في محل رفع نائب فاعل . والباء : للإلصاق المعنوي تتعلق بالفعل قبلها . والجملة استئنافية أيضًا . وكل : لاستغراق أفراد النكرة . وما : نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر مضاف إليه . وجملة أشبه : في محل جر صفة لـ« ما » .

(٦) يعني حذف التاء والهمزة . وفاعل جاء : ضمير يعود على : ذا ، من « هذا » . والجملة معطوفة على الاستئنافية قبلها . وأيضًا : حال من الفاعل قبله . انظر ما ذكرناه قبل ومعجم شوارد النحو ص ٣١ ـ ٣٢ ومعجم الشوارد النحوية ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٧) الفعل أنشد : ينصب مفعولين ، أولهما « نا » والثاني هاء الغائب . فهما مقدمان وفي محل نصب . والجملة في محل نصب حال ثانية من فاعل : جاء . وها : حرف زائد لتوكيد التنبيه حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا . والكاف : حرف جر بمعنى : على ، وذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل جر . والجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة عن المفعول الثاني . وقد تكون حرف جر زائدًا للتوكيد والتوطئة للحال ـ وذا : في محل نصب حالاً ـ أو اسمًا بمعنى : مثل ، التي تستخدم في معنى : نفس أو ذات . فهي نفسها في محل نصب حال ومضافة إلى : ذا .

والبيت لخداش بن زهير العامري ، وهو من البحر الوافر في محل جر بدل من « ذا » على الحكاية ، والقافية من المتواتر مردفة بالواو مطلقة موصولة بمدّ ، ورويها الدال . المعيار في وزن الأشعار ص ٤٢ و٩٢ وكتاب العروض لابن جني ص ٨٠ والقوافي ص ١٢ . والبيت في ديوان خداش ص ٥٥٤ وإصلاح المنطق ص ٢٤ والحلبيات ص ٧١=

تَقُـوهُ ، أيُّهـا الفِتيـانُ ، إنِّـي رأيـتُ اللهَ قَـد غَلَـبَ الجُـدُودا

ويروى : « الجُنُودا » .(١)

ولو قال : « تَحرِمَنَّنا اتْـ - - - ـتَقِ » ،(٢) فجعلَ نصفَ البيتِ في التَّقطيعِ التّاءَ الأُولَى ، ثمّ استأنفَ(٣) مِن « تَقِ اللهَ » جازَ .

= وتهذيب الإصلاح ص ٢٨ والمنصف ١ : ٢٩٠ وسر صناعة الإعراب ص ١٩٨ وشرح القصائد السبع ص ٣٢٨ والممتع ص ١٥٢ والمقاصد النحوية ٢ : ٣٧١ وفرائد القلائد ص ١٣٧ واللسان والتاج (وقي) . وانظر ص ٧٢ من ب . يقول : تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة للأمر والنهي ، لأنه إذا أراد أن يسلب ذا الحظ حظه من الدنيا لم يمنعه من ذلك مانع ، ولا يمتنع ذوو الحظوظ منه بحظوظهم .

والبيت في محل نصب بدل من المفعول الثاني قبله . وتقوه أي : اتقوا الله ـ تعالى ـ ، فعل أمر مبني على حذف النون . والواو : ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل . والجملة ابتدائية في البدل . وأيُّ : وُصلة لنداء ما فيه « أل » منادًى بحرف نداء محذوف للمبالغة في التوكيد ، نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب . وها : حرف توكيد للتنبيه وعوض من الإضافة . والفتيان : بدل من « أيُّ » مرفوع . وأل : عهدية حضورية . وفتيان : جمع تكسير للفتى . وهو الشاب والكهل أيضًا ، مصدر بمعنى الصفة المشبهة للمبالغة فعله : فَتِيَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . والجملة فعلية اعتراضية بين جملتين مستقلتين .

وإنَّ : حرف مشبه بالفعل التام . وجملة إني رأيت . . . الجدودا : استئنافية ضمن البدل تفيد السببية لما قبلها ، وهي اسمية كبرى ذات وجهين . ورأيت أي :علمت يقينًا . والفعل ينصب مفعولين ثانيهما جملة : غلب . وجملة رأيت . . . الجدودا : في محل رفع خبر « إنّ » ، وهي فعلية صغرى بالنسبة إلى جملة « إنّ » ، وكبرى ذات وجه واحد بالنسبة إلى جملة : غلب . وهذه الأخيرة فعلية صغرى . والجدود : جمع تكسير للـجَدّ . وهو ما قُسم من الحظ . وأل : جنسية للاستغراق الحقيقي . وجدّ : مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : جُدَّ ، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . وأصله « جَدْدٌ » أدغمت الدال الأولى في الثانية .

(١) كذا ، والرواية ليست في ك وش ، وهي من زيادات الأخفش وفيها نظر . إذ لو رجعنا إلى نسق الأبيات لرأينا قبل هذا بيتًا يروى في آخره : « وأكثَرَهُم جُنُودا » . وإيراد رواية « غَلَبَ الجُنُودا » مع تلك ، في البيتين المتواليين والمنكّر نفس المعرّف بـ « أل » العهدية الذكرية ، هو إيطاء عند الخليل ومرغوب عنه ، ولا سيما إذا تكرر في المقطوعة أو القصيدة الواحدة ، خلافًا لابن قتيبة الذي زعم أنه ليس بعيب كغيره . انظر الشعر والشعراء ص ٤٤ والقوافي ص ٦١ - ٦٩ والمعيار ص ١٠١ ـ ١٠٢ والوافي ص ٢١٧ ـ ٢١٩ والعروض والقافية ص ١٧٩ ـ ١٨١ و٣٠٧ ومراتب النحويين ص ٦٠ وسفينة الشعراء ص ١٥٤ . على أن البيت الآخر يروى : «وأكثرَهم عَديدا» . وبهذه الرواية يصح ما ذكره الشارح هنا . انظر المقتضب ٤ : ٩٧ وتخليص الشواهد ص ٤٢٥ وشرح ابن عقيل ١ : ٣٥٤ وشرح قطر الندى ص ١٧٠ وشرح الأُشموني ١ : ١٥٥والمقاصد النحوية ٢ : ٣٧١ وديوان خداش . والجنودا : في محل نصب حال على الحكاية من نائب فاعل : يروى . والجملة اعتراضية .

(٢) هذا في الأصل وب . ك وش وق : « تَحرِمَنَّنا اتْ » . وعبارة الشارح تعني أن الرواية مفترضة . وقال ابن جنّي : « ويروى: لا تَنسَيَنَّها ، اتْـ - - تَقِ اللهَ فِينا » . الخصائص ٣ : ٨٩ . فما افترضه الشارح هو وارد في رواية صحيحة .

(٣) أي : بدأ لفظ الشطر الثاني . فالاستئناف هنا بمعناه اللغوي لا النحوي . ونصف : مفعول به أول . و« وأل » في البيت والتاء : عهدية ذكرية ، وفي التقطيع : نائبة عن ضمير الغائب ، وفي الأولى : حرفية موصولة لغير العاقل . وفي : للمصاحبة تتعلق بحال محذوفة عن : البيت . والتاء : مفعول ثان . والجملة معطوفة على جملة الشرط غير الظرفي ، عطفت عليها جملة : استأنف ، لا محل لهما من الإعراب بالعطف .

وقد حذفَ قومٌ التّاءَ الأُولَى من «يَتَّقِي اللهَ»،(١) فقالوا: يَتَقِي. وأنشدَ:(٢)

يَتَقِي بِهِ نَفَيانَ كُلِّ عَشِيّةٍ والماءُ، فَوقَ سَراتِهِ، يَتَصَبَّبُ

وسِلابٌ:(٣) عَصائبُ سُودٌ.(٤) يقال: امرأةٌ مُسَلِّبةٌ، إذا لَبِسَتِ

(١) كذا في الأصل وب، والصواب بدون لفظ الجلالة، كما جاء في ك وش وق. وتق الله: في محل جر على الحكاية. وكذلك: يتقي الله. وجملة جاز: جواب الشرط غير الجازم لا محل لها من الإعراب. والجملة الشرطية استئنافية ضمن الاعتراض. وكذلك جملة: حذف قوم، عطفت عليها جملة: قالوا. ومن: لابتداء الغاية المكانية في الموضعين، تتعلق الثانية بحال محذوفة عن: التاء. ويتقي: في محل جر على الحكاية، وبالثاني يتم الاعتراض.

(٢) ب: «وأنشد وهو ساعدة بن جؤية الهذلي». وجملة أنشد: معطوفة على جملة: أنشدناه. والبيت من البحر الكامل في محل نصب مفعول به لـ «أنشد» على الحكاية، والقافية من المتدارك مجردة مطلقة موصولة بمدّ هو الواو المحذوفة اصطلاحًا، ورويها الباء الأخيرة. والبيت من قصيدة. شرح أشعار الهذليين ص ١١٠٠ واللسان والتاج (نفي) والخزانة ١: ٤٧٤ والقافية ص ١١ والعروض ص ٨٦ ـ ٩٣. ويتقي: يحفظ نفسه ويتجنب. والفاعل: ضمير يعود على ظبي ذكر قبل. وبه أي: بشجر الأرطى يلجأ إليه ليستتر ويتخفى. والباء: للاستعانة. والنفيان: ما تطاير وتناثر، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله: نَفَى، أي: تنحّى وتباعدَ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. وزنه: فُعْل، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر: كُلِّلَ، وأصله «كُلْلٌ» أدغمت اللام الأولى في الثانية.

والعشية: ما بين المغرب والعشاء. وهي على وزن: فَعِيلة، كما ذكرنا قبل. وكل: مضاف إليه مجرور ومضاف أيضًا. وعشية: مضاف إليه. والواو: للحال والاقتران. وجملة الماء يتصبب: كبرى ذات وجهين في محل نصب حال من فاعل: يتقي. والماء: ماء مطر كل عشية. فأل: نائبة عن ضمير الغائبة. وماء على وزن: فَعَل، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة من مصدر: ماهَ، أي: سالَ وتصبب، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وأصله «مَوَهٌ» قلبت الواو ألفًا لتحركها بعد فتح، فثقل لفظ الهاء بعدها، ولا سيما في الوقف، فأبدلت همزة ليتيسر النطق وصلاً ووقفًا. ك وش وق: «فالماءُ». وفوق: مفعول فيه ظرف مكان منصوب ومضاف متعلق بـ «يتصبب». وهو على وزن: فَعْل، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله: فاقَه، أي: علاه، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وسراته أي: ظهر الشجر وأعلاه. وسراة: مضاف إليه مجرور ومضاف، على وزن: فَعَلة، بمعنى اسم الفاعل المؤنث للمبالغة فعله: سَرِيَ، أي: علا وارتفع، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وأصله «سَرَوَة» قلبت الواو ألفًا لتحركها بعد فتح. ويتصبب: يتحدّر ويتساقط، والماضي: تصبَّبَ، فعل ثلاثي مزيد فيه حرفان بينهما الفاء للمبالغة في المطاوعة والتكثير. وأصله «يَتَصَبْبَبُ» التقى فيه ثلاث باءات، والأولى ساكنة، فأدغمت في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا. ولم تدغم الثانية في الثالثة لأنها مدغم فيها. والجملة فعلية صغرى في محل رفع خبر للمبتدأ: الماء.

(٣) ك وش وق: «سلاب» بدون الواو.

(٤) فُسر السِّلاب هنا بالجمع: عصائب ـ والظاهر أنه تفسير أبي حاتم ـ وفي أخبار النحويين ص ٤٥ ونزهة الألباء ص ١٢٧ والأمالي ٢: ٢٨٠ فسر بالمفرد ـ وهو فيها عن أبي زيد غالبًا ـ وفي اللسان أن السِّلاب والسُّلُب ثياب سود تلبسها المرأة في المأتم واحدتها سَلَبَة، وهي السِّلاب، وهو ثوب أسود تغطي به المُحِدُّ رأسها. فهو جمع ومفرد، وكذلك في القاموس والتاج مع استشكال وتصويب الإفراد. والحق أنه يكون مفردًا اسم آلة من مصدر: سَلَبَتْ، وجمعًا مفرده سَلَبة. ولكل دلالة وتفسير يناسبه، مثل: هِجان. فأبو زيد فسره مفردًا، وأبو حاتم فسره من خلال بيت ضمرة =

السَّوادَ .(١)

قال أبو زيدٍ : قال حُيَيٌّ بنُ وائلٍ ،(٢) وأدركَ(٣) قَطَرِيَّ بنَ الفُجاءةِ الخارجِيَّ أحدَ بَنِي مازِنٍ :(٤)

= جمعًا . وإذا جعل السِّلاب جمعًا لم يجمع على : سُلُب . فهِضاب جمع هضْبة لايجمع على هُضُب . وكذلك : قِلاع وقِلاص وجِبال ورِمال . أما اسم الجمع رِكاب فيجمع على : رُكُب . ولعل الصواب في عبارة اللسان : السَّلَب . وهو اسم جنس جمعيٌّ واحدته سَلَبَة . وعصائب : جمع عِصابة . وهي ما يشد به الرأس من منديل أو غيره ، اسم آلة على وزن : فِعالة ، من مصدر : عَصَبَ . وفي الجمع أبدلت الألف همزة وحركت بالكسر تخلصًا من التقاء الساكنين ، لأنها في المفرد حرف مد زائد . وسود : جمع سوداء ، صفة مشبهة مؤنثة تفيد المبالغة من مصدر : سَوِدَ .

(١) مسلبة : اسم فاعل مؤنث من مصدر : سَلَّبَتْ . وأصله « مُسَلْلِبةٌ » أدغمت اللام الأولى في الثانية . وهو إدغام صغير واجب . وامرأة مسلبة : في محل رفع نائب فاعل لـ « يقال » على الحكاية . ق : « مُسَلِّبَةٌ إذا لَبِسَتْ السَّوادَ » . وإذا : اسم مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان متعلق بـ « يقال » . وهو مضاف ، والجملة بعده في محل جر مضاف إليه . والتاء : حرف تأنيث ، حرك بالكسر لالتقائه بسكون السين الأولى . والسواد : مصدر بمعنى الصفة المشبهة لتوكيد المبالغة فعله : سَوِدَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد على توكيد للمبالغة . وأل : لتعريف ماهية الجنس ، أبدلت لامها سينًا وأدغمت في السين الثانية ، وبقيت اللام في الرسم اصطلاحًا .

(٢) الظاهر أن قول أبي زيد هنا ، وما يتضمنه من الشعر ، هو تتمة للاستشهاد على تفسير أبيات ضمرة . والدليل : أن « العاب » وارد في آخر البيت الثاني من النصَّينِ ، مع تفسيره بعده ، وأن الشُّرَّاح لـ « النوادر » غالبًا ما يستخدمون الواو في مطلع التمهيد لكل نص جديد من الشعر أو الرجز متميز ، كما في آخر ص ٥ وفي ص ٧ و٩ و١٠ و١٢ . وجملة قال أبو زيد : إقحام من الرياشي توكيدًا وبيانًا لما كان قبل أبيات ضمرة ، من « قال » الذي فاعله أبو زيد . وقال حيي . . . من العاب يريد العيب : تابع لذلك القول ، وأوله هنا جملة : قال حيي . وهي استئنافية ضمنه .

والبيتان التاليان في محل نصب مفعول به لـ « قال » الثاني . وحيي بن وائل شاعر خارجي أموي . انظر أنساب الأشراف للبلاذري ٤ : ٢ : ١٤٢ وشعر الخوارج ص ١٤٥ وشرح شواهد شرح الشافية ص ١٠٤ ـ ١٠٥ . وحيي : تصغير تحبُّب لحَيٍّ ، الذي هو صفة مشبهة تفيد المبالغة من مصدر : حَيِيَ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . فأصله « حَيْيٌ » على وزن : فَعْلٌ ، أدغمت الياء الأولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . ولما صغر وجب فك الإدغام وزيادة ياء التصغير بين الياءين ، فأدغمت ياء التصغير في الثالثة كذلك . انظر تصريف الأسماء والأفعال ص ٢٣١ . ووائل : اسم فاعل من مصدر : وألَ ، سُمِّيَ به للمبالغة .

(٣) الواو : حرف اعتراض . وأدركه أي : عاش حتى زمن حياته . والفاعل يعود على حيي . والجملة اعتراضية .

(٤) قطري : مفعول به منصوب ، سيد كريم الأعمام والأخوال من بني تميم ، وشاعر أموي أيضًا ، وأحد رؤساء الأزارقة من الخوارج ، بقي عشرين سنة يسلَّم عليه بينهم بالخلافة وإمارة المؤمنين ، وخطيب فارس مشهور بالبيان والفروسية ، خرج في ولاية مصعب بن الزبير على العراق ، وكان يكنى في السلم أبا محمد وأبا حنظلة ، وفي الحرب أبا نعامة . ونعامة اسم فرسه . وقطريٌّ قيل : منسوب إلى قطر البلد المعروف ، أو إلى بلد في عُمان . والراجح أنه لقب للشاعر وله اسم آخر . وفيات الأعيان ٤ : ٩٣ ـ ٩٥ . وهو مُعْرِق في البرَص مع أخوال أبيه وأبنائه ، عثرت به فرسه فمات ، وقيل : استشهد في الحرب سنة ٧٨ . والفجاءة أيضًا لقب لـجَعْوَنَةَ أبي قطري ، إذ كان غائبًا في اليمن عن قومه ، ولما جاءهم فُجاءة لقب بذلك . وأل : زائدة للمح الأصل . والخارجي : صفة ثانية لقطري منصوبة ، المنسوب إلى الخوارج . والواو منقلبة عن ألف « خارج » حملاً للنسبة على التصغير . وأل : حرفية موصولة للعاقل . وهم الجماعة الذين خرجوا على حُكم الحَكَمَين في وقعة صِفِّين . وكانت النسبة إلى المفرد على القياس . وكثيرًا ما ظلم هؤلاء في =

....

= التاريخ بإغفال بعض حسناتهم واتهامهم ببعض الأباطيل. انظر الاشتقاق ص ١٣٨ و٢٠٥ والبرصان والعرجان ص ١٠٧ ـ ١٠٨ والبيان والتبيين ١ : ٣٤١ ـ ٣٤٢ و٢ : ١٢٦ ـ ١٢٩ و٣١٠ ـ ٣١١ و٣ : ٢٦٤ والمحبر ص ٢٩٩ ـ ٣٠٢ والمعارف ص ٤١١ و٦٠٠ وعيون الأخبار ١ : ١٧٣ و١٧٥ و٢ : ٢٥٠ والكامل للمبرد ٣ : ١٦٧ و٣٣٥ ـ ٤١٢ وتاريخ الطبري ٦ : ٣٠٣ ـ ٣١٠ والأغاني ١٦ : ١٥٢ والعقد الفريد ١ : ١١٦ ـ ١١٧ و١٤٢ و٣ : ٤١٤ ـ ٤١٥ و٤ : ١٤١ ـ ١٤٣ والمبهج ص ٥٠ والسمط ص ٥٩٠ وزهر الآداب ص ٧٨٦ و١٠٢٨ وأمالي المرتضي ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧ وشرح الحماسة للتبريزي ١ : ٤٩ و٦٨ و٢ : ١١١ ومروج الذهب ٣ : ١٣٦ ـ ١٣٧ وجمهرة أنساب العرب ص ٢١٢ وجمهرة النسب ١ : ٣٧١ والأخبار الطوال ص ٢٧٠ ـ ٢٧٤ والأنساب ٢ : ٢٢٥ و٣٠٤ و٥ : ١٦٥ ـ ١٦٦ والكامل لابن الأثير ٤ : ٤٣٨ ـ ٤٤٣ وأنساب الأشراف ٤ : ٢ : ١٤٢ والمقاصد النحوية ٢ : ٤٥٢ وشرح أبيات المغني ٣ : ٣١٢ ورغبة الآمل ٤ : ٢٨ و٧ : ٨١ و٢٤٧ و٨ : ٣٧ ـ ٧٤ والأعلام ٦ : ٤٦ ـ ٤٧ وتصريف الأسماء والأفعال ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

وأحدهم أي : واحد منهم. فأحد على وزن : فَعَل ، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة من مصدر : وَحَدَ ، أبدلت الواو همزة على غير قياس. البحر ٨ : ٥٢٨ والتاج (وحد). وأحد : بدل من قطري منصوب ومضاف. وبني : مضاف إليه مجرور بالياء ومضاف أيضًا ، على وزن : فَعِي ، ملحق بجمع المذكر السالم لـ « ابن » ، أصله « بَنَيِيْنَ » ـ انظر « ابن وبنت » فيما مضى ـ استثقلت الكسرة على الياء فسكنت وحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، ثم قلبت فتحة النون كسرة لتجانس الياء ، وحذفت النون للإضافة. ومازن : ابن مالك بن عمرو بن تميم. وهو اسم فاعل عُبِّر به عن اسم الذات « بَيض النمل » للمبالغة في الوصف من مصدر : مَزَنَ القِربةَ إذا ملأها ، ونقل للتعبير عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة. انظر الاشتقاق ص ١٨٠ و٢٠٣. والبيتان في شعر الخوارج ص ٩١ و١٧٦ وأنساب الأشراف ٤ : ٢ : ١٤٢ والبارع ص ٦٢٢ واللسان (رجل) ، والأول وحده في شرح الحماسة للمرزوقي ص ٤٦٤ وللتبريزي ٢ : ٣٤ والحجة للقراء السبعة ٥ : ١١٠ وشرح المفصل ٥ : ١٣٣ وشرح الشافية ١ : ٢٧٨ وشرح شواهده ص ١٠٣. وقد تعذر على العلماء التوفيق فيهما بين المعنى والإعراب. وهما من البحر البسيط ، والقافية من المتواتر مردفة بالألف مطلقة موصولة بمدّ هو الياء المحذوفة في الرسم اصطلاحًا ، ورويها الباء. القسطاس ص ٧٩ ـ ٨٣ والقوافي ص ١٢ و٢١ ـ ٢٨ والمعيار ص ٣٧ ـ ٤١ و٩٢ والوافي ص ٥٤ ـ ٦٤ و١٩٨ وسفينة الشعراء ص ٥٨ و١٤٤ و١٤٧.

وأما : مركبة مِن همزة الاستفهام لطلب التصديق ، ومعناها الإنكار التوبيخي والتعجب ـ وهما مُنصبّان على القيد بالحال فيما بعد وما عطف عليها ، لا على الفعل ـ ومِن « ما » : التي هي حرف نفي. وليست « أما » على هذه الرواية للتنبيه بمنزلة « ألا » ، كما قال المفضل. وإنما تجوز بذلك المعنى على روايتي شرحَيِ المفصل والشافية القادمتين ، ولتفسير البيت وحده من دون إتباع الثاني. وانظر اللسان (رجل) والحجة للفارسي وما سيلي بعد. وأقاتل : أدافع وأحارب ، وزنه : أُفاعِلُ ، مزيد بحرفين بينهما الفاء للمشاركة يبدؤها الفاعل. والفاعل : ضمير مستتر وجوبًا تقديره : أنا. وعن : حرف جر للمجاوزة المجازية يتعلق بالفعل قبله. والجملة ابتدائية ضمن مفعول : قال. وديني : مجرور بالكسرة المقدرة ومضاف. والدين : ما يعتقده الإنسان ويدين به ، مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : دِينَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وعلى : حرف جر للاستعلاء الحقيقي يتعلق بحال محذوفة عن فاعل : أقاتل ، أي : كائنًا. والمعنى : فارسًا. وفرس وزنه : فَعَل ، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة من مصدر : فَرَسَ ، أي : وَطِئَ ودقّ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. معجم المقاييس ٤ : ٤٨٥ ـ ٤٨٦. وذكر الفارسي في « الحجة » أن المعنى : اعلموا أني أقاتل عن ديني وعن حسبي ، وليس تحتي فرس ولا معي أصحاب ». اللسان (رجل). وهو تفسير مخالف جدًّا للرواية المشهورة ، ومناسب لروايتي شرحَيِ المفصل والشافية ، ولتفسير « أما » بعد ، أو هو حلّ لما يؤول إليه المعنى العام لاتفسير للتعبير الوارد فيه. وفي شرح المفصل وشرح شواهد شرح الشافية : « على فَرَسِي ». والواو : حرف عطف لمطلق الجمع. ولا : حرف زائد لتوكيد النفي بـ « ما » ، وبيان أنه يشمل الحالين معًا وكلاًّ منهما على حدة.

=

أما أُقاتِلُ ، عَن دِيني ، على فَرَسٍ ولا كَذا رَجُلاً ، إلاّ بأصحابِ ؟
لَقَد لَقِيتُ إذًا شَرًّا ، وأدركَني ما كُنتُ أزعُمُ في خَصمِي ، مِنَ العابِ[(١)]

= وكذا أي : مثلَ هذا الشأن الذي أنا عليه الآن ، أي : مشابهًا إياه . فالكاف : اسم مبني على الفتح معطوف على الحال المحذوفة قبل في محل نصب بالعطف ومضاف . وذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل جر مضاف إليه . وجاز العطف على الحال للمضاف إلى اسم الإشارة ، لأن الإضافة لفظية والتنوين مَنْوِيٌّ كما قدّرنا قبل . والأولى هنا أن تكون الكاف حرف جر للاستعلاء المعنوي ، والجار والمجرور معطوفان على نظيريهما قبل . فهما بمعنى الحال أيضًا وفي محل نصب ولا يعلقان . ورجلاً : بدل من الكاف أو من الجار والمجرور منصوب . وهو على وزن : فَعُلاً ، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة مشتق من مصدر : رَجِلَ يَرجَلُ . ويعبر به عن اسم الذات كثيرًا فيكون لتوكيد المبالغة في المعنى . ويجوز أن يكون الكاف : في محل نصب حالاً من فاعل ، أو مفعولاً مطلقًا نائبًا عن مصدر ، لفعل محذوف : أفعلُ أو أقاتل ، أو معطوفًا على مفعول مطلق مقدر للفعل في الشطر الأول ـ وهذا يناسب ما يرد من تفسير أبي حاتم ـ أو حرف جر والجار والمجرور متعلقان بصفة محذوفة للنائب عن المصدر . وعلى هذا الأخير فـ « رجلاً » : حال من فاعل الفعل المحذوف .

وقال ابن الأعرابي : « وقوله : ولا كذا أي : ما ترى رجلاً كذا » . اللسان (رجل) . وهو تقدير بعيد يخالف المراد في ظاهر التركيب . وعليه فالكاف : في محل نصب حال مقدمة عن « رجلاً » الذي هو اسم ذات مفعول به للفعل المحذوف . وعدم التقدير لمحذوف لا يقتضيه المقال أولى . وفي شرح المفصل : « أو هكَذا رَجُلاً » . وفي شرح الشافية : « وهكَذا رَجُلاً » . انظر أيضًا شرح شواهده ص ١٠٥ . وإلاّ : حرف استثناء معناه الحصر . والباء : حرف جر معناه المصاحبة متعلق بحال محذوفة عن فاعل « أقاتل » مقيدًا بالحال الأولى . والتقدير : ألا أقاتل فارسًا أو راجلاً إلاّ مصاحبًا ؟ وأصحاب : جمع قلة للصاحب يراد به الكثرة . وصاحب : مشتق على صيغة اسم الفاعل من مصدر : صَحِبَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات للمبالغة . وفي شرح المرزوقي : إلاّ بأصحابي .

(١) اللام : حرف ابتداء معناه التوكيد ، وليست واقعة في جواب قسم محذوف ولا حاجة إلى تقدير قسم ، في مثل هذا السياق ، خلافًا لما عليه بعض النحاة . انظر الجنى الداني ص ١٢٥ والبسيط ص ٩١١ والمغني ص ٧١٨ ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ من القسم الأول . وقد : حرف تحقيق للمبالغة في توكيد اللام . ولقيت : صادفت وخالطت ، أي : سألقى وأُصادف ، عُبِّر بالماضي عن المستقبل بغية التحقيق للتحقيق . والجملة استئنافية ضمن القول . وإذًا : حرف جواب وجزاء يفيد السببية والحال والتوكيد للجملة كلها ، أي : لو لم أقاتل إلاّ بأصحاب لاقترفت السوء والإثم حقًّا ، وصرت مثل عدوي في الجبن والعجز . وشرًّا أي : سوءًا وفسادًا ، مفعول به للفعل قبله ، مصدر : شَرَّ يَشَرُّ ، أصله « شَرْرٌ » أدغمت الراء الأُولى في الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . وأدركني أي : نالني وأصابني . وفي هذا الفعل ما في « لقي » من الاستقبال أيضًا . وهو ماض مبني على الفتح ، والهمزة مزيدة فيه للإغناء عن المجرد ، والنون : حرف وقاية . والتوكيد المركب قبل مع التحقيق منسحب على هذا الفعل أيضًا بالعطف . وما : اسم موصول لغير العاقل مبني على السكون في محل رفع فاعل مؤخر ، وحده من دون جملة الصلة .

وكنت : فعل ماض ناقصٌ مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك . والتاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع اسم « كان » . وكنت : على وزن : فُلْتُ ، والأصل « كَوَنَ » . فلما اتصل بضمير رفع متحرك نقل من : فَعَلَ ، إلى : فَعُلَ ، فصار « كَوُنْتُ » . نقلت حركة الواو إلى ما قبلها : « كُوْنْتُ » ، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين . وجملة كنت أزعم : صلة الموصول ، فعلية كبرى ذات وجه واحد . وأزعم : أظن وأدّعي ، فعل مضارع مرفوع ينصب مفعولين . والجملة : فعلية صغرى في محل نصب خبر : كان . وفي : للظرفية المكانية المعنوية تتعلق بالمفعول الثاني المحذوف . والأول ضمير محذوف هو العائد على « ما » ، أي : ما كنت أزعمه كائنًا في خصمي . والخصم : المخاصمون المعادون ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : خَصَمَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد =

يريد : العَيبَ .(١)

قال أبو الحَسَنِ :(٢) رَوى غيرُ أبي زيدٍ أنَّ حُيَيَّ بنَ وائلٍ خرجَ راجِلاً ، يُقاتِلُ السُّلطانَ ،(٣) فقيل له : أتَخرجُ راجِلاً تُقاتِلُ ؟ فقال :(٤)

أمـا أُقـاتِلُهُم إلاّ علـى فَـرَسٍ ، ولا كَذا رَجِـلاً ، إلاّ بأصحابِ ؟

أبـو حـاتمٍ : قولُـه : « أمـا » مخفَّـفُ المـيمِ مفتـوحُ الألـفِ .(٥)

= المبالغة ، وجاز التعبير به عن الجمع لأنه مصدر . الدر المصون ٢ : ٣٥٠ ـ ٣٥١ و٩ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧ واللسان والتاج ولغة العرب (خصم) . وهو مجرور بالكسرة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ومضاف . ومن : للتبيين تتعلق بحال محذوفة عن « ما » . والعاب فيه أل : جنسية لتعريف الماهية .

(١) هذا التفسير في اللسان (رجل) منسوبًا إلى أبوَي زيد وحاتم ، لأنهما قالا ذلك ، والثاني راويًا عن الأول .

(٢) هذه الفقرة ليست في ك وش ، وهي في حاشية ب . و« قال أبو حسن » : توكيد وبيان لما كان من معناه في أول النص . والجملة بعده استئنافية ضمن ذلك القول .

(٣) غير : فاعل مرفوع ومضاف ، وصفية للمغايرة حذف الموصوف قبلها . وأبي : مضاف إليه مجرور بالياء ومضاف . والمصدر المؤول من « أنّ » ومعموليها في محل نصب مفعول به لـ « روى » . وراجلاً : حال من فاعل : خرج . وجملة يقاتل : في محل نصب حال ثانية من الفاعل مقيدًا بالحال الأولى : راجلاً . والسلطان : الوالي ، وزنه : فُعْلان ، مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : سَلِطَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . وأل : عهدية ذهنية ، أبدلت اللام سينًا وأدغمت في السين الثانية ، وبقيت اللام في الرسم اصطلاحًا .

(٤) الفاء : حرف عطف للترتيب والتعقيب والسببية في الموضعين . والجملة الأولى معطوفة على جملة : خرج ، في محل رفع بالعطف ، والثانية معطوفة على الأولى مثلها . واللام : للتبليغ تتعلق بـ « قيل » . والهمزة : حرف استفهام لطلب التصديق معناها الإنكار التوبيخي والتعجب . وراجلاً : حال من فاعل : تخرج . وأتخرج راجلاً تقاتل : في محل رفع نائب فاعل « قيل » على الحكاية . والبيت المذكور بعد في محل نصب مفعول به لـ « قال » قبله على الحكاية أيضًا . وسقط الشطر الثاني من ق .

(٥) الظاهر من ذكر الألف بعد الميم كون المراد أن الألف الأخيرة مفخمة غير مُمالة ، كما تمال في : بَلى ويا ولا وحَتّى . انظر همع الهوامع ٢ : ٢٠٤ وشرح الشافية ٣ : ٢٦ ـ ٢٨ وحاشية الصبان ٤ : ٢٣٢ . والصواب هو كون المراد أن الهمزة قبل الميم مفتوحة ، . يعني أن الكلمة ليست : إمّا . انظر تعليقنا على « اتّقِ » وشرح شواهد شرح الشافية ص ١٠٤ ـ ١٠٥ . وفي أمالي ابن بري على الصحاح وفي اللسان : (وقال المفضل : أمَا : خفيفة بمنزلة : ألا . وألا : تنبيه يكون بعدها أمر أو نهي أو إخبار . فالذي بعد « أما » هنا إخبار كأنه قال : أما أقاتل فارسًا وراجلاً) . وقد فسر ذلك الفارسي بقوله : « كأنه يقول : اعلموا أني أقاتل عن ديني وعن حسبي ، وليس تحتي فرس ، ولا معي أصحاب » . وهذا التفسير وما قبله بعيدان جدًا عن التركيب في الشعر ، إذ لايناسبان ما في الشطر الثاني من « لا » والحصرَ ، وما في البيت الثاني من تقرير مبني على النفي والحصر . ومحال أن يصح هذا كله مع كون « أما » للتنبيه ، إلاّ إذا أريد به الحلّ للمعنى العام لا تفسير للتركيب التعبيري ، كما ذكرنا قبل .

وقال الجاربَـردي : « معنى البيت الإنكار على من يرى أن مقاتلة هذا الشاعر لا تجوز إلا على حال مصاحبته مع أصحابه . فقال : لـِمَ لا أقاتل منفردًا ، سواء أكون فارسًا أو راجلاً » . وقد علق البغدادي على ذلك بقوله : « وهذا المعنى مرادُه قطعًا ، لكن في أخذه من البيت خفاءٌ ، وفي تركُبه تعقيد وقلاقة . وينظر في هذا الاستثناء » . شرح شواهد شرح الشافية ص ١٠٥ . وذكر ناشرو هذا الشرح أن الاستثناء هنا مفرغ والمستثنى منه المقدر هو عموم الأحوال . قلت : وفيما ذكره الناشرون من التفريغ افتراض لا مسوغ له ، في المقال أو المقام ، وما ذكره الجاربردي والبغدادي واضح ، على ما شرحنا قبل . فعموم الأحوال هنا يعني البدلية ولا يقتضي التفريغ المعروف في الحصر ، والمراد : كائنًا على كل حال إلاّ على فرس . والجار والمجرور على فرس : في محل نصب بدل من المقدرَين قبلهما ولا يعلقان . **وقوله ولا كذا** أي : **ولا أقاتلهم على فرس ، راجلاً** . وإنما يصح قول المفضل وتفسير الفارسي على ما سنذكر بعد .

وقولُه :(١) « رَجُـلاً » معنـاه : راجِـلاً ، كمـا تقـول العـربُ :جاءنـا فـلانٌ حافِيًـا رَجُلاً ،(٢) أي : راجلاً . كأنّه قال : أما أُقاتلُ فارِسًا ، ولا كما أنـا راجِـلاً ،(٣) إلاّ ومعِي أصحابِي ؟(٤) فلَقَد(٥) لَقِيتُ إذًا شرًّا . أي : إنِّي(٦) أُقاتلُ وحدِي .(٧)
ويقال : راجِلٌ ورِجالٌ ـ(٨) قال اللهُ ، تعالَى :(٩) ﴿فإن خِفتُم فرِجالاً أو

---

(١) نسب « وقوله . . . وحدي » إلى أبوَي حاتم وزيد في اللسان وأمالي ابن بري (رجل) ، وفي شرح شواهد شرح الشافية إلى السكري وبعضه إلى الجرمي ، مع خلاف يسير . وقد جازت تلك النِّسب لأن الأصل قول أبي زيد ، وكلاًّ من أبي حاتم والجرمي والسكري روى ذلك عنه .

(٢) قبل هذه العبارة في الحجة عن أبي زيد : « يقال : رَجُـلٌ رَجُـلٌ ، للراجل » . يعني أن « رجل » يوصف بقولك « رجل » إذا كان راجلاً . والكاف : اسم مبني على الفتح في محل رفع خبر ثان للمبتدأ « قول » ، ومضاف إلى المصدر المؤول من « ما » وما بعدها ، أي : مثلُ قولِ العرب . ق : ورجُلاً .

(٣) سقط « كما أنا » من اللسان ، و« لا كما أنا » من الحجة . وفي شرح الحماسة للمرزوقي والتبريزي : « ولا كما أنا الساعة » . وما : اسم موصول لغير العاقل في محل جر مضاف إليه الكاف . وأنا : ضمير رفع منفصل مبنيٍ على الفتح الظاهر على النون في محل رفع مبتدأ خبره محذوف ، أي : أنا كائن ، دلت عليه الحال من فاعله : راجلاً . والألف : حرف زائد في « أنا » للوقف . والجملة صلة الموصول . وراجلاً : حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف .

(٤) هذا التفسير مبني على أن التركيب في البيت استفهامي إنكاري . وإن جعلته خبرًا لا استفهامًا ، بناء على قول المفضل ومن تابعه ، بأن « أما » للتنبيه ، يكون خاصًّا بما جاء في روايتي شرحَـيِ المفصل والشافية . وعليه يكون الجار والمجرور « على فرس » في محل نصب بدلاً من المقدرين قبل . والتقدير : إني أقاتلهم على كل حال إلاّ على حال ركوب الفرس . وفي هذا جعل « إلاّ » حرف استثناء مُـلـغًـى ، من دون مسوّغ ظاهر . وذلك على تقدير : في جميع الأحوال ، كما ذكر ناشرو شرح الشواهد . وقد يؤيده أن « إلاّ » في الشطر الثاني تشعر بشيء من ذلك في الشطر الأول . على أن في هذا إشكالاً آخر ، هو ورود « أما » التنبيهية وليس بعدها ألفاظ التوكيد أو التحقيق ، وهي غالبية فيها على ما نعلم . لأنها كأختها « ألا » الاستفتاحية التنبيهية ، لا تكاد تقع الجملة بعدها إلاّ مصدرة بنحو ما يُتَلقّى به القَسَم . المغني ص ٧١. ومع : ظرف للمصاحبه منصوب بالفتحة القدرة ومضاف ، متعلق بالخبر المقدم المحذوف للمبتدأ المؤخر : أصحاب . والجملة في محل نصب حال ثانية من فاعل : أقاتل . والواو قبلها : للحال والاقتران . وفي ك وش ق وشرح شواهد شرح الشافية : أصحاب .

(٥) في اللسان وشرح شواهد شرح الشافية : لقد .

(٦) ق : « أي أني » . وفي اللسان : « إن لم » . وفي شرح شواهد شرح الشافية : « لو أني » عن نسخة قديمة من النوادر . ولعل الصواب فيها : « لو أني لا أقاتل وحدي » لا ما اقترحه البغدادي . وجملة إني أقاتل وحدي : تفسيرية للكلام قبلها لا محل لها من الإعراب .

(٧) وحدي : حال من فاعل : أقاتل ، منصوبة بالفتحة المقدرة ومضافة . وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : وَحَـدَ يَحِـدُ . وجازت الحالية هنا بالمضاف لأنه نكرة ، أي : متوحّدًا . التصريح على التوضيح ١ : ٣٧٣ . وفي اللسان أن آخر عبارة أبي حاتم هنا هي : « إن لم أقاتل وحدي » ، وأن أبا زيد أضاف بعدُ : « ولا كذا أقاتلْ راجلاً . فقال :إنه خرج يقاتل السلطان ، فقيل له : : أتخرج راجلاً تقاتل ؟ فقال : البيت » . وقوله « ولا كذا » أي : ولا وحيدًا .

(٨) مثل : صاحِب وصِحاب وراع ورِعاء وصائم وصِيام وقائم وقِيام . انظر الحجة ٥ : ١١٠ . وجملة يقال : استئنافية ضمن القول المذكور قبلُ عطفت عليها نظيرتها بعد . وراجل ورجال : في محل رفع نائب فاعل على الحكاية .

(٩) الآية ٢٣٩ من سورة البقرة . وقال . . . رجالة : اعتراض بين جملتي : يقال . وتعالى أي : تعظم ، فعل ماض=

رُكبانًا ﴾ ، أي : فرَجّالةً .[١] وكذلك : ﴿ يأتُوكَ رِجالاً وَّعلَى كُلِّ ضامرٍ ﴾ ،[٢] أي : رَجّالةً ـ ويقال : راجِلٌ ورَجْلةٌ ورَجْلٌ ورُجّالٌ ،[٣] ورُجالَى خفيفةَ الجيمِ ، ورِجْلةٌ[٤] بكسر الراء .

والعابُ [يريدُ] : العَيبَ . ويقال : بَوعٌ وباعٌ ، وصَوعٌ وصاعٌ .[٥]

= مبني على الفتح المقدر للتعذر . والفاعل يعود على لفظ الجلالة . والجملة اعتراضية أيضًا بين فاعل « قال » ومقوله . وأصل الفعل « تعالوَ » ، والزيادة فيه للمبالغة ، قلبت الواو ياء لأنها متطرفة متحركة فوق الثالثة بعد فتح ، وقلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح . وخفتم أي : توقعتم عدوانًا . ورجالاً أي : مشاة ، حال من فاعل لفعل محذوف . يعني : فصلّوا رجالاً . والجملة جواب الشرط في محل جزم . وأو : عاطفة للتخيير . وركبانًا أي : راكبين للإبل جمع راكب ، معطوف ومنصوب بالعطف . ويجب في نون « إن » وفي تنوين « فرجالاً » وفي ميم « خفتم » الإظهار من المخرج الحقيقي بدون غُـنّة ، لأن الأولى قبل خاء والثانية قبل همزة والثالثة قبل فاء . وقرأ أبو جعفر بإخفاء النون قبل الخاء . إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز ص ١٠٩ والنشر ١ : ٢٢٢ وإتحاف فضلاء البشر ص ١٥٩ . وقرئ أيضًا : فـرُجّـالاً ، وفـرُجـالاً ، وفـرُجَّـلاً ، وفـرَجـلاً . انظر البحر المحيط ٢ : ٢٤٣ والكشاف ١ : ٢٨٨ . ويجب في الوقف إبدال التنوين من « ركبانًا » ألفًا : رُكبانا .

(١) كذا ، ورجّالة : اسم جمع واحده رَجّـال بمعنى : رَجُل وراجِل ، والتاء مزيدة فيه لتوكيد الجمعية ، وليس جمعًا كرِجال . انظر تصريف الأسماء والأفعال ص ١٨٤ . و« فرجالة » : بدل من : فرجالاً . ب وق : « فرَجّالةٌ » . وسقط « أي » من ب .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحج . وهي في محل رفع مبتدأ مؤخر على الحكاية ، والكاف الأولى قبلها : اسم مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم ومضاف . والجملة استئنافية ضمن الاعتراض . ويأتوا : جواب شرط محذوف مع فعله مجزوم بحذف النون . والتقدير : إن تؤذّنْ في الناس بالحج يأتوك . ورجالاً : حال منصوبة عن ضمير الجماعة قبل . ويجب إدغام التنوين في الواو بعده إدغامًا ناقصًا بغنّة ، أي : مع بقاء أثر للفظ النون المدغمة . النشر ٢ : ٢٧ ـ ٢٨ وإيضاح الرموز ص ١٠٩ ـ ١١٠ . والوقف على « ضامرٍ » يقتضي حذف الكسرة ، بعد حذف التنوين لالتقائه بسكون الوقف : ضامرْ . وعلى : للاستعلاء الحقيقي . والجار والمجرور معطوفان على « رجالاً » في محل نصب بالعطف ولا يعلقان . وقرئ : رُجـالاً ، ورُجّـالاً ، ورُجـالَـى ، ورُجّـالَـى ، ورِجالاً . انظر معجم القراءات القرآنية ٤ : ١٧٦ ـ ١٧٧ ، وفيه وهم بضبط القراءتين الثالثة والرابعة . وكل : لاستغراق أفراد النكرة . وهو استغراق مجازي . انظر المفصل في تفسير القرآن العظيم . والضامر : ما كان قليل اللحم من الإبل جملاً أو ناقة ، اسم فاعل من مصدر : ضَـمَـرَ ، عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة . وهو يطلق على المذكر والمؤنث بلفظ واحد .

(٣) ب : « رُجال » خفيفة الجيم . وقيل : هو جمع نادر . وقد وردت به قراءة قرآنيه عن ابن أبي إسحاق وعكرمة والحسن البصري وأبي مجلز ومجاهد والزُّهري ، كما ذكرنا قبل . والصواب أنه اسم جمع . انظر تفسير الطبري ٥ : ٢٣٨ والكشاف ١ : ٢٨٨ والبحر ٢ : ٢٤٣ والتاج (رجل) وتصريف الأسماء والأفعال ص ٢١٦ . ورجّالةٌ : بدل من : رجالاً .

(٤) هذا اسم جمع أيضًا . وما بعد « راجل » اسما جمع له ثم جمعان . وقد ضبطها كلها البغدادي باللفظ البيـّن . وانظر تصريف الأسماء والأفعال ص ٢٢٣ .

(٥) الباع : قدر مد اليدين وما بينهما من البدن . والصاع : مكيال للحبوب ونحوها ، وقدره أربع حفـنات بكفي رجل متوسط اليدين . والباع والصاع أصل الألف فيهما هو الواو . أما العاب فأصل ألفه الياء . والزيادة بين معقوفين هي مما عدا الأصل .

الفَصْلُ الثّانِي

حقائق ومعلومات من النص

بعد هذه الوقفة المطولة ، مع الصفحات الأولى من « نوادر » أبي زيد ، وقد حاولنا توجيه ما فيها من مسائل ومشكلات ومعضلات بمساعدة المصادر والمراجع في المكتبة العربية ، يحسن بنا أن نتفحص تلك الصفحات ، لنكتشف ما تقدمه من مادة علمية للباحث ، وما تحتوي عليه من إشارات وحقائق تاريخية ، تمثل الحضارة المعرفية في القرن الثاني وما قبله وبعده . وهذا ما كنا وعدنا به في أواخر الفصل الثاني من الباب الأول ، فكان علينا إنجازه وتحقيقه في المرحلة العملية الحاضرة .

نحن الآن إزاء وثيقة علمية ، تحمل بعض الحقائق والمعلومات مما كان يجري بين العرب قبل الإسلام ، ثم ما صار يجري بين علماء العربية بعد ذلك . فلندخل هذا الميدان بروح الباحث المدقق ، يرود آثاراً قديمة لاستنباط النتائج المعرفية والمواد الاستدلالية ، في مجالات أبحاثه وموضوعاته التي يعالج . وها نحن أولاء أمام فِقَر وعبارات وجمل ومفردات ، تتضمن كل منها مجموعة من الظواهر والأدلة والتوجيهات ، وتتعاون فيما بينها لتوثيق واقع البحث العلمي ، في ميادين الأدب واللغة لدى العرب والمسلمين .

١ ـ التوثيق للعلم والمعرفة :

أول ما يصادفنا من هذه الوقائع أن التحصيل المعرفي لم يكن يلقى اعتباطًا ، بدون نظام ضابط أو سياج يحفظ له الوثوق والاستمرار في النماء والخلود . فالكتاب الذي بين أيدينا له إسناد علمي ينقطع عند تمّام اللخمي . وإذا كنا لا نعرف شيئًا عن تاريخ هذا الرجل ، لفقد الوثائق المسعفة به ، فإن ما أورده من حلقات السند يقدم إلينا نتائج جديرة بالقبول والاعتماد . ذلك أنه قرأ الكتاب على عالم كان تلقاه عن الأخفش الأصغر ، الذي توفي سنة ٣١٥ . وعلى هذا فنهاية الإسناد تكون بعد جيلين من الأخفش ، أي في أواخر القرن الرابع .

وإذا أضفنا إلى هذا ما كنا عرفناه ، من نسخ للكتاب وأسانيد ، تبين لنا أن ذلك التاريخ استمر في عدة مجالات لدى علماء آخرين ، ثم امتد لدى بعض إلى القرن السادس . هذا أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧) يتلقى الكتاب عن أبي بكر بن السراج ، وهذا محمد بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥) يتلقاه في إسنادين يلتقيان بأبي علي القالي (ت ٣٦٥) ، الذي كان قد أخذه عن المبرد وابن دريد موصولين بمن هم تلاميذ للمؤلف نفسه . ومن خلال هذه المعلومات ، ترى أن الكتاب ينقله إلينا خمسة من تلاميذ أبي زيد ، وهم : المازني والجرمي والتوّزي والرياشي والسجستاني .

وقد كان مع هذا البيان الزماني تعيين آخر . فالرياشي يحفظ شعر « النوادر » كما يحفظ السورة من القرآن الكريم ، وكان قد حفظ كتاب « الهمز » ويعدّ حروفه في عهد أبي زيد ، وقرأه عليه أيضًا . وقد ورد تعيين للمكان أيضًا ، كما جاء في مقولة تمام اللخمي ، التي أخلت بها بعض النسخ الخطية ، من أنه قرأ الكتاب بفُسطاط مصر ، وكما جاء عن أبي زيد من حوار بينه وبين أعرابية كان في موضع من البادية اسمه : العيون . ولو أسعفنا التاريخ بنصوص سائر الأسانيد التي عرفها ، وصارت في عالم الغيب من مطاوي المكتبات والسطور أو النسيان ، لكان لدينا خطوط غنية في هذا المجال ، توسع شبكات الاتصال في الأزمنة والأمكنة ، بما لا يعلم نهايته إلاّ المولى ، عز وجل .

ولهذا كان للكتاب عدة نماذج وفي نصوصه بعض الخلاف ، تبعًا للروايات المختلفة ، والملحقات التي أضافتها أجيال التلاميذ المتتابعة . فبعض النماذج صِرف كما أملاه أبو زيد ، من نصوص أدبية ولغات مع قليل من التفسير ، وبعض آخر مشوب بشروح وروايات وتحليلات لغوية ونحوية ، متفاوتة في القيمة والكمية ، حفلت بها النسخ الخطية ، والبعض الأخير محلًّى بالتعليقات والحواشي لزيادة تفسير وبيان . ومن ثَم اختلف سياق كثير من العبارات الواردة في النص ، وتعددت الظنون في أصلها وفي تحديد نوع الكتاب وتعيين مؤلفه ، تبعًا لتلك الزيادات المقحمة .

ثم ترى في مستهل النص أن الكتاب له إسنادان متصلان بالمؤلف ، يبدأ بهما الأخفش عن المبرد والسكري ، ليصلاه بتلاميذ لأبي زيد . وعندما نوسع الدائرة ، لنطل على بقية المعلومات المتوفرة ، نجد ستة أسانيد إضافية ، يقدم أبو علي القالي

اثنين منهما عن المبرد وابن دريد ، ويقدم الأربعة الأُخرى ابن السراج عن مجموعة من شيوخه . وهنا يبدو لنا تداخل الروايات وتعاونها ، إذ يكون لبعض التلاميذ اشتراك في عدة شيوخ ، مع تكرر القراءات لدى التلميذ الواحد ، فيتلقى الكتاب من شيخين أو ثلاثة أو أربعة . وهذا يعني أن العالِم كان يقرأ الكتاب المعيَّن على عدة شيوخ ، حرصًا على التوثيق والدقة والبيان ، وعلى جمع الروايات المختلفة .

أما النصوص من شعر ورجز ولغات ، في أصل الكتاب كما رواه مؤلفه ، فهي من مصدرين علميين موثقين ، أُخذت عنهما بالسماع المباشر : أحدهما المفضل الضبي شيخ الكوفة في الرواية واللغة والأدب ، والثاني هو العرب . وإذا كان المراد بالعرب هنا غير معين في الظاهر فإن حياة أبي زيد تسعف بالبيان ، أنهم الذين شافههم أبو زيد في زيارة منازلهم بالبادية ، أو في زياراتهم للبصرة والكوفة وبغداد ، فتكون « أل » في قوله « العرب » غير معرِّفة ، أي : للاستغراق العرفي .

وفي هذه العبارات العلمية الموثقة ، ترد أساليب مختلفة للدلالة على أسلوب التلقي . فأنت تجد مثل : قال ، قرأت ، أخبرنا ، أخبرني ، قال لي ، أنشدني ، أنشدنا . ولكل من هذه العبارات دلالة اصطلاحية ، في مراتب التعلم والتعليم والعرفان . ثم يكثر إيراد « قال » بعد : قرأت أو أخبر ، لتوثيق ذلك بالقول النصي . ولكل من المصطلحات الإسناديه تعبير محفوظ يناسب دلالته . نحو : قرأت على ، وحفظت كتاب « الهمز » لأبي زيد ، وقرأته عليه حفظًا وكنت أعد حروفه ، وأخبرني عن ، وأخبرنا عن ، وسمعه من ، وسماعي من ، وقال لي ، وأنشدني لضمرة ، وأنشدناه أبو زيد .

وإذا تداخلت الروايات أو العبارات المسندة جاء بينها نحو : « قال الأخفش ، قال أبو سعيد ، قال أبو حاتم ، قال أبو الحسن ، قال أبو زيد » ، لتعيين أصحاب المقولات التالية ، وتمييز بعضها من بعض . ثم إذا كان للعالم روايتان ، بينهما عبارات قد توهم غير المراد ، جاء في النص ما يزيل اللبس . وهذا ما تراه عند الأخفش حين يقول : « أخبرنا أبو العباس . . . وأخبرني أبو سعيد . . . وأخبرني أبو العباس » . وإذا دخل بين الخطوط إقحام غريب عن مضمون الكتاب كان له بدء وختام لتحديد مداه . وذلك في قول الأخفش أيضًا : « وزاد الأصمعي » أولاً ، و« رجعت الرواية إلى

أبي زيد » أخيرًا . وقد يُكتفى بالأسماء الأعلام لذلك التحديد ، كما جاء في الفقرة بعد بيتَي حُيَيّ بن وائل .

والتعريف للرجال في تلك العبارات له أساليب محفوظة أيضًا . والغالب في ذلك ذكر اسم العالِم ثم أبيه وجده ونسبته في القبائل ، ثم في العلم فالموطن فالمهنة ، على ما يتيسر من المعلومات ويحتاجه البيان . هذا ما يكون في سياق العاديين من الرجال . أما من اشتَهر بكنية أو لقب فالتقدمة في التعريف تكون لهذا المشهور ، وقد يُكتفى به لدلالته المفيدة . ومن ذلك : أبو إسحاق ، أبو الحسن ، أبو العباس ، أبو حاتم ، أبوسعيد ، أبو زيد ، التوزي ، الرياشي ، الأصمعي .

وللكتاب الذي بين أيدينا روايتان أوردهما الأخفش لتعيين مصادر أبوابه ، تتفقان في أن اللغات أُخذتْ عن العرب ، ثم تختلفان في مَرجعية الشعر والرجز : فإحداهما عن السكري عن أبي حاتم تنص على أن أبا زيد تلقى الشعر عن المفضل والرجز عن العرب ، والأُخرى عن المبرد عن التوّزي تزعم عكس ذلك . ومن خلال ألفاظ الإسنادين ، وصلة كلٍ من الرواة بالموضوع وحياة أبي زيد العلمية ، تحققت لنا صحةُ الرواية الأولى وسقوطُ الثانية بالوهم والاضطراب . فقد انفرد أبو حاتم بالتلقي الصريح الجازم ، إذ خصه أبو زيد بالقول الفصل .

ولعلك ترى في صنيع الأخفش هنا ما يؤخذ عليه ، إذ يورد روايتين في مضمونهما بعض التناقض ، دون أن يحقق في ذلك فيرجح إحداهما ، أو يجزم بما يراه الصواب ويسقط المرجوح أو الباطل ، مع أنه أحق بذلك لقربه من عهد المؤلف وشدة صلته بالكتاب نصًّا ورواية وشرحًا . على أن ظنك هذا فيه جور على الحقيقة ، وجهل بتاريخ الحضارة الإسلامية وأساليب التصنيف العربي ، ومناهج البحث العلمي . فمقتضيات هذه الأساليب والمناهج أن ينقل العالم الروايات المتعددة بوفاء وأمانة ، وإن كان فيها خلاف أو تناقض ، ثم يترك الأبواب مشرعة أمام الخلَف ليقول كل كلمته بالاستنباط والبرهان .

هذا إن لم يتبين له وجه الصواب أو الترجيح . فإن ظهر له ذلك فيما يروي ، من تصويب أو جزم ، أورده تعليقًا على المقولات بذكر الأدلة والمرجحات . وإلاّ ترك الحكم للتاريخ بما يظهر للعلماء والمحققين بعد . وهذا شأن كثير من علماءِ التاريخ

واللغة والأدب والتفسير والحديث، والجمهورِ الغفير من القضاة يثبتون نصوص الشاهدين والخبراء، ويضعونها بين أيدي من يليهم في الحكم استئنافًا أو تمييزًا. أما أن يُسقط ما لا يرضاه من المقولات، أو يتصرف في مضمونه، أو يلقي الأحكام من دون أدلة، فذلك يعني بتر الحقائق وتشويه الوقائع وسد السبل في وجوه الباحثين عن الحق، والمحكَّمين في القضايا نفسها بعد.

ومن عبارات الرواة وإشاراتهم هنا، قد تحقق عندنا أن الكتاب الأصلي لأبي زيد لم يكن له اسم علم، يميَّز به بين المصادر المختلفة من مصنفات مؤلِّفه وغيره من العلماء. فالسكري يقول عنه: «هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس»، من دون نص أو إشارة إلى اسم مخصوص. والرواة الآخرون يردّون إلى الكتاب نفسه، بما عرّفه السكري، لفظ «هذا الكتاب» أو ضمير الغائب مراراً بلا زيادة تعيين أو بيان، نحو القول: ما كان فيه، وحفظته.

وتحقق عندنا أيضًا أن ذلك المصنف الأصلي لأبي زيد هو نصوص من الشعر والرجز والعبارات النثرية، كانت صغيرة الحجم قليلة المادة، لا تكاد تبلغ نصف كمية الكتاب المعروف، وأن ما بين أيدينا الآن منه هو مصنف آخر، كان السجستاني قد صنع منه شرحًا على نصوصه بتعليقات مناسبة، ثم جاء الأخفش الأصغر، فاعتمد صنيع أبي زيد والسجستاني، وأضاف إليه تعليقات من جهوده وجهود أسلافه ونظرائه، فيها التفسير والشرح ونصوص ومسائل من التعريف بالشعراء والرواية والتصويب واللغة وبعض من الإعراب والتصريف، ناسبًا كثيرًا من ذلك إلى قائليه، حتى لو كان هو لم يتلقه مباشرة عنهم، كالبيت الذي أقحمه السجستاني عن الأصمعي في مقطوعة ضمرة، فذكر الأخفش مصدر الزيادة ليميزها من رواية أبي زيد. فالكتاب إذًا مرحلة ثالثة من التصنيف، مرت بأعلام من القرنين الثاني والثالث، وحملت عنهم الجهد الكريم والخدمة للغة القرآن العظيم.

ثم إذا رجعت إلى تلك الأسانيد، وما فيها من تلقّ ونقل بالعنعنات والإحالة والحكاية للأقوال والروايات، تبدى لك الارتباط الوثيق بين الشيوخ والتلاميذ في المسيرة العلمية التعليمية، للحفاظ على قدسية المعارف ومصداقيتها، وتنمية البحث بالنقل الموثق في أسلوب علمي دقيق البنيان. وهذا ما تفردت به حضارة الإسلام، في

كثير من العلوم والمعارف وميادين البحث والتصنيف ، وقل أن تجد له نظيراً أو شبه نظير في الحضارات العالمية حتى الآن .

ومن خلال ذلك يتبين لك أن تمّام بن عبد السلام تلميذ للشيخ إبراهيم بن محمد ، وهذا تلميذ لشيخه الأخفش الأصغر ، الذي هو مرتبط بشيخين هما المبرد والسكري . أما المبرد فتلميذ لشيخين أيضًا : التوّزي والسجستاني ، وأما السكري فلشيخين كذلك : الرياشي والسجستاني . فالمبرد والسكري يشتركان في الأخذ عن عالم واحد ويفترقان في غيره . ثم إن التوزي والرياشي والسجستاني هم من تلاميذ أبي زيد ، الذي هو أيضًا تلميذ للمفضل الضبي والأعراب الفصحاء .

٢ ـ شذرات علمية ومعرفية

في مطاوي هذا النص ، بما فيه من أصل وتعليقات للشرح والتفسير والتحليل والتسديد والتنظير ، تقف على مواد غنية بالمفاهيم والمصطلحات من بعض العلوم الإسلامية العربية . وقد تعاونت مصادر هذه العلوم ومراجعها ومفاهيمها ومعارفها في تيسير قراءة النص ، وإدراك مراميه الظاهرة والخفية ، وإثارة ما يتضمنه من مشكلات وقضايا مختلفة الميادين متعددة الانتماء ، والعمل لتفهم أبعادها وتوجيه مقاصدها وتحليل مكوناتها واقتراح الحلول العملية المناسبة ، مع التحقيق لعناصر التعبير والتفكير ، وتقويم النص في موازين العلم والعرفان ، وتوجيه مضامينه نحو الوضوح والتعاون والتكامل والوحدة .

وأبرز ما يذكر ههنا هو أساليب الرواية والتلقي ، بما تحمله من نص مفيد أو مرجح أو محقِّق جازم ، وكل ذلك تعبيرات مخصوصة تؤدي الوظائف المرتبطة بها في أذهان العلماء والشيوخ والتلاميذ والمؤرخين والباحثين . وهذا أيضًا مما تفردت به حضارة المسلمين ، في ميادين تاريخ المعرفة ، واستخدمته في كثير من العلوم بدرجات متفاوتة تناسب القيم العقلية والإنسانية لنوع العلم ، ومنزلته في تثقيف الإنسان وتأهيله ليكون ذا شأن في الفكر والعمل والإنتاج وصنع الحياة .

والكتاب لا تُلقى فيه النصوص والمعلومات جزافًا ، على غير تصنيف وتقسيم ، بل تُجمع فيه الأشباه والنظائر في زمر موضوعية معينة ، وتوزع على أبواب لها عناوين مميزة : أبواب للشعر ، وأُخرى للرجز ، وأُخرى للغات . وبذلك يكون تمييز كبير بين

المنثور والمنظوم ، ثم تمييز آخر بين المنظوم نفسه ، بحيث يكون فصل واضح بين الشعر والرجز . وهذا ما كان عليه كثير من العلماء ، إذ أخرجوا الرجز من حياض الشعر ، ووصفه بعضهم بأنه « حمار الشعر » ، ليكون بالنسبة إليه كنسبة الحمار إلى الفرس والناقة الكريمتين .

ثم ترى أن لفظ « اللغات » لا يعني ما يعرفه الناس عنه في هذه الأيام ، أي : مجموعة الألفاظ والصيغ ومفردات الكلام وقواعد تأليفها ، مما تتميز به الجماعات البشرية بعضها عن بعض ، لتبادل الأفكار والرغبات والتجارب والشعور والخيال والعواطف . وهو لا يعني أيضًا اللهجات المختلفة بين القبائل العربية ، على غرار ما جاء عن أبي عمرو بن العلاء ، من أنه يصنف كتبه بمعيارية تعتمد الأكثر من كلام العرب ، ثم يسمي ما خالفه لغات . بل إن هذا اللفظ « اللغات » يقابل لدى أبي زيد المراد بـ « النوادر » ، ويعني به المنثور من كلام العرب عامة ، في مفردات أو جمل أو عبارات ، قد يكون فيها غريب أو نادر أو لا يكون . وهذا خلاف ما صار شائعًا بين العلماء ، من مفهوم للغات أو النوادر .

والحروف أيضًا قد يراد بها الكلمات ، لا الأصوات المعجمية المفردة التي تتألف منها المفردات ، والهمزة المعروفة في أول الحروف الهجائية تسمى أَلِفًا ، وضمير النصب والجر للمؤنثة الغائبة « ها » يعبر عنه بالهاء مفردة من دون مدّ ، والاستئناف يَرِد أيضًا بمعناه اللغوي ، ولا يراد به المفهوم الاصطلاحي عند العلماء . ثم إن المفردات قد تحمل إحداها معنيين متضادين ، كالبسل والجون . والمصدر الذي هو للدلالة على الحَدَث ، مجردًا من الذات والزمان ، قد ينقل إلى حقل الصفات فيكون له وظيفة النعت أو الخبر أو الحال ، ويلازم صيغته في ذلك سواء أكان موصوفًا به مذكرٌ أو مؤنث ، مفردٌ أو مثنى أو جمع .

وباستقراء النص كله ، بما فيه من ألفاظ وتراكيب وعبارات وفقر مطولة ، يتحقق لديك أن الفصاحة والاستقامة في التعبير هما السمة الدائمة الراسخة في الرواية والإسناد والإنشاد والتفسير والشرح ، والتحليل والتنظير والاستدلال والبرهان ، وإيراد الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية ، والأدلة اللغوية من معجمية وإعراب وصرف وعروض وبلاغة .

وهذا ظاهر في النثر والشعر ، وهو ديدن العلماء والأدباء في القرنين الثاني والثالث ، بعد أن انتشر اللحن والفساد في ألسنة بعض الناس ، وهو دليل على أن ما يذكره بعض المستشرقين والمستغربين ، من عامية كانت في الجاهلية والإسلام بين الفصحاء والعلماء ، هو خرافة وهمية ودسيسة يهودية ، اصطنعوها للطعنِ على تاريخ عروبة اللسان ، ثم التوصلِ إلى النيل من إعراب القرآن العظيم . ولهذا زعم بعض الأفّاقين منهم أن الكتاب الكريم كان في الأصل غير مُعرَب ، ثم جاء النحاة والقرّاء ففرضوا عليه ذلك وألزموا الناس به . وها أنت ذا قد رأيت مستوى الأداء والتعبير في قرنين متأخرين . فما قولك في عهد الجاهلية وصدر البعثة النبوية الشريفة ، وقبل أن يختلط العرب بغيرهم من أبناء الأمم المسلمة ؟

والنصوص المروية تُنسب إلى أصحابها ما أمكن ، وفاء بواجب العلم ، وحفاظًا على الأمانة والحقيقة . فالأشعار التي في نصنا الموجَّه أولها لضمرة بن ضمرة النهشلي ، وثانيها لأبي النجم ، وثالثها لعبد الله بن همام ، ورابعها خال من النسبة إلاّ أنه سيرد في الكتاب بعد مع ذكر صاحبه خداش بن زهير ، وخامسها غُفل من النسبة ، وسادسها لحُيّ بن وائل . والعمدة في هذه النصوص هي أبيات ضمرة ، لأنها مركز الإجراءات العملية في التفسير والتحليل والتنظير ، تدور في فلكها سائر الأشعار والعبارات اللغوية والنحوية والعروضية . . .

وكذلك شأن المقولات النثرية في تحديد أنسابها ، فهي غالبًا ما يتقدمها بيان لقائلها ، نحو : « قال تمام بن عبد السلام ، قال أبو الحسن ، زاد الأصمعي ، قال أبو حاتم ، قال بعض العرب ، قال أبو زيد ، روى غير أبي زيد » . ومع هذا الحرص على الدقة والوفاء والأمانة ، تجد في المصادر التراثية بعض تلك النصوص منسوبة إلى اثنين أو أكثر بخلاف يسير . وليس في هذا ما يشعر بالتدليس أو الانتحال ، لأن تلك العبارات قالها شيخ أول ، وتناقلها تلاميذه عنه وتلاميذهم مؤيدين له ، فكانت مقولات ثابتة للجميع .

وقد يضاف إلى تلك النسبة للشعر والنثر عبارات تفيد زيادة في تعيين صاحب المقال . فأبو سعيد هو المعروف بالسُّكَّري ، والمفضّل بن محمد هو الكوفي ، وضمرة بن ضمرة وهو نهشلي جاهلي ، والمرأة التي حاورها أبو زيد هي أعرابية بنت

مائَة سنة وبلدها اسمه العيون ، وحُيي بن وائل أدرك قطري بن الفجاءة ، وقطري هذا أَحد بني مازن . وبنُثار هذه المعلومات يزداد التخصيص لمن يرد في النص ذِكره ، بنسبة إلى مهنة أو مكان أو زمان أو فصاحة أو عمر أو معاصر مشهور أو قبيلة معروفة .

بل إن النص الشعري غالبًا ما يقدم له أو يعلق عليه بما يعيِّن موضوعه . فأبيات ضمرة فيها لوم زوجته له على السخاء والعطاء ، وبيت أبي النجم هو في وصف امرأة تنهض من ثقل عجيزتها في شدة ، وبيتا عبد الله بن همام فيهما نهي عن الظلم وأمر بتقوى الله ، وحيي بن وائل كان قد خرج راجلاً ليقاتل السلطان ، فقيل له : أتخرج راجلاً تقاتل ؟ فأنشد شعره المذكور . وأحيانًا يلحق بالنص الشعري روايات مختلفة لبعض مفرداته أو صيغه أو تراكيبه ، نحو : أُسيغتْ وأُجيزتْ وأُحلّتْ ، ولا تَحرِمَنّنا ولا تَمحُوَنَّها ، والجُدودا والجُنودا ، وأما أُقاتل عن ديني ، وأما أُقاتِلُهم إلاّ .

وقد تُطرح مقولات نظرية في الرواية ، ثم تجد لها تحققًا في التاريخ الواقعي . فقول عبد الله بن همّام :

زِيادتَنــــا ، نُعمـــانُ ، لا تَحرِمَنّنـــا تَقِ اللهَ ، فِينا ، والكِتابَ الّـذِي تَتلُـو

يَفترض فيه الشارح أنه لو قال : « تَحرِمَنّنا اتْـ - - - ـتَقِ » ، فجعل نصف البيت بعد التاء الأولى ، ثم بدأ النصفَ الثاني بـ « ـتَقِ اللهَ » لجاز له ذلك . وهذا الافتراض الظني نراه قد ورد تحققه في بعض المصادر التراثية الأُخرى .

ثم إن التفسير للنصوص الشعرية يرد بعد تمامها ، لابين أبياتها . وهذا ما كان عليه جمهور الشُّرّاح في مناهجهم إلى أواخر القرن الثاني ، كما ذكر المؤرخون . حتى إذا كان تصنيف الأخفش الأوسط (ت ٢١٥) لكتابه « معاني الشعر » خالف أقرانه ومعاصريه واتخذ نهجًا جديداً في ذلك . قال ثعلب :[١] « أول من أملى غريب كل بيت من الشعر تحته الأخفشُ . . . ولم أدركه لأنه كان قبل عصرنا ، وكان يقال له : الأخفش الراوية » .

وما تُبيِّنُ دلالتُه من النصوص يكون في اللفظ والتركيب والمعنى العام لسياق العبارة ، من شعر أو نثر . ومن هذا بكرتْ أي : عجلتْ ، والندى : السخاء والعطاء ،

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٦ وإنباه الرواة ٢ : ٢٩ . وانظر منهج التبريزي في شروحه ص ٣١ - ٤٣ .

وبسل عليك : حرام عليك ، وساغب : جائع ، والإبة : الخزي والحياء ، والنجدة : الشِّدة ، وتق الله يريد : اتق الله . وسلاب : عصائب سود ، وأما : مخفف الميم مفتوح الألف ، وقوله رجُلاً معناه : راجلاً ، كأنه قال : أما أقاتل فارسًا ، ولا كما أنا راجلاً ، إلاّ ومعي أصحابي . فلقد لقيت إذًا شرًّا . أي : إني أقاتل وحدي . وساغب : جائع . يقول : فلا أصُرّ نوقي ، وابن عمي جائع ، حتّى أُرويَه .

وهكذا يُشرح معنى البيت أو الشطر منه ، بعد أن تفسَّر دلالات المفردات . وقد رأيتَ أن ما يراد تفسيره لابد أن يعيَّن لفظه ، ويحضر في التعبير ، ليتيسر الربط بين الكلمة أو العبارة ومعناها اللغوي . وإلاّ كان العمل فضفاضًا بسرد للكلام من دون فائدة . ثم إن التفسير يكون ببيان الدلالة الحقيقية المقصودة في النص نفسه ، لا بحشد المعاني الوضعية والمجازية والفنية والاصطلاحية المتعددة التي تكون للكلمة في المعاجم العامة ، كما يفعل اليوم أغبياء الناشرين للتراث ، والدارسين له في كثير من الجامعات والمؤسسات العلمية .

لكأنهم يظنون أنهم يقلدون علماء العربية الذين شرحوا بعض الدواوين والمجموعات الشعرية والمصنفات الأدبية والعلمية في القرون الأولى ، كالأصمعي والسكري والنحاس والأنباري وابنه والفارسي وابن جني . . . والحق أن هذا ظن وهمي فيه قياس مع الفارق . ذلك لأن أولئك الشُّرّاح القدماء كانوا علماء لغة يعلّمون الناس صور البيان والدلالات المختلفة ، في بيئات لايملك طلابها المعاجم والمصادر اللغوية اللازمة ، وهم وطلابهم قادرون على تمييز المعنى السياقي للنص من المعاني الدلالية الأُخرى .

أما معاصرونا ممن ذكرتُ فهم في مقام آخر بعيد جدًّا عن أولئك . إنهم ليسوا من العلماء أولاً ، والمخاطبون بالتراث والدراسات الآن قريبة منهم المصادر اللغوية اللازمة ثانيًا ، وهم في غنى عن نقلها إليهم في حواشي النصوص ثالثًا ، ثم قلّ من هؤلاء وأولئك رابعًا من يستطيع تعيين المعنى السياقي ، ليستبعد المعاني الباقية المعرقلة المخرّبة .

لذا يكون فهمهم للمراد غائمًا موزعًا ، يقيم علاقات مشتتة بين المفردات في النص وبين دلالات مختلطة متداخلة ، ويكون تفسير هؤلاء الناشرين والدارسين سببًا في إفساد العقول ، والتطفل على النصوص بالتعالم والتكثر والاستطراد واستعراض

العضلات . هذا إذا لم يكونوا على جهل وقصور ، بحيث لا يستطيعون تمييز المعنى السياقي ، فتراهم يركبون مطايا التشتت والضياع ، والتهويم على غير قصد أوبيان ، ثم يرمون الطلاب في مجاهل من المقاصد والدلالات والتفكير .

وما ذكرناه قبل لا يعني أن شروح « النوادر » تُغفل ما قد يُحتمل أو يُظن من المعنى للمفردات ، وتتجاهله في عملية التفسير . ولذا ترى أن « بَكَرتْ أي : عجَّلَتْ . ولم يرد بكور الغدوّ . . . وبسل عليك : حرام عليك . والبسل : الحلال . وهذا الحرف من الأضداد » . فالاحتمال وارد في الأذهان ، والتعرض له واجب حين تمس الحاجة إليه ، إذ للقبائل والبيئات العربية أحيانًا اختلاف في توظيف المفردات والعبارات ، أو في صياغة الكلمات . ولا بد من ملاحظة ذلك في إجراءات التفسير .

وإذا كان في المعنى إشكال أو غموض حاول الشارح أن يعرضه في أساليب مختلفة ، مع الاستدلال بالنصوص الوافية ، ليصل بالقارئ إلى مرحلة الوضوح والبيان . فالبكور هو العجلة ، وليس بكور الغدو ، ومنه باكورة الرُّطَب والفاكهة ، للشيء المتعجِّل منه . تقول : أنا أُبكِّر العشيّة فآتيك ، أي : أُعجِّل ذلك وأُسرعه . ولم يرد الغدوَّ . ألا ترى قوله : بعد وهن ، أي : بعد نومة ؟ ومن نحو هذا أيضًا أمثال : العاب والعيب ، والذام والذيم ، والقاد والقيد ، وصوع وصاع .

وقد ترى بعض التكرار في التفسير والشرح ، كما هو في الفقرة المتقدمة . وهذا قد يرد عن المفسر الواحد لزيادة البيان والتوضيح ، وأكثره من تعاون عبارات مفسرين متعددين ، يتناول كل منهم المفردات والتراكيب بأسلوب يناسب تصنيفه ، ويورد ذلك في المقام المفيد . ومن ثَم تتداخل تلك العبارات في السياق العام ، ويبدو ما فيها من تعدد وتكرار .

وقد يكون الاستدلال بالمثال الحيّ مع النماذج المتعددة من الصيغ والتراكيب ، كالذي تلمسه في نحو : الإبة : الخزي والحياء . يقال : خَزِيتُ من الشيء ، أي : استحَيَيتُ منه . قال : وقلت لأعرابية بالعيون بنت مِائَة سنة : مالكِ لا تأتين أهل الرُّفقة ؟ فقالت : إني أخزَى أن أمشيَ في الرفاق ، أي : أستحِي . ويقال : اتَّأبتُ من الشيء : استحييتُ منه . . . ويقال : أوْءَبتُ الرجلَ فاتَّأب ، أي : أحشمته فاحتشم . . .

والاسم التُّؤَبَة على وزن : التُّخَمَة . ويقال : إنّ الطعام تُؤَبَة ، يقول : يستحي الإنسان إذا دعي إليه فَجاءهُ .

وبهذا يتضح المعنى ، بعد عرض النماذج والمرادفات والصيغ المختلفة ، مع بيان الصورة الصوتية أحيانًا ، بما يقابلها من الصيغ المشهورة . ثم إن العبارات المسوقة للتفسير قد يرد فيها ما يحتاج إلى بيان ، فتتسلسل الإجراءات العملية بإيراد ما يزيل الأعراض من الغموض ، وتتعدد صور الشرح والتبيين . فتفسير العاب يذكر فيه الرجز ، والرجز يفسر معناه الوضعي ، مع نماذج تعبيرية وشاهدٍ من شعر أبي النجم ، وتفسيرٍ لما في الشاهد من معنى يحتاج إلى بيان . وكذلك لفظة « رجُل » يلزمها التفسير براجل ، وهذا يكون له جمع رجال أيضًا ، مع جموع أُخرى وأسماء جموع مضبوط بعضها بخفة الجيم وكسر الراء ، والجمع الأول يستدل عليه بآيتين ، تقتضي كل منهما تفسير ما فيها من ذلك الجمع .

ومن خلال هذا كله ، قد يرتد الشارح باللفظ إلى أصله اللغوي أو التركيبي ، فيبسط مسائل لغوية وتحليلات صرفية وإعرابية ، تساعد على كشف صور الاستخفاف والاقتصاد اللغوي ، في التعبير والتركيب . وهذا واضح بالتفصيل ، فيما أوردنا قبلُ ، وفي الحديث عن الإدغام والحذف من : اتّأبت واتّعدنا والتُّخَمَة والتُّكْلان ، وتَقِ اللهَ ويَتَقي ، مع إيراد الشواهد المعينة على ذلك ، والاحتراس من التعميم في الحذف ، لأنه يتخلف أحيانًا ويتحقق في حين آخر . ولا تنس أن الشواهد النثرية والشعرية تفيد أيضًا ضبط اللفظ المقصود بالتفسير أو التحليل ، لأن الصور المعروضة في التراكيب الاستشهادية تكون أقرب إلى التعيين والتحديد ، بما حولها من صور التعبير والتركيب أو الإيقاع الشعري .

وقد يكون في التفسير ما يعتمد الأساليب المجازية لبيان المعاني والدلالات الدقيقة الواقعية . فالوهْن الذي يعني في الوضع : الضعف وذبول الحيوية ، يسير في الخط المجازي بالملازمة ، فيصبح المراد به : الساعة من الليل أو ما بعد نصفه ، ثم يتابع مسيرته تلك ليكون معنى « بعد وهن » لدى المفسِّر : بعد نومة . ذلك أن النوم غالبًا ما يكون في ساعات الليل ، وبه يكون الضعف وذبول الحيوية . فلا غرو أن يتأهل الوهن للدلالة على النوم ، وكأنه معناه الحقيقي . وقريب من هذا ما تجده في

الإبة من الدلالة المجازية باللزوم أيضًا . فالأصل الوضعي لها هو الخزي والحياء ، ثم تصير بمعنى ما يلزم ذلك من العتب واللوم .

ولتقرير ما يجوز في المصدر الموصوف به ، من لزوم للإفراد في السياقات المختلفة ، مع المفرد والمذكر وغيرهما ، يستعرض أبو حاتم صور التركيب ، مع النص على الحكم والاستدلال بالنظير كما يلي : هي بسلٌ وهما بسلٌ وهنّ بسلٌ ، الواحد والاثنان والثلاثة والذكر والأُنثى فيه سواء ، كما يقال : رجل عدلٌ ، وامرأة عدلٌ ، ورجلان عدلٌ ، وامرأتان عدلٌ ، وقوم عدلٌ . ودفع الإشكال في نصب « زيادتنا » ، مع اكتفاء الفعل بعدُ بمفعوله ، يقتضي عرض موضوع الاشتغال ، فأنت تنصب « زيادتنا » وإن شغلت الفعل بالهاء ، لأنه نهيٌ ، كقولك : زيدًا لا تضربْه . وفي هذا النوع من التركيب ، وفي لزوم المصدر للإفراد أيضًا ، صورة من الاقتصاد العلاجي في التعبير والتواصل بالخطاب .

ومن هذا الباب أيضًا ما تقف عليه في النصوص الشعرية والنثرية ، من غياب مفردات كثيرة ، تُحذف للإيجاز واقتصاد التعبير . وقد ذكرنا عدة نماذج تمثل هذه الظاهرة من البلاغة والبيان . وحسبنا هنا أن نشير إلى تلك الضمائر التي ليس لها عائد في شعر ضمرة ، وإنما يلحظ من المعنى العام ما يراد بها ، فيُستغنى عن الإطناب والتكثر في اللفظ والتركيب . وكذلك تقدير الفاعل بما هو حاضر وقت الخطاب ، في البيت الثاني من تلك المقطوعة . ولسوف ترى نماذج غفيرة من هذه الميادين تحت العنوان التالي للفقرة القادمة .

أضف إلى هذا كله ما كان من تميّز بين الشعر والنثر ، من أساليب في القول والتقاليد الفنية . فعلى الرغم من وحدة المواد الأولية لصناعة هذين الأخوين التعبيرين ، ترى فيما يحويه مستهل « النوادر » تمايزًا كبيرًا بينهما في تناول تلك المواد وتوظيفها والتصرف فيها ، وتوزيعها على أنماط التركيب والبيان . فالوضوح والدقة والحضور والانتظام في النثر يقابله في الشعر إيحاء وتهويم وإخفاء وتنقل بين المواقع ، ثم ما يعتمده الفن الشعري ، من ألوان للتعبير بالصورة والخيال والرمز والإيقاع الموسيقي ، في التركيب والصياغة والتصويت ، وما فيه من تقاليد خارجية بقيم غنائية في شكل البحور والقوافي ، وما يكثر في بنائه التعبيري من الحذف والإيجاز

والتخييل ، مما يحتاج إلى شرح بعبارات وفقر نثرية . يقابل ذلك أن بعض صور النثر تقتضي تفسيراً بنماذج شعرية أيضًا . وبين هذين النمطين من التفنن ضرب ثالث هو الرجز ، يكون له سمات خاصة ، وحيز محفوظ في أبواب الكتاب .

٣ ـ ملامح اجتماعية ولغوية :

والمتصفح لهذا النص ، من شرح الأخفش للنوادر ، يقف على لمحات متعددة تمثل تقاليد وأساليب من حياة العرب في الجاهلية والإسلام . فالمرأة ذات حضور ظاهر في الحياة العامة ، ولكنه قد يمثل عنصراً سلبيًّا إزاء بعض القيم الاجتماعية كالسخاء والعطاء . ولذلك فهي تلوم زوجها على بذله المال وإكرام أهله وأقربائه والضيفان ، وتحضه على الإمساك والبخل ، وهو ينكر لومها وحضها ويبين لها أن هؤلاء المكرَمين هم الذين يحفظون أياديه ، ويذكرونه في الحياة والممات ، ثم يحزنون لفقده ويثأرون لمقتله ، على حين أن تلك الإبل المحلوبة أو المنحورة لهم لن تقوم بشيء من الذكر له والحزن عليه أو الانتقام من قاتليه .

وفي هذا حوار بين الجنسين ، كما ترى ، يقوم على الاحتجاج والاستدلال والإقناع ، مع توجيه إلى الصواب بالحجة والبرهان ، وفيه أيضًا أن المرأة لها مشاركة في سياسة الأسرة ونقد ما تراه جديراً بالتقويم ، ولها قول يسمع ويتقبل بالتفهم والنقاش ، لا بالإهمال والإعراض أو الاحتقار ، وأن للعربي مرتكزات منطقية واعية في تفكيره وتدبيره ، وليس مسيره في مسارب الطيش والنزق دائمًا ، حتى عندما يستخدم الفن وسيلة للخطاب والبيان .

غير أن ما يعتمده الشاعر للرد ، من مرتكزات الاحتجاج ، فيه نظر من جهات . إنه يبسطه من منطلقات قبلية ومسوغات شخصية ، إذ يجعل العطاء لأبناء عمه ولمن يرثي مقتله ويحض على الثأر له ، كما يظهر من قوله . فهو لم يستطع أن يتجاوز بتعبيره دائرة مجتمعه وأنانيته ، ليحلق في ميادين الإنسانية النبيلة ، وإن كان في نفسه يريد أوسع مما دل عليه بيانه ، لأن الجود العربي لا ينحصر في زوايا الأنانية والقرابات . ثم إننا لا نسمع ما تقابل به الزوجة حجج الشاعر ، بما عندها من أدلة متكاثرة ومماحكات متطاولة ونزعات جدلية لا حد لها .

فالشاعر يعتمد على المصادرة في الاحتجاج ، إذ يغالط في تقبل ما نطرحه

المرأة من نقد وتوجيه ، ويصرفه إلى غير الجهة التي رمت إليه ، ويضيّق المجال الذي انطلقت منه وسعت فيه ، فيحصره في لبن النوق يقتات به أبناء العم ، للمبالغة في الإلزام بالحجة والإشعار ببطلان المقاصد . وسرعان ما ينهي الموضوع بما يورد من مقولات معززة بالزجر والتعنيف والاستدلال الملزم للخصم ، فيقطع عليها سبيل متابعة الحوار وبيان وجهة نظرها بالتفصيل . وهكذا ينحل الخلاف أمامنا بتبادل محدود ، ختامه بتر باستعراض الأدلة الملزِمة والمسلَّمات المقرَّرة ، في النفوس والبيئة والتاريخ الجاهلي .

ثم إن زوجة الشاعر تحتج عليه وتلومه على ما تراه إسرافًا وتبذيرًا ، ولكنه هو يشوه ما تريده وترمي إليه ، إذ يضخم مدى قولها ويبالغ فيه ، فيزعم أنها تلومه على العطاء ، عطاء الأقربين المحتاجين إلى العون لعجزهم وفقرهم إلى مُصاصة اللبن ، ويدعي أنها تأمره بقطع كل بذل أو معونة ، ليعرض علينا وعليها وجه نظره من قيم البيئة الصحراوية العربية . فالجود بالمال هو الذي يحفظ للإنسان كرامته في الحياة وبعد الممات ، بخلاف ما يكون من البخل الذي هو عار يأنف منه الفرد والمجتمع ، فتكون الدعوة إليه تشجيعًا على ارتكابِ الخزي والمعايب ، وارتضاءِ الشتم والنبذ من ربوع الجماعة بين القبيلة وسائر الناس .

هذا شأن إيجابي للعرب في الجاهلية يمثله الرجل من ناحية ، في مقابل سلبية المرأة وتجاهلها لبعض المُثل الاجتماعية . على أن لها من جانب ثان موقف الفاعلية في مذمة الإسراف والتبذير ، ثم في تضخيم بعض تلك المثل أحيانًا . ذلك هو إمعانها في الحداد على القتيل المهمل ، واستغراقها في مظاهر الحداد والحزن والتلهف ، حتى تستنهض الهمم للانتقامِ والثأر من المعتدين ، وتحقيقِ أسباب الاستقرار والانتصاف في مجتمعات الجاهلية .

فهذه بارقة نبيلة لامعة من تقاليد الحياة البدوية ، يوافقها في التوجه والنبل أن الإكرام يقابَل أحيانًا بالتحرج من قبوله ، إذ يكون في الإقبال على الطعام استحياء . وكذلك شأن الحرص على الجهاد لدى الخوارج لتحقيق واجبات الاعتقاد والمذاهب ، وصيانة الحقوق والمبادئ ، واستمرار دفع العدوان والتسلط والطغيان ، ثم ما يرد في المقولات الشعرية ، من عبارات لدى الحنيفيين تفصح عن الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وبسلطانه وجبروته اللذين تفنى أمامهما كل القدرات وجميع

الحظوظ الفائقة . أضف إلى ذلك ما يكون عن الشعراء من تحذير للطغاة وأمر بالتقوى والتزام للحق والخير والصلاح . وهذا نراه في بيت خداش بن زهير ، وقد استُشهد به لبيان حذف همزة الوصل والتاء من : تَقُوه .

ويقابل هذه القيم الإيجابية الكريمة بعض السمات العقيمة الفاسدة . ومنها اعتقاد أن الهامة تخرج من رأس القتيل ، لتحرّض على الثأر حتى يؤخذ به . ومنها أيضًا أن النساء يقابلن مقتل الرجل بخمش الوجوه والحداد المزمن المرير . وقد انسحبت بعض تلك السمات مع التاريخ ولبثت تعيش بين المسلمين ، كالذي تراه في شعر أبي النجم من الإشادة بترف المرأة وضخامة بدنها ، حتى لتضطرب عند القيام .

وكذلك ما يظهر من بعض ولاة الأمور ، حين يكلّفون بأعمال البر ، فيحتجزون النعم لأنفسهم ولزبانيتهم ، وتضيقُ نفوسهم عن تمكين الخصم من حقوقه . ولذلك يستنكر المظلومون التصرفات المنحرفة ، فيواجهون الولاة بالنقد والغضب والتهديد ، مذكّرين بتقوى الله ـ تعالى ـ والتزام أحكام الشريعة ، ثم يلجؤون إلى الشكوى والتظلم ، ويناشدون رأس الدولة أن ينصفهم ويزيل عنهم الجور والتعسف . لكنّ الولاة هؤلاء يتجاهلون وجوب الفصل الكامل بين الحب والإنصاف ، ليصل كل إلى حقه في الحياة ، ويتناسون ما يجب على المسؤولين من العدل ، كما يفرض الدين الإسلامي الحنيف . وهم يعلمون من تاريخ الإسلام وشريعته ما ينكر عليهم تصرفات الاستئثار والظلم والحرمان .

فلقد روي أن زيد بن الخطاب كان مع المسلمين في حروب الرِّدّة ، لقتال أصحاب مُسَيلِمة الكذاب من المرتدين ، فاستُشهد زيد في إحدى تلك المعارك ، ثم أسلم قاتله وجاء يزور الخليفة عمر بن الخطاب في حاجة له . ولما عرفه عمر أعرض بوجهه عنه قائلاً : واللهِ لا نظرتُ إليك ، ولا أُحِبُّك حتّى تحبَّ الأرض الدم . قال الرجل : أوَتظلمني حقي ؟ قال عمر : لا . فقال الرجل : إنما يأسى على الحبِّ النساء .

وأخيرًا نشير إلى ما كان من الخارجي حيي بن وائل ، حين اندفاعه لحرب الظلم بكل وسيلة مشروعة ، وفي كل حال من العتاد والاستعداد . فهو ينطلق وحيدًا وراجلاً لمجابهة الطغيان ، وعندما ينكر عليه ذلك بعض الناس ، يجيبهم بالتوبيخ والزجر ، مع الحجة والبرهان . إذ لو أنه استجاب إلى إنكارهم ، ولزم الاستسلام والذلة حتى

يرى من يناصره وما يستظهر به من العتاد ، لفات أوان الجهاد ، وعم الشر والفساد ، وتحقق في الشاعر نفسه ما يتهم به عدوه من الجبن والعجز والاستخزاء .

هذا ما يظهر لنا في النص من تقاليد اجتماعية مقررة أو مرفوضة ، ثم لديك ما تستشفه من أساليب لغوية في المعجمية والصياغة والتركيب . فالمخزون التعبيري ليس بناء مسطحًا انسيابيًّا ، طابعه البدائية والسذاجة والتوالد الغِرّ اليسير ، بل هو حصائل معاناة لمئات الآلاف من الأجيال والعقول والألسنة والعواطف والخيال ، في ألوف وألوف من القرون المتوالية من تاريخ هذه الأمة العريقة ، أقدم الأمم الباقية بحضارتها ولغتها في حياة البشر . ولذا تتلمس في نصنا المختار معالم ثرة من تطويع التعبير لأصول دلالية وتركيبية عالية ، ولتوجهات تحليلية تمثل النضج والتفتح والبعد في الأنظار والنتائج للأفكار .

فالرصيد اللغوي ليس لهجة محددة للمجموع العربي ، وإنما هو صور متعددة من لغات لقبائل متعددة مختلفة . إنها ، مع تواردها على أصول معتمدة شبه موحدة في التصويت والدلالة والصياغة والتركيب ، تتخذ في بعض الأحيان قنوات وجسورًا متباينة للنفوذ إلى تلك الأصول ووضعها في حيز التنفيذ والإنجاز ، مما يعني الحيوية والخصوصية في بعض الصور من التعبير ، ويمثل آثار البيئة والتجربة والقدرات والظروف المحيطة بكل قبيلة أو بطن أو عشيرة . ومن هذا ما رأيناه في : القار والقِير والذام والذّيم ، واتَّقى يتَّقي وتَقَى يَتْقِي أو يَتْقَى ، واتَّعَدَ وايتَعَدَ وائْتَعَدَ . وفي هذا ضروب من الثقل أو التخفيف ، تناسب أوضاع الجماعة التي اختارت أسلوبها المتميز في الصياغة العملية والأداء .

ثم ترى المعنى الدلالي يتلبس صورًا متعددة من خلال الأصول اللغوية المعتمدة ، في التعبير والإنجاز التركيبي المديد . فاللفظ العامّ يرد مخصَّصًا بمجموعة مما يحيط به ، كالعربِ مرادًا بهم بعض القبائل ممن لقي أبو زيد ، وأثوابِ ضمرة مَعنيًّا بها ما كان يرتديه ساعة مقتله . وعكس ذلك ما تجده من تعميم للمعنى المخصص ، نحو : الليل معبرًا به عن ليال كثيرة مديدة . وقد يجمع الشاعر بين هذين النقيضين في حيّز واحد . فبُنَيٌّ عم ضمرة مقصود به جماعة من أبناء وبنات بعض أعمامه ، ولكن تخصص هذه الجماعة بأبعاضها وهم الفقراء المحتاجون إلى العون ،

ثم ترى أن مراد الشاعر هو أوسع من هذا ، بإنكار ما كان من لوم له على العطاء لجميع المجتدين وأمر بالإمساك ، كما ذكرنا في التعليق على معاني : حتى .

وفي هذا التعبير المكثف الدلالة قدرات مجازية متعددة مركبة في اللفظ : أولاها الطاقة الكامنة بالقوة في المفردة للدلالة فعلاً على الواحد والكثرة ، وثانيتها التعميم للمختص ليشمل عدداً كبيراً جداً وجنساً آخر يشارك الذكور في النوع ، وثالثتها التخصيص بعد التعميم لتضيق دائرة الدلالة في حدود الفقر والحاجة ، ورابعتها إرادة ما هو أعمّ وأوفى ليشمل كل محتاج ومجتد حينذاك .

وربما ذُكِر اللفظ العامّ بعد الخاصّ توكيداً ومبالغة في الدلالة ، كالذي رأيناه في : باكورة الرُّطَب والفاكهة ، أو ذُكِر المترادفان ليكون في الثاني توكيد للأول ، على غرار : الملامة والعتاب ، والإبة والعار ، وأعجِّلُ وأُسرِعُ ، والسخاء والعطاء ، والخزي والحياء . فكل من هذه الألفاظ الثواني يتضمن دلالة ما قبله من الأوائل ، مع ظلال معنوية خاصة تضفي على التعبير ضروباً من المبالغة والتوكيد ، لتحقيق أقصى ما يكون من البيان والإبلاغ .

والألفاظ قد يشترك بعضها في دلالة معيَّنة ، مع وجود فوارق طفيفة مقررة ، نحو : بكرت وعجَّلت ، والوهن والنومة ، والندى والسخاء والعطاء ، والجمع المتعدد الأنماط من سالم وتكسير ذي قلة أو كثرة وصيغ منتهى الجموع . ثم يكون للمفردة الواحدة دلالات مختلفة ، تشترك في المادة المكونة للفظ ، فالبكور يفيد الغدو صباحاً والتعجل والإسراع ، والإبة تكون للخزي والحياء واللوم ، والرَّجز داء في الإبل ونوع من الشعر . وفي هذا تطور للدلالة الوضعية تتشعب عن طريق المجاز أو اللزوم أو الاصطلاح أو الاستخدام الفني . وربما جمعت الكلمة الواحدة بين معنيين متضادين ، لأسباب قبلية أو مجازية ، كالبسل يكون للحرام والحلال ، والضامر يكون للذكر والأنثى من الإبل .

وقد يكون للتركيب تطور دلالي معقد ، في قنوات مجازية متداخلة متعاونة على التعبير المكثف البليغ ، بعد المرور في مراحل تاريخية عريقة من القدم والصقل والتشذيب والإيجاز . فقول ضمرة « أرأيتِ » أصل معناه : هل علمتِ ؟ ولكنه وصل إلينا في السياق يفيد معنى : أعلميني . لقد انتقل من الاستفهام الحقيقي إلى الأمر

بالإعلام ، من خلال عمليات ذهنية معقدة متراكبة : الاستفهام عن العلم يؤدي إلى الأمر بالتفكر والتدبر للوصول إلى المعرفة . والمعرفة هذه تصبح وسيلة لإعلام المتكلم الذي طرح ذلك الاستفهام . ومن ثمّ اكتسبت همزة الاستفهام معاني الأمر والتقرير والتوبيخ والتعجب وتجاهل العارف . وما ذلك بالقليل في مضمار التفنن في التعبير والتفكير والتصوير .

ثم إن هذا يطل بنا على ميادين الحذف والإيجاز في الصياغات التركيبية . فقد اختصر المتكلم ، في هذه العبارة الموجزة ، عدة تراكيب متوالية معقدة مبنية على التفكير السببي الغائي بالمجاز ، كما بيّنّا . وضروب الحذف منثورة بكثرة وافرة في نصنا المختار هذا ، الأمر الذي يشير إلى المراحل الكثيرة والأحقاب المديدة التي عاشت فيها العربية ، حتى وصلت إلى أواخر الجاهلية في هذه الحلة الاقتصادية البليغة . فلا غرو أن يكون لهذه اللغة قِدم يتجاوز عشرات الآلاف من القرون في التجويد والصقل والاختزال ، لتصبح أَهلاً للمنزلة الرفيعة التي منحها إياها الله ـ سبحانه ـ باستيعاب كتابه العزيز لفظًا وغاية ، وحفظه إلى الأبد من كل نقص أو تحريف أو ضياع .

وقد تعددت صور الاقتصاد اللغوي في هذا النص ، بحيث أمكن جعلها أنواعًا من الرسم والأصوات والمفردات والتراكيب :

فمن الرسم ما اصطلح عليه علماء العربية من الاختصار لكل صوت بصورة موجزة تعبر عنه في الإملاء ، ثم التكثيف لتلك الصور بحذف استطالاتها في التركيب ، حتى صارت رموزًا صوتية موجزة ، كما تراها في الأحرف أولاً وحشواً بالنسبة إلى أشكالها منفردة أو طرفًا . أضف إلى هذا أن يعبر عن عدة أحرف بشكل واحد ، مع تمييز بينها بنقاط تتوضّع في مواقع مختلفة وعدد مختلف أيضًا .

وكذلك اختصار صور الحركات في أجزاء دقيقة من أحرف المدّ ، وصور كثير من الأدوات والضمائر حين توصل بالأسماء والأفعال والحروف . ومثل هذا ، حين يوظَّف في كتابة نص من صفحة أو صفحات ، يَختزل أضعاف أضعافه من المِساحة المادية التي يحتاج إليها في لغة أُخرى . وإذا أضفت إلى ذلك حذف الرسم لبعض الأصوات، من مثل الحركات والسكونات غير الخفية، والألف وهمزة الوصل، وإدغام

بعض الحروف في بعض ، تبدّت لك عوالم من الاقتصاد اللغوي منقطعة النظير .

أما اختزال الأصوات والمفردات والتراكيب لفظًا[١] فمنه إعلال نحو : العاب والذام ، والسخاء والعطاء ، ويستحي واتَّقِ ، ويقول وتلوم ، وندى وأخزى ، وملامة وماء ، وصاع وقاد ... والحذف من مثل : أب ودم ، وابن وبنين واثنان ، وإبة وسَنة ولغة ، وتُقوي وأُسرعُ ، وتجد ويقي ، وخفتم وزدتم ، وكنت . . . والإدغام في : ممّا ومسلِّبة ، والضَّبِّيّ والتَّوَّزيّ ، وأصرُّ وأعُدُّ ، وبسّام والعبّاس . . . والإبدال والتسكين وغير ذلك من ضروب التصرف الصوتي في صياغة المفرد والتركيب اللغوي . يضاف إلى ذلك كله الضمائر المتصلة والمنفصلة والمستترة والمحذوفة تقديراً ، وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة .

فالضمائر المذكورة تكون ذات دلالة على أسماء متقدمة ، فتغني عن الإعادة والتكرار بألفاظها المكثفة . ثم تراها أحيانًا ، مع ما فيها من التكثيف للمعاني المتفرقة ومكتسبات من الإيجاز ، قد ترد ابتداء دون أن يتقدمها شيء مفتقر إلى البيان ، نحو : هي بسل ، وهما بسل ، وهنّ بسل . وفي هذا إغناء عن ذكر مجموعة من المفردات والصيغ لا حصر لها ، إذ كل ضمير هنا قائم مقام آلاف من المفردات ، يمكنها أن توظف في مكانه . أضف إلى ذلك أن العربية قد تعكس السبيل للمبالغة والتوكيد ، فتسمح بورود الضمير عائداً على ما سيلي بعد ، كما في « أأصرّها » والضمير للنوق في بيت متأخر ، و« منها » والضمير للأثواب بعد . وفي هذا أيضًا اكتفاء بعكس التعبير إجزاء عن الإسهاب للدلالة على التوكيد والمبالغة .

ثم نشير إلى ما في حروف الزيادة ، من اختزال للتصويت والدلالات . فالحرف منها يكون للمضارعة مع الدلالة على المتكلم أو الغائب أو المخاطب مذكراً أو أنثى ومفردًا أو مثنى أو جمعًا ، ويكون للتصغير والنسبة والتأنيث والتثنية والجمع ، وللتعدية أو المطاوعة أو الصيرورة أو المشاركة أو الطلب أو الجعل أو الإغناء عن المجرد . . . وفي ذلك إغناء عن مجموعات من الألفاظ والتراكيب ، وكتل من الصيغ والمفردات .

---

(١) انظر الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد ص ٥٣ ـ ١١٤ .

وكذلك شأن الأدوات ، إذ تكون هل : استفهامية لطلب التصديق مع النفي ، والهمزة استفهامية لطلب التصديق مع الأمر والتعجب والتوبيخ والتقرير وتجاهل العارف ، وأم :للاستئناف مع الاستفهام والنفي والشك ، والواو : عاطفة لمطلق الجمع ، أو لقطع الكلام واستئناف ما بعده ، وقد تغني عن تكرار فعل أو جملة بسيطة أو مركبة . والفاء : عاطفة للترتيب والتعقيب والسببية ، وثم : عاطفة للترتيب مع التراخي ، وإن : شرطية لإفادة التيقن والتحقق في المستقبل ، وأنّ : للمصدرية والتوكيد ، وكأن : لتوكيد التشبيه ، وأل : لتعريف ماهية الجنس ، ومن : لابتداء الغاية المكانية ، وكل : لاستغراق أفراد النكرة مجازًا ، وها : لتوكيد التنبيه والعوض من الإضافة ، واللام : زائدة لتوكيد البعد ودفع توهم الإضافة . . .

فهذا كله تكثيف لكثير من المعاني والدلالات في رموز صوتية مختصرة ، يتكون العنصر فيها من حرف واحد أو حرفين أو ثلاثة أو أربعة . وثمة تكثيف آخر في صياغة الأنماط اللغوية ، من أفعال وأسماء . فالفعل يضم في لفظه دلالات على الحَدَث والزمان وما يلزمهما من فاعل ومفعول ومكان وسبب وعلة ومعية وحالية . . . والمشتق من الأسماء قد يشتمل على ذلك أيضًا بالإضافة إلى الذات التي يتلبسها بالوصفية حدوثًا أو ثبوتًا .

وإذا انتقلت إلى التركيب النحوي رأيته كثيرًا ما يقوم على حذف مفردات من الجملة الفعلية أو الاسمية أو الشرطية ، وقد يكون الحذف لجملة أو جملتين في سياق واحد . وحسبك أن تراجع ما بسطناه من الاحتباك ، لتتلمس قدرة العربية على حبك التراكيب المتوالية ، في زمرة تغيب عنها بعض عناصرها ، اعتمادًا على ما هو حاضرٌ في مواقع متقدمة أو متأخرة ، ومجزئٌ عنها في الدلالة والوظيفة والعلاقات .

وفي هذا وما يليه ، من صور الاختزال والتطور الصوتي والدلالي أو التركيبي ، يتحقق لدى الباحث أن لغة العرب قد عاصرت حقبًا زمنية يتعذر حصرها أو تحديدها ، وقامت فيها الحناجر والألسنة والعقول والأفهام والآذان والأخيلة والعواطف والأحاسيس والأذواق بجهد لغوي عظيم من التشذيب والصقل والتطويع ، لتتجاوز مراحل البدائية والتعقيد ، وتُجري تلك العمليات الجراحية التجميلية في المفردات والصيغ والجمل والعبارات ، وتنقلها إلينا بأشكالها الاقتصادية الفائقة الدقة

والوفاء ، ونماذجها العديمة المثال بين جمهور لغات العالم .

وعندما تستعرض التطور الدلالي للمفردة في نصنا هذا ، يتبدى لك تحركات حيوية ناشطة بين المعاني المختلفة للصيغ الاسمية أو الفعلية . والكثير الكثير هو ما تراه من انتقال المصدر الحَدَثي إلى حيز من معاني المشتقات ، كالصفة المشبهة أو اسم الفاعل أو المفعول ، ثم من هذا الحيز إلى الدلالة على اسم للجنس أو الذات أو العلم . وكذلك ما يكون من صيرورة المشتق اسم جنس أو ذات أو اسمًا علمًا ، وما يتلبسه المصدر واسم الذات أو الجنس ، من معنى اشتقاقي حين ينسب إليه ، وما يكتسبه الفعل الماضي من السياق ليكون ذا دلالة على الحاضر أو المستقبل أو الأمر ، بمصاحبته للشرط أو الاستفهام . . . وكذلك المضارع حين يعبر به عن الماضي ، في مثل « يقول » مرادًا به : قال . وكذلك : يُثْبَت وتُلْقَى .

فالماضي والحاضر والمستقبل في تعاور للصيغ الفعلية ، بحسب السياق والمقام ، مما يعني أن التواصل بين الأزمنة المختلفة قائم من خلال جسور تعبيرية في السياق ، وأن الحركة الزمنية في ذهن العربي دائبة متنامية ، وليست محنطة أو موزعة في قوالب حتمية قاهرة . وإنك لتلحظ ما للماضي من قدرة مستبدة في هذا الميدان ، إذ هو المسيطر غالبًا في الحلبة يقدم خدماته لسائر الأزمنة ، ويحل محل صيغها في التعبير والتركيب . وفي ذلك دلالة صارخة على قيمة الماضي والأنساب والمورّثات الذاتية لدى العربي ، في صناعة الحاضر والمستقبل . إنهما من أبناء الماضي وأحفاده ، يحملان خلاصة مورّثاته وتقاليده وقيمه وتطلعاته .

والتحركات الدلالية بين الأسماء يسيطر عليها ، مما رأيت في توجيه النص المذكور ، الانزياح عن عالم المعاني المجردة أو الملابسة للذوات إلى التوضع في أحياز الأجناس والذوات الخالصة والأعلام ، أي : من ميدان المجردات الفكرية إلى حظيرة التشخيص والمادة المحسوسة . وقلما تقف على حركة عكسية ، تنتقل بالدلالة المادية إلى حيز المعاني الخالصة . وهذا يدمغ بالافتئات والافتراء ما زعمه المستشرقون وأعوانهم ، من العكسية في الدلالات العربية ، إذ وضعوا العربة أمام الدابة ، وأرادوا الانطلاق في متاهات الخيال ، ليصفوا التفكير العربي بالتحجر والجمود ، واستعصائه على فهم المعاني المجردة بعيدًا عن المادة القاهرة . فكانوا

بمزاعمهم تلك منبتّين ، لا أرضًا قطعوا ، ولا ظهرًا أبقَوا .

لقد رأينا ما يحقق الطريق الفكري السوي عند العرب ، في سيطرة الأصالة للمعاني المجردة ، وانتقالها من ذلك الحيز إلى ميادين المشتقات والذوات ، مما يؤكد أنهم كانوا قبل الإسلام قد شبوا عن الطوق ، وبلغوا مرحلة النضج والوعي الإنساني والتفكير الروحي ، بحيث يخاطَبون بالوحي الرباني الكريم ، والسُّنّة النبوية الشريفة ، فيستوعبون ما فيهما من تعاليم الإيمان المجرد عن المادية والشرك ، والمعاني الروحية العميقة ، والمعلومات الغيبية البعيدة الغور ، والتطلعات المستقبلية في العلم والحضارة والسيادة ، والأساليب الإنسانية الرفيعة في القيادة والعبادة والتشريع والسلوك . لقد أدركوا ذلك كله فور سماعه وتدبره ، واعتنقوه عقيدة وقولاً وعملاً ، دون أن يكون منهم تساؤل عن مراميه وأبعاده ، أو خلل في تفهمه وتوظيفه .

٤ ـ أساليب من الاستدلال :

وختامًا لهذه الجولات في مطاوي النص ، ونحن نجمع الحقائق والمعلومات التي يَحتفظ بها ، فلنقف قليلاً نستعرض تلك النماذج الموضوعية ، وننظر إليها من خلال ضروب الاستدلال التي أدَّتنا إلى الاصطفاء والاستحضار . وهنا نتذكر أن العمليات الذهنية للاستنتاج غالبًا ما تكون في حقلين :

الاستدلال المباشر باستنباط معلومة عن طريق معلومة أُخرى حاضرة ، كظهور أول الهلال دليلاً على بدء الشهر ، ووجود ضوء الشمس برهانًا على حصول النهار ، ومضمون ما قاله أحد الأعراب القدماء : آثار الأقدام تدل على المسير ، ونُثار البعر يدل على البعير .

والاستدلال غير المباشر باستنباط قضية من خلال مقدمتين أو أكثر عن طريق الربط باللزوم والسببية أو بالاستقراء . وذلك نحو افتحاص أبيات المقطوعة للحكم على التزامها بحرًا عروضيًّا معينًا ، أو قافية محددة بالشروط الفنية ، أوسلامتها من الخلل في التفكير والتعبير والتصوير .

فإذا تأملنا ما عرضناه حتى الآن من معلومات ، تحت عنوان « حقائق ومعلومات من النص » بهذين المنظارين ، كان عندنا من النوع الأول نماذج غفيرة . نحو : اتصال سند النص ونهايته ، وتلمذة كل من تمّام وإبراهيم والأخفش والمبرد

والسكري والتوزي والسجستاني والرياشي وأبي زيد لشيوخهم المذكورين ، في مطاوي العبارات والسياقات المختلفة .

وكذلك تعيين زمن القراءة ومكانها ، وتمييز كل من الرجز والشعر واللغات في أبواب تحت عناوين ظاهرة ، وتناقض الأخفش في روايتيه لمصادر أبواب الكتاب ، وحفظ الرياشي للنصوص من بعض كتب أبي زيد ، وكون الحرف بمعنى الكلمة ، واعتراض المرأة على تصرف الرجل مع الحوار العقلي الملزم ، وفساد البخل وأضراره ، واعتقاد وجود الهامة ، وإحداد النساء وتخميشهنّ الوجوه ، ووجود الأضداد في العربية ، وتعيين السن والمكان والمستوى اللغوي لمن تروى عنه اللغة ، ولجوء العربي إلى الاستخفاف بالاقتصاد في الجهد العلاجي للأصوات والألفاظ والتراكيب ، والاستحياء من أكل المضيف ، وترف النساء وبدانتهن ، وظلم الولاة والنقد لهم مع الاستعانة بالتقوى ثم الشكوى إلى أمير المؤمنين ، والإيمان بالله وجبروته ، والحرب للعدو في كل حال وقدرة . . .

هذا بعض ما ينسلك في مضمار الاستدلال المباشر ، تدركه حين تقرأ العبارات فينتقل اليك توًّا ، فور الفهم للألفاظ والتراكيب والسياق . ثم تجد نفسك أمام معلومات وحقائق ، لا تعطيك كل منها اليد إلا بعد متابعة جزئيات متناثرة ، تستقطبها زاوية معينة من التفكير ، لتصل إلى تحقيق المراد بوضوح واستقرار .

فالحكم عل كافة النص بالفصاحة التامة ، والعَرَبانية الكاملة ، يقتضي منك تفحص كل لفظ وصياغة وتركيب وسياق وجملة وعبارة منه ، لتجمع جزئيات كثيرة جدًّا ومختلفة الأصناف والتوجهات . وبعد تلك الإحصاءات والاختبارات ، وعرض الصور اللفظية والتركيبية على مقاييس الفصاحة ومعيارية البيان ، تستطيع القطع بذلك الحكم المقصود ، بناء على استقراء تام جازم . وبذلك تقدم معلومة حقيقية صالحة للاختبار والتقويم ، في كل زمان ومكان .

وقريب من هذا أن تتوصل إلى أن الكتاب الذي بين أيدينا هو صنعة الأخفش على شرح السجستاني لـ « النوادر » ، وأن هذا الاسم فُرض عليه بعد وفاة أبي زيد ، إذ كان قد خلّفه غُفلاً من التمييز باسم مخصوص ، وأن أصل مضمون الكتاب هو نصوص أدبية لا موضوعات ومسائل لغوية ، وأنه بذلك يكون مصنفًا متخصصًا في الأدب ، لا في اللغة كما هو شائع بين الناس في بضعة قرون . والنتيجة التاريخية من

هذا أن الكتاب يمثل ريادة في تصنيف المختارات للمقطعات الشعرية ، قبل ما صار يعرف بالحماسات وأشباهها .

وكذلك ما نتلمسه ونستنتجه باستقراء النص من تعريف للأشخاص بذكر الخصائص المميزة ، كالاسم والنسب والعلم والبلد والمهنة والعمر والمستوى اللغوي ، ثم تكرار بعض العبارات التي تزيل اللبس في نسبة المقولات ، وتحقيق السماع ممن كان أصلاً في الكلام ، وتقسيم الكتاب إلى أبواب ، وتوضُّع الشرح للشعر بعد تمام نصه ، وانفراد الأخفش والسجستاني ببعض المقولات ، وتصحيح رواية السكري مقابل تهافت رواية المبرد ، واتصال السند بأبي زيد والمفضل والعرب ، وتعيين لفظِ ما يفسَّر وأصلِه إذا كان فيه تصرف واستخفاف ، والاعتماد على التحليل والتركيب والاستدلال والاحتجاج في تفسير نماذج الاقتصاد اللغوي ، والتفسير للغريب بصور متعددة من الأساليب ، وتداخل الشروح التي هي لعلماء متعددين ، والتفسيرات المتعددة للشيء الواحد ، واختلاف المعاني اللغوية للكلمة الواحدة ، واختلاف القبائل العربية في بعض صور التعبير والتفكير ، وغياب ما تعود عليه بعض الضمائر في التركيب ، والاستدلال بالنظائر والصيغ المختلفة والنصوص القرآنية والنثرية والشعرية على الأحكام المسرودة ، وتعيين موضوع الشعر ، وسرد الروايات المتعددة . . .

❊ ❊ ❊

وهكذا نكون قد أنجزنا ما وعدناكم إياه ، وحققنا الخطوات التي رسمنا في التمهيد للبحث ، فاخترنا نصًّا صالحًا للتوجيه ، بما فيه من تراثية صليبة ، وغنى بالمسائل والمشكلات والقضايا والمعضلات ، ثم أثبتناه على الصورة البدائية له ، وأتبعنا ذلك ما يقابله من العرض المتقن بالضبط والتوزيع والترقيم والتفسير والشرح ، ووجهنا ما فيه من الغنى بحل علمي منهجي ، مع الاستعانة بالمصادر والمراجع الموثقة ، وإثبات لمصادر ومراجع أُخرى تساعد على المتابعة والاختبار والتحقيق ، لما وصلنا إليه من النتائج . وختمنا ذلك كله بالحقائق والمعلومات المحصلة . وبهذا صار لدينا نص موجه بمخزون المكتبة العربية . والحمد لله رب العالمين .

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

نمـــاذج للتـــوجيـــه

وقفنا في الفصلين المتقدمين إزاء نص تراثي قديم ، من آثار أبي زيد الأنصاري ، وجعلناه مادة عملية للتوجيه في ميادين علوم العربية والإسلام . وقد حاولنا في ذلك أن نتتبع ما يتضمنه أو يثيره النص المذكور من مسائل ومشكلات ومعضلات ، تستفز القارئ لحيلولتها دون استمرار الفهم والتدبر والاستفادة التامة ، فتحمله على التفكير والتقدير والتفسير والتعليل ، ليتابع أصولها وتفرعاتها ، ويكتشف الحلول المناسبة كما كنا رسمنا في التمهيد لهذا البحث .

ولذلك تلمسنا النأمات النابضة ، بين مطاوي العبارة والتركيب واللفظة والصوت ، وضمن الفكرة والمعنى الجزئي والمعاني العامة والظلال والإشارات الدلالية ، ثم تلبثنا أمامها نستوضح ما فيها من موضوعات أو معان علمية وأدبية وفنية . . . مستعينين بالمصادر والمراجع الموثقة ، لنصل إلى إجابات واضحة دقيقة ، تزيل التوفز والإشكال والاعتراض ، وتضع أمام عينَيِ القارئ ما يزرع الفهم والطمأنينة والرضا .

ولقد طال تلبثنا ذلك أحيانًا ، واتسعت فيه دوائر البحث وتفرعت ، لنكون قد أدينا حق التوجيه ، بين أيدي القرّاء والباحثين والدارسين ، إذ نحن إزاء ميدان بكر لم يكن له ابن عُذْرة قبل ، وهو في حاجة إلى التعميق والتفصيل والتدقيق والبيان بما يشفي الصدور .

كان ذاك نموذجًا حيًّا ينبض بالتوترات المتلاحقة المتداخلة المتراكبة ، يتشبث بعضها بتلابيب بعض ، ويضفي عليه ألوانًا من التعقيد والإشكال ، فيكون العمل ضمن حناياه بطيء الحركة عسير النفوذ دقيق التناول والتقليب والتفسير والتوجيه . ولذلك اتسعت رقعة التعليقات وتعددت وجهات النظر ، وتكاثرت مصادر البحث والتفسير والبيان .

وها نحن أولاء ، بعد هذا كله ، نضع بين أيدي الزملاء والدارسين مجموعة من النصوص التراثية الكريمة ، متعددة الموضوعات والمناحي ، ومنسوقة بحسب التسلسل الزمني في وفيات المؤلفين ، تكون مادة لتنفيذ ما رسمناه من خطوات وحققناه في الفصول الماضية. وقد عرضنا تلك النصوص أغفالاً مجردة من كل توجيه ، واكتفينا فيها بتحقيق ما تبين لنا أنه في حاجة إليه ، مع ما يلزم ذلك من توزيع وتقسيم ، وتشذيب وترميم ، وتصحيح وتقويم ، وضبط وترقيم. ولعلك تجد صوراً ، من مثل هذه النماذج ، فيما صنعناه في كتابَيْ : نصوص نحوية ، وأبواب ومسائل من الخصائص والإنصاف .

* * *

١ *

جُمَل الفرائض

قال الله ، تبارك وتعالى : ﴿إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ علَى المُؤمنِينَ كِتابًا مَوقُوتًا﴾ ، وقال : ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ﴾ ، وقال لنبيّه : ﴿خُذْ مِن أمْوالِهِم صَدَقَةً ، تُطَهِّرْهُمْ[١] وتُزَكِّيهِمْ[١] بِها﴾ ، وقال : ﴿ولله علَى النّاسِ حِجُّ البَيتِ ، مَنِ استَطاعَ إلَيهِ سَبِيلاً﴾ .

قال الشافعيّ : أحكمَ اللهُ فرْضَه في كتابه في الصلاة والزكاة والحجّ ، وبيَّنَ : كيف فرَضَه على لسان نبيه ؟ فأخبر رسولُ الله أنّ عدد الصلوات المفروضات خمسٌ ، وأنّ عددَ الظُّهر والعصر والعِشاء في الحَضَر أربعٌ أربعٌ ، وعددَ المَغرب ثلاثٌ ، وعددَ الصبح ركعتانِ .

وسنَّ فيها كلِّها قراءة ، وسنَّ أنّ الجَهر منها بالقراءة في المغرب والعشاء والصبح ، وأنّ المُخافتة بالقراءة في الظهر والعصر ، وسنَّ أنّ الفرضَ في الدخول في كلّ صلاة بتكبير ، والخروجَ منها بتسليم ، وأنّه يُؤتَى فيها بتكبير ثم قراءة ثم ركوع ثم سجدتَينِ بعد الركوع ، وما سوى هذا من حدودها ، وسنَّ في صلاة السفر قصرًا كُلَّ ما كان[٢] أربعًا من الصلوات ، إن شاء المسافر ، وإثباتَ المغرب والصبح على حالِهِما في الحضر ، وأنها كلّها إلى القِبلة ، مسافرًا كان أو مقيمًا ، إلاّ في حالٍ من الخوف واحدةٍ .

وسنَّ أنّ النوافل في مثل حالها ، لا تحلّ إلاّ بطُهور ، ولا تجوز إلاّ بقراءة وما

* الرسالة للإمام الشافعي ص ١٧٦ ـ ١٨٦ . وقد تَبَيَّنَ لي أن الناشر أحمد محمد شاكر المشهور في الحديث والفقه هو ضعيف في علم العربية وأصول التحقيق . وذلك ما ترى بعضه في هذا النص ، وأكثر منه فيما سيلي من كتاب « المُعرَّب » الذي نشر بعد ثلاثين سنة من نشر الرسالة .

(١) كذا في المطبوعة . وانظر منها ص ١٨٧ .

(٢) في المطبوعة : كلّما كان .

تجوز به المكتوباتُ ، من السجود والركوع واستقبال القِبلة في الحضَر وفي الأرض وفي السفَر ، وأنّ للراكب أن يُصلّيَ في النافلة حيث تَوَجّهتْ به دابّتُه . أخبرَنا [محمدُ بنُ إسماعيلَ][(١)] بن أبي فُدَيك عن ابنِ أبي ذئبٍ ، عن عُثمانَ بن عبد الله بنِ سُراقةَ عن جابرِ بنِ عبدِ الله « أنَّ رَسُولَ الله في غَزوةِ بَني أنمارٍ كانَ يُصَلّي على راحِلتِه ، مُتَوَجِّهًا قِبَلَ المَشرِقِ » . أخبرَنا مُسلمٌ عن ابن جُرَيجٍ ، عنِ ابنِ الزُّبيرِ عن جابرٍ عن النبيِّ مِثلَ معناه ، لا أدري أسمّى بَني أنمارٍ أوْ لا ؟ أو قال : « صَلّى في سفر » ؟

وسنَّ رسول الله في صلاة الأعياد والاستسقاء سُنّةَ الصلوات في عدد الركوع والسجود ، وسنَّ في صلاة الكسوف فزاد فيها ركعة على ركوع الصلوات ، فجعلَ في كل ركعة ركعتين . قال : أخبرَنا مالكٌ عن يحيى بنِ سعيدٍ عن عَمرةَ عن عائشةَ عن النبيّ ، وأخبرَنا مالكٌ عن هشامٍ عن أبيه عن عائشةَ عن النبيّ مثلَه . قال : فحُكيَ عن عائشةَ وابنِ عبّاسٍ ، في هذه الأحاديث ، صلاةُ النبيّ بلفظ مختلف ، واجتُمع في حديثهما معًا على أنه صلّى صلاة الكسوف ركعتَين ، في كلّ ركعة ركعتَين .

وقال الله في الصلاة : ﴿إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ علَى المُؤمِنينَ كِتابًا مَوقُوتًا﴾ ، فبيّنَ رسولُ الله تلك المواقيتَ ، وصلّى الصلواتِ لوقتها ، فحُوصِرَ يومَ الأحزاب ، فلم يقدر على الصلاة في وقتها فأخّرَها للعُذر ، حتّى صلّى الظهرَ والعصر والمغرب والعِشاء في مَقام واحد . أخبرَنا محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي فُدَيكٍ عن ابنِ أبي ذئبٍ ، عن المَقبُريِّ عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي سعيدٍ عن أبيه ، قال :

حُبِسنا يومَ الخندق عن الصلاة ، حتّى كان بعدَ المغرب بهُوِيٍّ من الليل ، حتّى كُفينا ـ وذلك قولُ الله : ﴿وكَفَى اللهُ المُؤمنينَ القِتالَ ، وكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزيزًا﴾ ـ فدعا رسولُ الله بِلالاً ، فأمره فأقام الظهرَ فصلاّها ، فأحسنَ صلاتَها كما كان يصلّيها في وقتها ، ثم أقام العصرَ فصلاّها هكذا ، ثم أقام المغربَ فصلاّها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاّها كذلك أيضًا . قال : وذلك قبل أن يُنزَل في صلاة الخوف : ﴿ فرِجالاً أو رُكبانًا ﴾ .

---

(١) تتمة لابد منها . انظر حديث الصلاة يوم الخندق بعدُ .

قال : فبيّنَ أبو سعيد أنّ ذلك قبل أن يُنزِل اللهُ ، على النبيّ ، الآية التي ذُكِرتْ فيها صلاةُ الخوف . والآيةُ التي ذُكِرَ فيها صلاةُ الخوف قولُ الله : ﴿ وإذا ضَرَبْتُم في الأرضِ فلَيسَ عليكُم جُناحٌ أن تَقصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ ، إن خِفتُم أن يَفتِنَكُمُ الَّذينَ كَفَرُوا . إنَّ الكافِرينَ كانُوا لَكُم عَدُوًّا[1] مُبينًا ﴾ . وقال :[2] ﴿ وإذا كُنتَ فيهِم فأقَمتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فلْتَقُمْ طائفةٌ مِنهُم مَعَكَ ولْيأخُذُوا أسلِحَتَهُم ، فإذا سَجَدُوا فلْيَكُونُوا مِن وَرائكُم ، ولْتأتِ طائفةٌ أُخرَى لَم يُصَلُّوا فلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ .

أخبرَنا مالكٌ عن يزيدَ بنِ رُومانَ عن صالحِ بنِ خَوّاتٍ ، عمَّن[3] صلَّى مع رسول الله صلاةَ الخوف يومَ ذات الرِّقاع « أنَّ طائفةً صفّتْ معه ، وطائفةٌ وُجاهَ العدوّ ، فصلَّى بالذين معه ركعةً ، ثمّ ثَبَتَ قائمًا وأتَمُّوا لأنفسهم ، ثمّ انصرفوا فصفّوا وُجاهَ العدوّ ، وجاءت الطائفة الأُخرَى فصلَّى بهم الركعةَ التي بقيتْ من صلاته ، ثمّ ثَبَتَ جالسًا وأتمّوا لأنفسهم ، ثم سلّم بهم » .

أخبرني مَن سمع عبدَ اللهِ بنَ عُمرَ بنِ حفصٍ ، يذكر عن أخيه عُبيدِ اللهِ بنِ عُمرَ ، عن القاسمِ بنِ محمّدٍ عن صالحِ بنِ خَوّاتٍ ، عن أبيه خَوّاتِ بنِ جُبَيرٍ عن النبيّ ، مثلَ حديث يزيدَ بنِ رُومانَ .

وفي هذا دلالة على ما وصفتُ قبل هذا في هذا الكتاب ،[4] من أن رسول الله إذا سنَّ سُنّةً ، فأحدث اللهُ إليه في تلك السُّنّة نسْخَها أو مَخرجًا إلى سَعة منها ، سنَّ رسول الله سُنّةً تقوم الحُجّةُ على الناس بها ، حتّى يكونوا إنّما صاروا من سُنّته إلى سُنّته التي بعدها . فنسخَ اللهُ تأخير الصلاة عن وقتها في الخوف إلى أن يصلّوها ، كما أنزل اللهُ وسنَّ رسولُه ، في وقتها ، ونسخَ رسول الله سُنّته في تأخيرها بفرض الله في كتابه ثمّ بسُنّته ، صلاّها رسول الله في وقتها كما وصفتُ .

أخبرَنا مالكٌ عن نافعٍ عن ابن عُمرَ - أُراهُ عن النبيّ - فذكرَ صلاةَ الخوف فقال : « إن كان خوفٌ أشَدَّ من ذلك صلَّوا رِجالاً ورُكبانًا ، مُستقبِلي القِبلة أو غيرَ

(١) في المطبوعة : عَـدُوًّا .

(٢) كذا في المطبوعة ، وما بعد هذا الفعل هو تالٍ لما كان قبل في النص القرآني .

(٣) في المطبوعة : عن مَن .

(٤) يعني ما ذكره في أبواب متقدمة من هذه الرسالة .

مُستقبليها » . أخبرَنا رجلٌ عن ابن أبي ذئب ، عن الزُّهريِّ عن سالمٍ عن أبيه عن النبيِّ ، مثلَ معناه ، ولم يشُكَّ أنّه عن أبيه وأنه مرفوع إلى النبيِّ .

قال : فدلّت سُنّةُ رسول الله على ما وصفتُ ، من أن القِبلة في المكتوبة على فرضها أبدًا ، إلاّ في الموضع الذي لا يمكن فيه الصلاةُ إليها . وذلك عند المُسايَفة والهرب ، وما كان في المعنى الذي لا يمكن فيه الصلاةُ إليها . وثَبَتَتِ السُّنّةُ في هذا ، ألاّ تُترَكَ الصلاةُ في وقتها ، كيفما[1] أمكنَتِ المصلِّيَ .

٢ *

بـاب
فِعْلٍ وفُعْلٍ باختلاف مَعنًى

الكِيرُ : كِيرُ الحَدّاد . والكُورُ : الرَّحل . والجمع أكوارٌ وكِيرانٌ . قال [أبو يوسفَ] :[2] وسمعتُ أبا عَمرٍو يقول : الكُور : المَبنيُّ من طين . والكِير : الزِّقُّ الذي يُنفخ فيه . قال بِشر بن أبي خازم :

كـأنَّ حَفِيفَ مَنخِرِهِ ، إذا ما ... كَتَمْنَ الرَّبْوَ ، كِيرٌ مُستَعارُ

أي : زِقٌّ مستعار .

والكِبْرُ : من التكبُّر . وكِبْرُ للشيء : مُعظَمه . قال الله ، جلّ ثناؤه : ﴿ والَّذي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنهُم لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وقال قيس بن الخَطِيم[3] الأوسي :

تَنامُ عَن كِبْرِ شأنِها ، فإذا ... قامَتْ رُوَيدًا تَكادُ تَنغَرِفُ

---

(١) في المطبوعة : كيف ما .

* إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٢ ـ ٣٦ .

(٢) تتمة من نسخة كوبرلي . وكذلك ما يلي بين معقوفين في النص كله .

(٣) في المطبوعة : « خطيم » . والتصويب من نسخة كوبرلي .

أي : تَثَنَّى . ويقال : كِبْرُ سياسة الناس في المال . ويقال : الوَلاء للكُبْر . وهو أكبرُ وَلَد الرجل .

والغِسْلُ : ما غُسِلَ به الرأسُ . والغُسْل : الماء الذي يُغتَسل به .

والقِلُّ : الرِّعدة من شِدّة الغضب . يقال : أخَذَه قِلٌّ ، إذا أُرعِدَ من شِدّة الغضب . والقُلُّ بالضمّ : القِلّة . قال [أبو يوسفَ] : وحكى لنا أبو عَمرٍو : يقال : الحمدُ لله على القُلّ والكُثر ، أي : على القِلّة والكَثرة . قال : وأنشد لبعض ربيعةَ :

فإنَّ الكُثْرَ أعياني قَديمًا ولَم أُقتِرْ ، لَدُن أنّي غُلامُ

وقال آخر ، وهو عَلقَمة بن عَبَدةَ :

وقَد يَقصرُ القُلُّ الفتَى ، دُون هَمِّه وقَد كانَ ، لَولا القُلُّ ، طَلاّعَ أنجُدِ

ويقال : هو قُلُّ بنُ قُلٍّ ، وضُلُّ بنُ ضُلٍّ ، إذا كان لا يُعرَفُ ولا يُعرَفُ أبوه .

والذِّلُّ : ضدُّ الصُّعوبة . يقال : دابةٌ ذَلُولٌ بَيِّنُ الذِّلِّ ، إذا لم يكن صعبًا . والذُّلُّ : ضدُّ العِزِّ . يقال : رجُلٌ ذَليلٌ بَيِّنُ الذُّلِّ والذِّلّة والمَذَلّة .

والصِّفرُ : الخالي . يقال : بيتٌ صِفْرٌ من المتاعِ . والصُّفرُ : الذي تُعمل منه الآنية .

والغِلُّ : الغِشُّ والعَداوةُ . والغُلُّ : العَطَشُ . وهو الغُلّةُ . والغُلُّ : الذي يُغَلُّ به الإنسانُ .

والجِلُّ : قَصَبُ الزَّرع إذا حُصِدَ . وجُلُّ الشيء : مُعظَمُه .

والقِطْرُ : ضرب من البُرود . والقِطْرُ : النُّحاسُ . والقُطْرُ والقُتْرُ : الجانبُ . يقال : ما أبالي على أيِّ قُطرَيه وقعَ ، و[على أيِّ] قُترَيه ، أي : على [أيِّ] جانبَيه [وقعَ] . ويقال :طعنَه فقَطَّرَه ، إذا ألقاه على أحد شِقَّيه . وأقطار الأرض وأقتارها : نواحيها .

والنِّكسُ : الرَّجُلُ الفَسلُ الرَّديءُ الدَّنيءُ . والنُّكسُ : أن يُنكَسَ الرجُلُ في مرضه .

والعِبْرُ : شاطئُ النهَر . وهو أحد جانبيه . ويقال :أراه عُبْرَ عينَيه ، أي : سُخنةَ عينَيه . ويقال : لأُمِّهِ العُبْرُ ، أي : العَبْرةُ .

والقِيرُ : الذي يُقيَّرُ به [والذي تُطلَى به الإبلُ] . والقُورُ : جمع قارة . وهو الجُبَيل الصغير .

والضِّرُّ : تَزَوُّجُ المرأة على ضَرّة . والضُّرُّ : سُوءُ الحال .

والتِّرْبُ : السِّنُّ . وأكثرُ ما يقال في المؤنّث ، هي تِربُها وهنَّ أترابٌ . والتُّرْبُ : التُّرابُ .

والعِفْرُ : الرَّجُلُ الشجاع الجَلد . والعُفْرُ من الظِّباء : [ظِباءٌ] يعلو بياضَها حُمرةٌ .

والمِزُّ : الفَضل . يقال : لهذا على هذا مِزٌّ ، أي : فَضلٌ . وهذا أمَزُّ من هذا . والمُزُّ : بينَ الحامضِ والحُلو .

والصِّرْمُ : أبياتٌ مُجتمعة . والصُّرْمُ : القَطيعةُ .

والجِرْمُ : الصَّوتُ والجَسَد جميعًا . [والجِرْمُ : اللَّونُ] . والجُرْمُ : الذَّنْبُ .

والحِرْمُ : الحَرامُ . يقال : هذا شيء حِرْمٌ وحَرامٌ ، وحِلٌّ وحَلالٌ . ويقال : كنتُ أُطَيِّبُه لِحُرْمه ، أي : عندَ إحرامه .

والدِّبْرُ : المالُ الكثير . والدُّبْرُ : دُبْرُ البيت ، مؤخَّرُه .

والنِّيقُ : أرفعُ موضع في الجبل . والنُّوقُ : جمعُ ناقة .

والرِّبْعُ : أن تَرِدَ الإبل الماءَ يومًا وتدعَه يومين وتَرِدَ اليومَ الرّابع .[1] ورُبْعُ الشيء : نِصفُ النِّصف . وكذلك الخِمس والسِّدس إلى العِشر : من الأظماء ، والخُمس والسُّدس إلى العُشر : جُزء من أجزاء الشيء .

والنِّير : العَلَمُ ، عَلَمُ الثوب . والنُّورُ : النَّفَرُ من الوحش وغيرها . ويقال : امرأةٌ نَوارٌ ، ونِسوةٌ نُورٌ ، إذا كانت تَنفِرُ من الرِّيبة وغيرها مما يُكرَهُ . يقال : قد نارتْ تَنُورُ نَوارًا ونِوارا . قال العجّاجُ :

(١) في المطبوعة : « يوم الرابع » . والتصويب من نسخة كوبرلي .

* يَخلِطنَ ، بالتّأنُّسِ ، النِّوارا *

وقال الباهلي :

أنَـورًا ، سَـرْعَ مـاذا ، يـا فَـرُوقُ وحَبـلُ الوَصـلِ مُنتكِـثٌ ، حَـذِيقُ ؟

أراد : أنِفارًا ، يا فَرُوقُ . ويروى : « سُرْعَ هذا » .

وقوله « سَرْع ماذا » أراد : سَرُعَ ماذا ؟ فخفّفَ ـ [والضمة والكسرة تُخفَّفان] ـ كما يقال : عَظُمَ البَطنُ بطنُكَ ، وعَظْمَ البَطنُ بَطنُكَ ، بتخفيف الضمة . ويقال : عُظْمَ البَطنُ بَطنُكَ ! يخفّفون ضمة الظاء وينقلونها إلى العين . وإنما يكون النقل فيما كان مدحًا أو ذمًّا . فإذا لم يكن مدحًا ولا ذمًّا كان الضم والتخفيف ولم يكن النقل . تقول : حَسُنَ الوجهُ وجهُكَ ، وحَسْنَ الوجهُ وجهُكَ ، وحُسْنَ الوجهُ وجهُكَ ! و[تقول] : قد حَسُنَ وجهُكَ ، و[قد] حَسْنَ وجهُكَ .[١] قال : « حُسْنَ » على أن يكون على مذهب : نِعمَ وبِئسَ ! نُقِلَ وسَطُه إلى أوله . وما لم يَحسُن لم يُنقَل : وقد حَسُنَ وجهُكَ . ولا يكون :[٢] قد حُسْنَ وجهُكَ ! لا تُنقَل ضمةُ السين إلى الحاء .

قال الشاعر :

لَم يَمنَـعِ النّـاسُ مِنّـي مـا أرَدتُ ، ومـا أُعطِيهِمُ مـا أرادُوا ، حُسْـنَ ذا أدَبـا !

[و : « حَسْنَ ذا أدَبا »] ، أراد : حَسُنَ هذا[٣] أدَبًا ! لأن هذا مذهب التعجب . ولا يكون هذا في الخبر . أراد : « حَسُنَ » ، فخفَّفَ ونقل ضمة السين إلى الحاء .[٤]

وقال الأخطل :

فقُلتُ : اقتُلُوها ، عَنكُمُ ، بِمِزاجِهـا وحَبَّ بِها ، مَقتُولةً ، حِينَ تُقتَـلُ[٥]

[ويروى : « وَأطِيبْ بِها » ! ويروى : « وحُبَّ بِها »] ! . أراد : حَبُبَ بها ! فأدغم .

---

(١) في المطبوعة تقديم وتأخير .

(٢) في المطبوعة : « ولا تقل » . والتصويب من نسخة كوبرلي .

(٣) في المطبوعة : « ذا » . والتصويب من نسخة كوبرلي .

(٤) في المطبوعة : « فنقل وخفف » . والتصويب من نسخة كوبرلي .

(٥) **في المطبوعة : « وحُبَّ »** . والتصويب من نسخة كوبرلي .

[وقال ساعدةُ :

هَجَرَتْ غَضُوبُ ، وحُبَّ مَن يَتَجَنَّبُ ! وعَدَتْ عَوادٍ دُونَ وَلْيِكَ ، تَشعَبُ][١]

وقال الآخر في تخفيف المكسور :

فإن أهجُهُ يَضجَرْ ، كَما ضَجْرَ بازِلٌ مِنَ الأُدمِ ، دَبرَتْ صَفحَتاهُ وغارِبُهْ

وقال أبو النجم :

* لَو عُصْرَ مِنهُ البانُ ، والمِسكُ ، انعَصَرْ *

وقال أيضًا :

* رُجمَ بِهِ الشَّيطانُ ، مِن هَوائِهِ *

[وقال القطاميّ :

* ونُفْخُوا في مَدائِنِهِم ، فطارُوا *

أراد : ونُفِخُوا .

والإنْسُ : الناسُ . والأُنْسُ : أن تأنسَ بالإنسان وغيره] .

٣ *

العيب في الإعراب

وقد يُضطَرُّ الشاعرُ فيُسكّن ما كان ينبغي [له] [٢] أن يحركه ، كقول لَبيد :

تَرّاكُ أمكِنةٍ ، إذا لَم أرضَها أو يَعتلِقْ بَعضَ النُّفُوسِ حِمامُها

يريد : أتركُ المكان الذي لا أرضاه إلى أن أموتَ ، لا أزال أفعل ذلك ـ و« أو » ههنا بمنزلة :حتّى ـ وكقول امرئ القيس :

(١) فوق « وليك » في نسخة كوبرلي : معًا .

* الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٥ ـ ٥٠ .

(٢) زيادة من نسختي فينة وباريس . وكذلك ما يلي بين معقوفين في النص كله .

فـاليَومَ أشـرَبْ ، غَـيرَ مُسـتَحقِبٍ إثمًـا ، مِـنَ اللهِ ، ولا واغِـلِ

ولولا أن النحويِّينَ يذكرون هذا البيت ، ويحتجّون به في تسكين المتحرّك لاجتماع الحركات ، وأنّ كثيرًا من الرُّواة يَرْوُونه هكذا ، لظننته : « فاليَومَ أُسقَى ، غَيرَ مُستَحقِبٍ » .

قالَ أبو محمد : وقد رأيتُ سِيبَوَيهِ يذكر بيتًا ، يحتجّ به في نَسَق الاسم المنصوب على المخفوض ، على المعنى لا على اللفظ . وهو قول الشاعر :

مُعـاوِيَ ، إنَّنـا بَشَـرٌ ، فأسـجِحْ فلَسـنا بالجِبـالِ ، ولا الحَديـدا

قال : كأنه أراد : لسنا الجبالَ ولا الحديدا . فردّ « الحديد » على المعنى قبل دخول الباء . وقد غلط على الشاعر ، لأن هذا الشعر كلّه مخفوض . قال الشاعر :

فهَبْهـا أُمّـةً ، ذَهَبَـتْ ضَـياعًا يَزِيـدُ أميرُهـا ، وأبُـو يَزِيـدِ

أكَلـتُم أرضَـنا ، وجَرَدتُمُوهـا فهَـل مِـن قـائمٍ ، أو مِـن حَصِـيدِ ؟

ويَحتجّ أيضًا بقول الهُذَليّ ، في كتابه . وهو قوله :

يَبِيـتُ علَـى مَعـارِيَ ، فـاخِراتٍ بِهِـنَّ مُلَـوَّبٌ ، كَـدَمِ العِبـاطِ

وليست ههنا ضرورةٌ ، فيَحتاجَ الشاعر إلى أن يترك صرف « مَعارٍ » . ولو قال : « يَبِيتُ علَى مَعارٍ فاخِراتٍ » كان الشعر موزونًا والإعراب صحيحًا . قال أبو محمد : وهكذا قرأته على أصحاب الأصمعيّ .

وكقوله في بيت آخر :

لِيُبـكَ يَزِيـدُ ، ضـارِعٌ لِخُصُـومةٍ ومُختَـبِطٌ ، مِمّـا تُطِـيحُ الطَّـوائحُ

وكان الأصمعي يُنكِر هذا ويقول : ما اضطَرّه إليه ؟ وإنّما الرواية : « لِيَبكِ يَزِيدَ ضارِعٌ لِخُصُومةٍ » .

وكذلك قول الفرّاء :

فلَـئن قَـومٌ ، أصـابُوا عِـزّةً وأصَـبنا ، مِـن زَمـانٍ ، رَنَقـا

لَلَقَــد كــانُوا ، لَــدَى أزْماتِــهِ ، لَصَــنيعِينَ لِبــأسٍ ، وتُقَــى

هو : « فلَقَد كانُوا » . وهذا باطل . وكذلك قوله :

مَــن كــانَ لا يَــزعُمُ أنّــي شــاعِرُ ، فيَــدْنُ مِنّــي ، تَنهَــهُ المَزاجِــرُ

إنّما هو : « فلْيَدْنُ مِنّي » . وبه يصحّ أيضًا وزن الشعر . وكذلك قوله :

فقُلــتُ : ادعِــي وأدعُ ، فــإنَّ أنــدَى لِصَــوتٍ أن يُنــادِيَ داعِيــانِ

إنّما هو : « فقُلتُ : ادعِي وأدعُوَ ، إنَّ أندَى » .

[وكقول الفرزدق :

رُحــتِ ، وفي رِجلَيــكِ عُقّالــةٌ وقَــد بَــدا هَنْــكِ ، مِــنَ المئــزَرِ]

وقد يُضطرّ الشاعر ، فيقصر الممدود ، وليس له أن يَمدّ المقصور ، وقد يُضطَرّ فيصرف غير المصروف ، وقبيح ألاّ يصرف المصروف . وقد جاء في الشعر ، كقول العبّاسِ بنِ مرداسٍ [السُّلَميّ] :

ومــا كــانَ بَــدرٌ ، ولا حــابِسٌ ، يَفوقــانِ مِــرداسَ ، في مَجمَــعِ

وأمّا تركُ الهمز من المهموز فكثير واسع ، لا عيبَ فيه على الشاعر . والذي لا يجوز أن يُهمَزَ غيرُ المهموز .

* * *

وليس لمُحدَث أن يتّبعَ المُتقدّم ، في استعمالِ وحشيّ الكلام الذي لم يكثُر ، ككثير من أبنية سيبَوَيهِ ، واستعمالِ اللغة القليلة في العرب ، كإبدالِهم الجيمَ من الياء ، كقول القائل :(١)

* يا رَبِّ ، إن كُنتَ قَبِلتَ حَجَّتجْ *

يريد : « حَجَّتِي » . وكقولهم : « جَمَلٌ بُختِجٌ » ، يريدون : « بُختِيٌّ » ، و« عَلِجٌّ » يريدون :« عَلِيٌّ » .(٢)

---

(١) في المطبوعة : حَجَّتجَ .

(٢) في المطبوعة : بُختَجٌ يريدون بُختِيٌّ وعَلِجٌ يريدون عَلِيٌّ .

وإبدالهم الياء(١) من الحرف في الكلمة المخفوضة ، كقول الشاعر :

لَهـا أشـارِيرُ ، مِـن لَحـمٍ ، تُتَمِّـرُهُ   مِـنَ الثَّعـالي ، ووَخـزٌ مِـن أرانِيهـا

يريد : « مِن أرانِبِها » . وكقول الآخَرَ :

* ولِضَفادِي جَمِّهِ نَقانِقُ *

يريد : « ضَفادِع » .

وكإبدالهم الواوَ من الألف ، كقولهم : « أفْعَوْ وحُبْلوْ » ، [يريدون : أفْعَى وحُبْلَى] . وقال ابن عبّاس : لا بأسَ بِرَمْيِ الحِدَوْ [لِلمُحْرِمِ] .

٤ *

قـال تأبَّـطَ شـرًّا

وهو ثابتُ بنُ جابرِ بنِ سُفْيانَ بنِ عَديٍّ بنِ كعبِ بنِ حربِ بنِ تَيمِ بنِ سعدِ بنِ فهمِ بنِ عمرِو بنِ قيسِ بنِ عَيلانَ بنِ مُضرَ بنِ نزارٍ . قال أحمد : هكذا نَسبَه لنا أبو عَمرٍو إسحاقُ بنُ مِرارٍ ، بكسر الميم ، وقال : كان عَيلانُ عبدًا لمُضرَ حضنَ ابنَه « النّاسَ » ، فغلب على نسبه .

وقال هشامٌ : ولَدَ مُضرُ بنُ نزارٍ رجلين : الياسَ بنَ مُضرَ وفيه العددُ ، والنّاسَ بنَ مُضرَ ، وأُمُّهما الرَّبابُ(٢) بنتُ حَيدةَ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ . وأمّا النّاسُ بنُ مُضرَ فكان متلافًا لا يُليقُ شيئًا ، وكان إذا نَفِدَ ما عنده أتَى أخاه الياسَ ، فيُناصفه مالَه أحيانًا ويَريشُه أحيانًا . فلمّا طال ذلك عليه وأتاه كما كان يأتيه قال له الياسُ : غَلَبتْ عليك العَيلَةُ . فأنتَ عَيلانُ . فسُمِّيَ لذلك عَيلانَ ، وجُهِلَ النّاسُ .

١ ـ يا عِيدُ ، ما لَكَ ، مِن شَوقٍ وإيراقِ

ومَـرِّ طَيـفٍ ، علَـى الأهـوالِ ، طَـرّاقِ ؟

---

(١) في المطبوعة : وإبدالهم الياء .

* ديوان المفضليات للأنباري ص ١ ـ ٤ .

(٢) في المطبوعة : « الرِّئاب » . والتصويب من جمهرة النسب ١ : ٤ وشرح اختيارات المفضل ص ٩٣ .

العيد : ما اعتادَ من مرض أو حُزن . ومنه قول الشاعر :

عـادَ قَلبِـي ، مِـنَ الطَّوِيلـةِ ، عِيـدُ   واعتَرانِـي ، مِـن حُبِّهـا ، تَسـهِيدُ

قوله « يا عيدُ » يريد : أيّها المُعتادي ، ما لك من شوق وإيراق ؟ كقولك : « ما لك من فارس ، قاتلك الله » ! وأنت تريد بذلك مدحَه لا الدعاء عليه .

قال أبو عِكرمةَ : ورواها أبو عَمرٍو الشَّيبانيُّ : « يا هِندُ ، ما لَكِ ، مِن شَوقٍ وإيراقِ » ؟ والطَّيف : طَيف الخيال . قال الأصمعيُّ : يقال : طافَ الخيالُ يَطيفُ طَيفًا . وأنشد :

أنَّـى ألمَّ بِـكَ الخَيـالُ ، يَطِيـفُ   ومَطافُـهُ لَـكَ ذُكـرةٌ ، وشُـعُوفُ ؟

وقال أبو زيدٍ وأبو محمّدٍ اليَزيديُّ : يقال : طافَ الخيالُ يَطوفُ . قالا : وإنّما الطَّيف تخفيف « طَيِّفٍ » ، كما يقال : مَيْتٌ ، تخفيف مَيِّتٍ ، وهو من : ماتَ يَموتُ . وطَرّاق : من الطَّروق . ولا يكون إلاّ بالليل .

قال أحمدُ بنُ عُبيدٍ : رِوايةُ أبي عَمرٍو الشَّيبانيِّ : « يا هَيدَ ، ما لَكَ » . فإنّ العرب تقول للرجل ومَن أتاهم : « هَيدَ ما لَكَ ؟ ويا هَيدَ ما لَكَ » ؟ إذا سألوه عن حاله وتحفَّوا به . ويقولون : أتاهم فما قالوا له : هَيدَ ما لَكَ ؟ والمعنى في هذا : ما لكَ ، أي : ما يَنزلُ بكَ من الشَّوق والإيراق ، ويحُلُّ بكَ من مَمَرِّ هذا الطيف ، إذا طاف بكَ ، ونُزولِه عليكَ ؟

وقوله « علَى الأهوالِ طرّاقِ » يقول : يطرقنا في موضع البُعد والمخافة . وذلك إذا أغفَوا ، لطول ما قد مرّ بهم من التَّعب والسُّرَى . فإذا ناموا طرقهم خيالُ من يحبّون ويهوَون ، فيشوقهم ويؤرّقهم حبُّهم له وغلبتُه عليهم . ومثله قول الآخَر :

أنّى اهتَـدَيتِ ، وكُنـتِ غَـيرَ رَجِيلـةٍ   والقَـومُ قَـد قَطَعُـوا مِتـانَ السَّجسَـجِ ؟

يقول : نحن قومٌ سفرٌ . فكيف اهتدَيتِ إلينا ، وعهِدناكِ غيرَ رَجيلة : غيرَ قويّة على السفر ؟

ومن روى « يا هِندُ ، ما لَكِ » فالمعنى : ما لنا منكِ من شوق وإيراق ، إذا طرقَنا

خيالُكِ ؟ فلما كان ذلك بسببها جعله لها . ومن روى « يا عِيدُ » فإنه أراد ما يعوده من ذِكرها عند طروق خيالها ، كقول الأعشى :

طــافَ الخَيــالُ ، فعــادَهُ ، مِــن ذِكـرِ مَيّـةَ ، مـا يَعُـودُهْ

والعِيد : الوقت الذي يعود إليه فيه الذِّكر والوجع والشَّوق وما أشبهَ ذلك . وأصله من : عادَ يعودُ . فانقلبتِ الواو لسكونها وكسرة ما قبلها ياءً . ومنه تَسمَّى العيد عيدًا ، لأنّه يعود لوقته . والإيراق : مصدر : آرَقَه يُؤرِقُه إيراقًا ، حتّى أرِقَ يأرَقُ أرَقًا .

وأمّا الطَّيف خالفَ⁽¹⁾ فيه جميعَ الناس [ما] قاله الأصمعيُّ ، فزعم أنّه من : طافَ يَطِيفُ ، قال : وهذا في الخيال خاصّةً ، تقول العرب بالياء . قال : وحُكِيَ : دامَتِ السماءُ تَدِيمُ دَيمًا . وحُكِيَ عن بعض العرب : ما زالتِ السماءُ دَيمًا دَيمًا . وأنشد بيت حُميدِ بنِ ثور الهِلاليِّ :

رَعَى السُّرّةَ المِحلالَ ، ما بَينَ زابِنٍ إلى الخَورِ ، وَسمِيَّ البُقُولِ المُدَيَّما

وزعم أنّ المُديَّم : مُفَعَّلٌ ، من : دامتْ تَدِيمُ . واحتجّ أيضًا ببيت كعبِ بنِ زُهير :

أنَّـى ألَـمَّ بِـكَ الخَيـالُ ، يَطِيـفُ ومَطافُـهُ لَـكَ ذُكـرةٌ ، وشُـغُوفُ ؟

كذا أنشده بالياء ، وخالف الرواة كلّهم .

وأبَى ذلك ابنُ الأعرابيّ وسائرُ العلماء ، وقالوا : طافَ الخيالُ يَطُوفُ . قالوا جميعًا : إنّما هو تخفيف « طَيفٍ » ، كما قالوا : مَيْتٌ وهَيْنٌ ولَيْنٌ ، تخفيف : مَيِّت وهَيِّن ولَيِّن . قالوا : وأمّا قول حُميدِ بنِ ثور « المُدَيَّما » فإنّما هو : المُفَيعَل . كان أصله « المُدَيْوَم » ، فاجتمعتِ الياء والواو وسبقت إحداهما بسُكون ، فقُلبتِ الواو ياءً وأُدغِمتِ الياءُ فيها ، وتُرِك ما قبلها على ما كان عليه لأنّ الياء والواو الساكنتين تصِحّان بعد فتح ، ولا تصِحُّ ياء ساكنة بعد ضم ، ولا واو ساكنة بعد كسر .

قال أحمد : وإنّما قرّروه في تخفيفه على الياء لأنّهم يطالِبون الاسمَ لا المصدرَ .

---

(١) كذا في المطبوعة بحذف فاء الجواب .

فكأنّهم ، وإن خفَّفوه ، يعاملونه معاملة التشديد . وأمّا المصدر فبالواو لا غَيرُ ،[١] إلاّ ما ذهب إليه الأصمعيُّ . واختلف الناس في تصغيره . فأمّا الفرّاء ومن قال بقوله فإنّهم يصغّرونه على الأصل ، فيقولون : طُوَيفٌ . وأمّا سيبَوَيهِ ومن قال بقوله فإنّهم يصغّرونه : طُيَيْفٌ ومُيَيْتٌ ، على لفظه .

قال أبو العبّاس أحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ : ونُصِبَ « هَيدَ ، ما لك » كما يُنصب الزّجرُ . والزَّجرُ يُنصب كما تُنصب الأدوات ، وذلك إذا كان [ما] قبل الحرف الذي هو آخرِ الكلمة منجزمًا نُصب آخرُه ، كقول الله جلّ وعزّ : ﴿ أُفَّ لَكُم ﴾ ، وقولِهم : لعلَّ وإنَّ ، وما أشبهَ ذلك . فإذا تحرّك ما [قبلَ] آخرِ[٢] الكلمة جُزمتْ . وربّما رُفِعَتِ الكلمةُ ونُصبتْ وخُفضتْ ، إذا كان ما قبل [آخرِ] ها[٣] ساكنًا .

٢ـ يَسرِي ، علَى الأينِ والحَيّاتِ ، مُحتَفِيًا

نَفْسِي فِداؤُكَ ، مِن سارٍ علَى ساقِ

ورُوي : « لله دَرُّكَ ، مِن سارٍ علَى ساقِ » ! والساري : الذي يسير بالليل . يقال : سَرَى وأسرَى ، بمعنًى واحدٍ . ويقال : سَرَى ، إذا سار الليلَ كلّه ، وأسرَى : إذا سار من آخرِ الليل . والأيْم والأيْن : ضرب من الحيّات . والأيْن : الإعياء أيضًا . ومُحتَفٍ : حافٍ . وروَى غيرُ أبي عِكرمةَ : « أحبِبْ بِذلِكَ ، مِن سارٍ » ! ورُوي :« أهلٌ بِذلِكَ » ! ورُوِيَ :« أهلاً بِذلِكَ » !

والأيْنُ : الإعياءُ ههنا . يقال : آنَ يَئِينُ أيْنًا ، إذا أعْيا . وقد إنتَ أي : أعيَيتَ . وإنّا : أعيَينا . وأنشدَ :

تَرَى الشَّطبةَ الجَرداءَ تَنفُضُ رأسَها كَلالاً وأينًا ، والكُمَيتَ المُفَرَّعا

يعني فرسًا أفرعَ نفضَ كتفيه . وآنَ الشيءُ ، بمعنى : حانَ ، يَئِينُ أيْنًا ، وأَنَى يأْني . ومنه قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ألَم يأنِ لِلَّذينَ آمَنُوا ﴾ أي : ألَم يَحِن لهم ؟ والله أعلم . قال الشاعر :

---

(١) في المطبوعة : لا غَبْرُ .

(٢) في المطبوعة : ما آخرُ .

(٣) في المطبوعة : ما قَبْلَها .

أَلَمَّـا يَـئِنْ لِـي أن تُجَلَّـى عَمـايتِي وأُقصِرَ عَن لَيلَى ؟ بَلَى قَـد أَنَـى لِيا

فجاء هذا الشاعر بهاتَينِ اللغتين جميعًا . وقوله « أَلَمّا يَئِنْ لي » من قولك : آنَ ، ثمّ قال في آخِره : « بلَى قَد أَنَى لِيا » ، فجاء باللغتين في بيت .

وقال الفرّاء : إن شئتَ جعلتهما جميعًا من لغة واحدة ، كأنه أراد بقوله « أَلَمّا يَئِنْ لي » : يأنِ لي ، ثمّ أدغم النون عند اللام وألقى حركتها على الهمزة ، فيكون حينئذ من : أَنَى يأنِي ، فيصيران جميعًا من لغة واحدة . وفيه لغتانِ أُخرَيانِ : العرب تقول : ألم يَنَل لك أن تفعلَ ذاك ؟ وألم يُنِل لك أن تفعلَ ؟

قال أحمدُ بن عُبيد : وتقول العرب : كان ذاك في أوانِ حاجتِكَ ، وفي آوِنةِ حاجتِك . ومعنى آوِنةً : أحيانًا . ويقال : آنَ يؤُونُ أوْنًا ، بمعنى : رَفِقَ . يقال : أُنْ على نفسك ، أي : ارفُـقْ بها .

أحمد : وقوله « أهلاً بذلكَ ، من سارٍ » كأنه دعاء له وتعجب منه . العرب تقول : فلانٌ أهل للخير ، وقد آهَلَهُ اللهُ له ، و« مكانٌ مأهولٌ » هو الكلام ، وقد أُهِلَ هذا المكانُ . وسمعتُ يقال : مكانٌ آهِلٌ ، أي : ذو أهل . قال ذو الرُّمّة :

* كأنْ لَم ، سِوَى أهلٍ مِنَ الوَحشِ ، تُؤهَلِ *

وبنو عامر يقولون : أَهِلتُ به فأنا آهَلُ به أُهولاً ، أي : أَنِستُ به .

وجعله محتفيًا أي : عجَّل في طلبنا ولم يتلبّث . وقوله « نَفسِي فِداؤُكَ ، مِن سارٍ علَى ساقِ » والخيال لايمشي على ساق ، ولكنه لمّا قال « يسري » وقال « محتفيًا » فوصفه بما يُوصف به ذو الساق قال : « نَفسِي فِداؤُكَ ، مِن سارٍ علَى ساقِ » ، فجعله ممّن له ساق . وكذلك قول الله ـ تعالى ـ في قصّة يُوسُفَ ، عليه السلام : ﴿ يا أبَتِ ، إنِّي رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكبًا والشَّمسَ والقَمَرَ رأيتُهُم لِي ساجِدِينَ ﴾ . وإنّما تدخل هذه النون والياء في جمع ذُكران الإنس والجنّ وما أشبههم ، فيقال : الجنّ والإنس والملائكة ساجدون . فإذا عدَوتَ هذا صار المؤنّث والمذكّر إلى التأنيث ، فيقال : الغنم والبقر مُذبَّحة ومُذَبَّحات وقد ذُبِّحْنَ . ولا يجوز : مُذبَّحونَ .

قال الفرّاء : وإنّما ذلك لأنّها وُصِفتْ بأفاعيل الآدميِّين . وقال : ألا ترَى أنّ الرُّكوع والسُّجود لا يكون إلاّ من الآدميِّين ؟ فأُخرجتْ على أفعال الآدميِّين لمّا وُصِفتْ

بصفتهم . ومثله : ﴿ وقالُوا لِجُلُودِهِم : لِمَ شَهِدتُم علَينا ﴾ ؟ وكأنّهم خاطبوا رجالاً ، إذ كلّمتهم وكلّموها . ومثله : ﴿ يا أيُّها النَّملُ ، ادخُلُوا مَساكِنَكُم ﴾ . وكلُّ ما ورد عليك موافقًا لفعل الآدميِّين ، وليس من الآدميِّين ، فأجْرِه على هذا . ويجوز أن يكون جعل الخيال ذا ساق ، يذهب إلى معناه ، يريد صاحب الخيال .

أحمدُ : ويقال : « سَرَى وأسرَى » لغتانِ قد جاء بهما القرآن . فيقال : سِرتُ الدابّةَ أسيرها سَيرًا ومَسيرًا ، وسِرتُ بالقوم فأنا أسير بهم ، وسَرَيتُ بالقوم فأنا أسرِي بهم سُرًى ، وسَرَوا هم يَسرُون سُرايَ ، وأسرَيتُ بهم إسراءً . والسُّرَى : من أوسط الليل وأوّله وآخره . وأمّا السَّير فبالليل والنهار .

٥ *

حسّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ

كتبَ لي أحمدُ بنُ عبدِ العزيزِ : أخبرَنا عُمرُ بنُ شَبّةَ ، قال : حدّثني أبو بكر العُليميُّ [الباهليُّ] ،[1] قال : حدّثنا عبدُ الملك بنُ قُريبٍ ، قال : كان النابغة الذُّبيانيُّ تُضرَب له قُبّةٌ حمراءُ من أدَم بسوق عُكاظَ ، فتأتيه الشُّعراء فتعرض عليه أشعارها . قال : فأوّل مَن أنشده الأعشَى ميمونُ بنُ قيسٍ أبو بصيرٍ ، ثمّ أنشده حسّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ :

لَنـا الجَفَنـاتُ الغُـرُّ ، يَلمَعْـنَ بالضُّـحَى ... وأسيافُنا يَقطُرْنَ ، مِـن نَجْـدةٍ ، دَمـا
وَلَدْنا بَنِـي العَنقـاءِ ، وابنَـي مُحَـرِّقٍ ... فأكرِمْ بِنا خالاً ! وأكـرِمْ بِنـا ابْنَمـا !

فقال له النابغة : أنتَ شاعر ، ولكنّك أقللتَ جِفانَكَ وأسيافَكَ ، وفخَرتَ بمن وَلَدتَ ، ولم تفخر بمن وَلَدَكَ .

---

* الموشح للمرزباني ، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ص٨٢ ـ ٨٧ . وانظر إشكاليات البحث والنقد النحويين .

(١) سقطت من الأصل .

وحدّثني عليُّ بنُ يحيى ، قال : حدّثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّارٍ ، قال : حدّثني عمّي مُصعبُ بنُ عبدِ الله ، قال : أنشد حسانُ نابغةَ ذُبيانَ قصيدته التي يقول فيها : « لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ » ، فقال له : ما صنعتَ شيئًا ، قلّلتَ أمركَ فقلتَ : جفنات وأسياف .

وأخبرَني الصُّوليُّ ، قال : حدّثني محمّدُ بنُ سعيدٍ ومحمّدُ بنُ العبّاسِ الرِّياشيُّ عن الرِّياشيِّ عن الأصمعيِّ ، عن أبي عَمرِو بنِ العلاءِ قال : كان النابغة الذُّبيانيُّ تُضرَبُ له قُبّةٌ بسوق عكاظَ من أدَم ، فتأتيه الشُّعراء فتَعرِض عليه أشعارها ، فأتاه الأعشَى فكان أوّل من أنشده ، ثم أنشده حسّانُ بنُ ثابتٍ قصيدته التي منها : « لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ » ، وذكر البيتين ، فقال النابغة : أنتَ شاعر ، ولكنّك أقللتَ جِفانَكَ وأسيافَكَ ، وفخَرتَ بمن وَلَدتَ ولم تفخر بمن وَلَدكَ .

قال الصُّوليُّ : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدلُّ عليه نقاءُ كلام النابغة وديباجةُ شعره . قال له : « أقللتَ أسيافَكَ » ، لأنه قال « وأسيافنا » ، وأسياف : جمع لأدنى العدد ، والكثير سيوف . والجفنات : لأدنى العدد ، والكثير جِفانٌ . وقال : « فخَرتَ بمن وَلَدتَ » ، لأنه قال : « وَلَدْنا بَني العَنقاءِ وابنَي مُحَرِّقٍ » ، فترك الفخر بآبائه وفخَر بمن ولَدَ نساؤه .

قال : ويُروى أنّ النابغة قال له : أقللتَ أسيافَكَ ولمّعتَ جِفانَكَ . يريد قوله « لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ » . والغُرّةُ : لُمعةُ بياض في الجفنة . فكأنّ النابغة عاب هذه الجفانَ ، وذهب إلى أنه لو قال : « لَنا الجَفَناتُ البِيضُ » فجعلها بيضًا كان أحسنَ . فلَعَمري إنّه أحسنُ في الجفان ، إلاّ أنّ الغُرَّ أجلُّ لفظًا من البِيض .

قال الشيخ أبو عُبيدِ اللهِ المَرزُبانيُّ ، رحِمَه الله : وقال قوم ممّن أنكر هذا البيت : في قوله « يَلمَعْنَ بالضُّحَى » ولم يقل : بالدُّجَى ، وفي قوله « وأسيافُنا يَقطُرْنَ » ولم يقل : يَجرِينَ ، لأن الجري أكثر من القطر . وقد رُدَّ هذا القول ، واحتجَّ فيه قوم لحسّانَ بما لا وجه لذكره في هذا الموضع .

فأمّا قوله « فخَرتَ بمن وَلَدتَ ولم تفخر بمن وَلَدَكَ » فلا عُذر عندي لحسّانَ فيه ، على مذهب نُقّاد الشعر . وقد احترس من مثل هذا الزّلل رجلٌ من كلب ، فقال

يذكر ولادتَهم لمصعبِ بنِ الزُّبيرِ وغيرِه ممن ولَدَه نساؤهم :

وعَبدَ العَزيـزِ قَـد ولَـدْنا ، ومُصـعَبًا وكَلـبٌ أبٌ ، لِلصّـالِحِينَ ، ولَـودُ

فإنّه لمّا فخَر بمن ولده نساؤهم فضّل رجالهم ، وأخبر أنّهم يلدون الفاضِلينَ ، وجمع ذلك في بيت واحد ، فأحسنَ وأجاد .

حدّثني محمّدُ بنُ أحمدَ الكاتبُ ، قال : حدّثَنا محمّد بنُ يزيدَ النحويُّ ، قال : قال حسّانُ بنُ ثابتٍ يرثي مُطعِمَ بنَ عديٍّ في أبيات ، وهذا البيت رديء عند أهل العربية ، وذلك أنّه قدّم المَكنيَّ على الظاهر ، ومثله ربّما جاز في الضرورة :

فلَو كانَ مَجدٌ يُخلِدُ اليَـومَ واحِـدًا ، مِنَ النّاسِ ، أبقَى مَجدُهُ اليَومَ مُطعِما

ونظيره قول الآخَر :

جزَى رَبُّهُ ، عَنّـي ، عَـدِيَّ بـنَ حـاتِمٍ جَزاءَ الكِلابِ العاوِياتِ ، وقَـد فَعَـلْ

وإنّما جاز هذا لأنّ المُظهَر يُفسِّر المُضمَرَ .

حدّثني عبدُ اللهِ بنُ يحيى العسكريُّ ، قال : حدّثني إبراهيمُ بنُ عبدِ الصمدِ ، قال : حدّثَنا الكَرانيُّ ، قال : حدّثني العبّاسُ بنُ مَيمونٍ طابع ، قال : حدّثني الأصمعيُّ ، قال : طريق الشعر إذا أدخلتَه في باب الخير لانَ . ألا ترَى أنّ حسّانَ بنَ ثابتٍ كان علا في الجاهلية والإسلام ، فلمّا دخل شعره في باب الخير ، من مراثي النبيِّ ﷺ وحمزةَ وجعفرٍ ـ رضوان الله عليهم ـ وغيرِهم ، لانَ شعره ؟ وطريق الشعر هو طريق شعر الفُحول ، مثل امرئ القيس وزُهير والنابغة ، من صفات الدِّيار والرَّحيل ،[1] والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء ، وصفة الحُمُر والخيل والحروب والافتخار . فإذا أدخلتَه في باب الخير لانَ .

حدّثني عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ ، قال : حدّثَنا محمّدُ بنُ يزيدَ النحويُّ ، قال : حكى محمّدُ بنُ عُمرَ الجُرجانيُّ . وأخبرني عليُّ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : أخبرني يحيى بنُ عليِّ بنِ يحيى المنجِّمُ عن أبيه ، قال : حدّثني محمّدُ بنُ عُمرَ ، وحدّثني إبراهيمُ بنُ

(١) في المطبوعة : والرَّحْل .

محمّدٍ العطّارُ عن العَنَزيِّ ، قال : حدّثني عليُّ بنُ يحيى ، قال : حدّثني محمّدُ بنُ عُمرَ الجُرجانيُّ عن هشامِ بنِ محمّدٍ الكلبيِّ عن أبي المقوِّم الأنصاريِّ . وحدّثني محمّدُ بنُ أحمدَ الكاتبُ ، قال : حدّثَنا محمّدُ بنُ موسى البربريُّ عن إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ عيسى ، عن أبي عُمرَ حفصِ بنِ عُمرَ العُمَريِّ عن لَقيطٍ ، قال : حدّثَنا عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ عن أبي عَمرةَ عن أبيه ، قالا :

أَرِقَ حسّانُ بنُ ثابتٍ ذاتَ ليلة فعَنَّ له الشعر ، وعنده ابنته ليلى في خِدرها ، فقال بيتًا :

مَتارِيكُ أذنابِ الأُمُورِ ، إذا اعتَرَت أخَذْنا الفُرُوعَ ، واجتَنَينا أُصُولَها

ثمّ أجبلَ فلم يجد شيئًا ، فقالت له ابنته : يا أبتاهْ ، كأنّك أجبلتَ . قال : أجلْ .(١) فقالت : فهل لكَ أن أُجيزَ عنكَ ؟ قال : نعم . قالت : أعِدْ . فأعاد قوله ، فقالت :

مَقاوِيلُ بالمَعرُوفِ، خُرسٌ عَنِ الخَنا كِرامٌ ، يُعاطُونَ العَشِيرةَ سُولَها

قالا :(٢) فحمي الشيخ فقال :

وقافِيةٍ ، مِثلِ السِّنانِ رَزِينةٍ ، تَناوَلتُ ، مِن جَوِّ السَّماءِ ، نُزُولَها

فقالت :

يَراها الَّذِي لا يَنطِقُ الشِّعرُ عِندَهُ ويَعجِزُ عَن أمثالِها ، أن يَقُولَها

فقال حسّانُ : لا أقول شعرًا وأنتِ حيّةٌ . قالت : أوَأُؤَمِّنُكَ ؟ قال : أوَتَفعلينَ ؟ قالت : نعم ، لا أقول شعرًا مادمتَ حيًّا .

والحديث على لفظ البربريّ .

وفضّل أهل العلم قول امرئ القيسِ بنِ حُجرٍ :

مِنَ القاصِراتِ الطَّرفِ ، لَو دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِّ ، فَوقَ الإتبِ مِنها ، لأثَّرا

على قول حسّانَ :

(١) في المطبوعة : أجْل .

(٢) في المطبوعة : قال .

لَو يَـدِبُّ الحَولِـيُّ ، مِـن وَلَـدِ الـذَّ رِّ علَيهـا ، لأَنـدَبَتْها الكُلُـومُ

وعِيبَ على حسّانَ قولُه :

أكرِمْ بِقَـومٍ ، رَسُـولُ اللهِ شِيعتُهُم ، إذا تفرَّقَـتِ الأهْـواءُ والشِّـيَعُ

لأنّه كان يجب أن يقول : هم شيعةُ رسول الله ، صلّى الله ـ تعالى ـ عليه وسلّم .

٦ *

الإعـراب

لا تخلو الألِفُ في « آمَنَ » من أن تكون زائدة أو منقلبة ، وليس في القِسمة أن تكون أصلاً . فلا يجوز أن تكون زائدة لأنها لو كانت كذلك لكان « فاعَلَ » ، ولو كان « فاعَلَ » لكان مضارعه « يُفاعِلُ » مثل : يقاتِل ويضارِب ، في مضارع : قاتلَ وضاربَ . فلمّا كان مضارع « آمَنَ » : يُؤمِنُ ، دلّ على أنها غير زائدة . فإذا لم تكن زائدة كانت منقلبة ، وإذا كانت منقلبة لم يخلُ انقلابها من أن يكون عن الواو أو عن الياء أو عن الهمزة .

فلا يجوز أن تكون منقلبة عن الواو ، لأنّها في موضع سكون ، وإذا كانت في موضع سكون وجب تصحيحها ولم يجز انقلابها . وبمثل هذه الدلالة ، لا يجوز أن تكون منقلبة عن الياء . فإذا لم يجز انقلابها عن الواو ، ولا عن الياء ، ثَبَتَ أنها منقلبة عن الهمزة . وإنّما انقلبت عنها ألفًا ، لوقوعها ساكنة بعد حرف مفتوح . فكما أنها إذا خُفِّفت ، في : رأس وفأس وبأس ، انقلبت ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها ، كذلك قُلبت في نحو : آمَنَ وآجَرَ وآتَى ، وفي الأسماء نحو : آدَر وآخَر وآدَم . إلاّ أنّ الانقلاب ههنا لزمها ، لاجتماع الهمزتين ، والهمزتان إذا اجتمعتا في كلمة لزم الثانيةَ

* الحجة للـقَـرَأة السبعة لأبي علي الفارسي ١ : ٢٣٥ ـ ٢٤٢ . وفي المطبوعة « للقُراء » ، والتصويب من نسخة مـراد مُـلّـي بإستانبول .

منهما القلبُ بحسَب الحركة التي قبلها ، إذا كانت ساكنة نحو : آمَنَ ، أُوْتُمِنَ ، ايذَنْ ، ايتِنا .[١]

ومن ثَمّ قلنا في « آوَى » : إنّ الفاء منها همزة . ألا ترى أنّها لا تخلو من أن تكون : أفعَل أو فاعَل[٢] أو فَعْلَى ؟ فلا يجوز أن تكون « فاعَل » لأن مثل : طابَقٍ وتابَلٍ ، مصروفٌ في المعرفة ، وقد منعوا « آوَى » الصرفَ ، فعُلم بذلك أنه ليس مثل : طابَقٍ . ولا يجوز أن يكون « فَعْلَى » ، لأنه لو كان إيّاها لكانت الواو[٣] في موضع سكون ، وإذا كانت في موضع سكون وجب صحّتها وانتفى انقلابها . فلو كانت العين واواً لوجب إدغامها في الواو التي هي لام ، كما وجب إدغام : حَوّاء وعَوّاء . ولا يجوز أن تكون الألف منقلبة عن الياء ، مع وقوع واو بعدها ، لأن ذلك مرفوض في كلامهم غير موجود .

فإن قلتَ : فقد جاء« خَيْوانُ » في اسم هذا الموضع الذي باليمن . فالقول في ذلك أنه « فَيعال » وليس بـ « فَعْلان » . وإنما مُنع الصرفَ لأنه يُجعل اسمًا لبقعة أو بلدة . فلا يجوز إذًا[٤] أن يكون« فَعْلَى » .

فإذا لم يجز أن يكون « فاعَل » ولا « فَعْلَى » ثَبَتَ أنه « أفعَل » . وإنما لم يُصرف لوزن الفعل وأنه علَم . فهو مثل : آمَن . ولو نُكِّر كما نكَّروا عِرسًا في« ابن عِرسٍ » لكان القياس صرفه .

فأمّا قراءة مَن قرأ : ﴿ آتَينا بِها ﴾ فإنما هو « فاعَلْنا » ، وليس بـ « أَفْعَلْنا » . ولو كان « أفْعَلْنا » لم تدخل الباء . ألا ترى أنك تقول : جئتُ به ، فإذا عدَّيت بالهمزة قلتَ : أجأتُه ، ولم تقل : أجأتُ به ؟ وفي التنزيل : ﴿ فأجاءَها المَخاضُ ﴾ .[٥] فكذلك « آتَينا بِها » لو كان « أفعَلَ » لم يحتج إلى الباء . وكذلك تقول : أَبَى زيدٌ شُربَ الماء . فإذا فعلتَ أنت به الإباء قلتَ : « آبَيتُه » ، ولا تقول : آبَيتُ به . قال :

---

(١) في المطبوعة : آمن ، اؤتمن ، ائذن ، ائتنا .
(٢) في المطبوعة : أفعلَ أو فاعلَ .
(٣) في المطبوعة : الألف .
(٤) في المطبوعة : إذن .
(٥) زاد في المطبوعة : مريم / ٢٣ .

قَد أُوبِيَتْ كُلَّ ماءٍ ، فهْيَ صادِيةٌ   مَهما تُصِبْ أُفُقًا ، مِن بارِقٍ ، تَشِمِ

فإن قلتَ : فقد قرأ بعضهم : ﴿ يُذهِبُ بالأبصارِ ﴾ ، فأثبتَ الباء مع النقل بالهمزة . فهلاّ أجزتَ في « آتينا بها » أن تكونَ : أفْعَلْنا بها ، ولا تكونَ : فاعَلْنا . فإن ما ذكرتَه هو قياس هذا القول . إلاّ أن الحمل عليه والردّ إليه ينبغي ألاّ يجوز ، ما وُجد عنه مندوحة .

فأمّا « آجَرَ » فهو : فاعَلَ ، لأنك تقول في المضارع : يُؤاجِرُ ، مثلَ : يُقاتِلُ . ولو كان « أفْعَلَ » لكان : يُوْجِرُ . والذي جاء في التنزيل من ذلك على « فَعَلَ » لأن المضارع « يَفعُلُ » ، في قوله : ﴿ علَى أن تأجُرَني ثَمانيَ حِجَجٍ ﴾ .(١)

فأمّا حُجّة من قرأ ﴿ يُؤمِنُونَ ﴾ ، بتحقيق الهمزة ، فلأنه إنما ترك الهمزة(٢) في « أُومِنُ » لاجتماع الهمزتين ، كما أنّ تركها في « آمَنَ » كذلك . فلما زال اجتماعهما مع سائر حروف المضارعة ، سوى الهمزة ، ردّ الكلمة إلى الأصل فهمز ، لأن الهمزة من الأمْن والأمَنة فاءُ الفعل . وممّا يقوّي الهمزَ ، في ذلك ، أنّ من تركها إنما يقلبها واواً ساكنة ، وما قبلها متحرك بالضمّ . والواو الساكنة إذا انضمّ ما قبلها فقد استجازوا قلبها همزةً .

[حدّثَنا ابن السرّاج ، قال] :(٣) قال محمّدُ بنُ يزيدَ : أخبرني أبو عثمانَ ، قال : أخبرني الأخفش ، قال : كان أبو حَيّةَ النُّمَيريُّ يهمِز كلّ واو ساكنة قبلها ضمةٌ ، ويُنشِد :

* لَحُبَّ المُؤقِدانِ إليَّ مُؤسَى *

وتقدير ذلك أن الحركة لمّا كانت تلي الواوَ ، في [« المُؤقِدانِ » و](٤) « مُؤسَى » ، صارت كأنها عليها ، والواو إذا تحرّكت بالضمة أُبدلتْ منها الهمزةُ .

ومثلُ إبدالهم من الواوِ الساكنةِ المضمومِ ما قبلَها الهمزةَ استجازتُهم الإمالةَ في :

(١) زاد في المطبوعة : القصص / ٢٧ .

(٢) في المطبوعة : الهمز .

(٣) تتمة من نسخة مراد مُلّى بإستانبول .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

مِقلات ومِصباح ، حيث كانت الكسرة كأنها على المستعلي ، فصار مثل : قِفاف وصِفاف . فإذا جاز إبدالُ الهمزة من الواو التي ذكرنا واجتلابُها ، وإن لم تكن من الكلمة ، فالهمزة التي هي أصل في الكلمة أولى بالتقرير وألاّ تُبدل[١] منها الواوُ .

وحُجّة من لم يهمز أن يقول : إنّ هذه الهمزة قد لزمها البدل في مثالين ، من الفعل الماضي والمضارع . فالماضي نحوُ : آمَنَ وأُومِنَ . والمضارعُ نحوُ : أُومِنُ . ولم يجز تحقيقها في هذه المواضع . وهذا القلب الذي لزمها في المثالين إعلال لها ، والإعلال إذا لزم مثالاً أُتبعَ سائرَ الأمثلة العارية من الإعلال . كإعلالهم « يَقُومُ » لِـ « قامَ » ، وإعلالهم « يُكرِمُ » من أجل « أُكرِمُ » ،[٢] و« أَعِدُ » لِـ « يَعِدُ » . فوجب ، على هذا ، أن يُختار ترك الهمز في « يُومِنُونَ »[٣] اعتبارًا لِما أرينا من الإعلال ، ليتبع قولهم « يُومِنُونَ »[٤] في الإعلال المثالين الآخَرين ، لا على التخفيف القياسي في نحو « جُونة » في : جُؤنة ، و« بُوس » في : بُؤس .

فإن قلتَ : فهلاّ لم يجز غير القلب والتخفيف ، كما لم يجز إلاّ الإعلالُ فيما شبّهتَه به وإلزامُه الحذفَ والقلبَ . فالقول : إن القياس على ما أريناك ، ولم يلزم ما شبّهنا به من الحذف والقلب في كل موضع . ألا ترى أنهم إذا قالوا : يُوعَدُ ، وما أَقْوَلَهُ ! وأَقْوِلْ بزيدٍ ! و« يُؤكرَم » في الشعر ، وأهَرِيقُ ، لم يلزم الحذفُ والقلب ؟

وحدثنا عليُّ بنُ سُلَيمانَ أن أحمدَ بنَ يحيى أخبرهم : يقال : قد اتَّمَنَ فلانٌ فلانًا ، وقد اتَّمَنْتُه ـ والأصل : [ائتَمَنَ وائتَمَنْتُه ، انقلبَتِ الهمزة ياءً] :[٤] ايتَمَنَ وايتَمَنْتُه ، ثمّ أُدغمتِ الياء في التاء فشُدِّدتِ التاء ـ وفي الائتمام : قدِ اتَّممتُ به ، مفتوحَ التاء .

هذا لفظ أحمدَ بنِ يحيى ، واستثبتُّ أبا الحسن في ذلك فأثبتَه وصحّحه ، ولم أعلم لأصحابنا في هذه المسألة نصًّا . وقياس قولهم عندي أن الإدغام فيها لا يجوز ،

---

(١) في المطبوعة : « وألاّ يبدل » . والوجه من نسخة مراد ملّى .

(٢) في المطبوعة : أكرمَ .

(٣) في المطبوعة : يؤمنون .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

لأن الياء غير لازمة ، فلا يكون مثل : اتَّسَرَ واتَّعَدَ . ألا ترى أنهم قالوا : لو بنيتَ مثل : إفْعَلٍ وإفْعِلٍ ،(١) من « أوَيتُ » ، لقلتَ : « إيًّا وإيٍّ » ،(٢) فقلبتَ الفاء ياء وأدغمتها في الواو ، كما تدغم فيها الياء التي من نفس الكلمة ؟

وقالوا : لو بنيتَ مثل : افعَوعَلَ ، من« أوَيتُ » لقلتَ : ايْوَوَّى ، وايْوَيّا(٣) على قول أبي الحسن ، ولم تُدغِمِ الياءَ المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء في الواو التي هي عين ، لأنها غير لازمة . فكذلك الياء في « ايْتَمَنْتُه »(٤) غير لازمة ، لأنك إذا أسقطت همزة الوصل في الدَّرْج ، نحو : قدِ ائتَمَنَ ، رجعت الهمزة . وإذا لم يُدغموا نحوَ : نُوْيٍ ورُوْيا ، إذا خففوا الهمزة ، مع لزوم الواو في قول أهل التخفيف ، فألاّ يُدغَم « ائتَمَنَ » ونحوُه أجدرُ .

فإن قلتَ : فقد أدغم قوم « رُوْيا » فقالوا : رُيّا . فالقول أن(٥) الإدغام في هذا أشبهُ ، لِما ذكرنا من لزومها ، وتلك لمّا لم تلزم كانت بمنزلة المنفصل . على أن أبا الحسن يحمل « رُيّا » ، فيمن أدغم ، على القلب نحوَ « أخطَيتُ » ، في اللام . ويقوّي ذلك أن بعضهم كسر الفاء منها فقال : « رِيّا » ، كما قالوا في « لُيٌّ » : لِيٌّ .

فإن قلتَ : فهل يجوز الإدغام في المصدر من قوله : ﴿ آوَى إلَيهِ أخاهُ﴾ ؟(٦) فالقول أن(١) ترك إدغام ذلك وامتناعه ، على قول الخليل ، بَيِّنٌ . ألا ترى أنه لم يُدغم « أُوْوِمَ » ولا « يُوْوَمُ » ، وشبَّهَه بـ« سُوْيِرَ » ؟ فألاّ يُدغَم هذا أجدرُ ، لأنها لمّا أُبدلتْ ولزم إبدالها صارت بمنزلة الألف الزائدة ، حتّى أُبدِلتْ منها واوٌ في التكسير ، كما أُبدِلتْ من ألف : ضارِبٍ ، فقالوا : أوادِمُ ، كما قالوا : ضَوارِبُ .

ومن قال « أُيِّمَ » ، وخالف الخليل فينبغي ألاّ يدغِم هذا ، لِما ذكرنا من مشابهتها الزيادةَ ، ولأنه مثل ما تركتِ العرب إدغامه في قولهم : دِيوان . ألا ترى أنها أبدلت لاجتماع الهمزتين ، كما أبدلت في « ديوان » لاجتماع المثلين ؟ وكراهةُ ذلك

---

(١) في المطبوعة : افْعَل وافْعِل .

(٢) في المطبوعة : وإيّ .

(٣) في المطبوعة : إيْوَوِّي وإيويَّا .

(٤) في المطبوعة : ائتمنته .

(٥) في المطبوعة : إن .

(٦) زاد في المطبوعة : يوسف / ٦٩ .

لأن كل واحد من الأمرين يُتوصَّل به إلى إزالة المثلين ، كما يُتوصَّل بالآخَر .

فأمّا قول الشاعر :

جَيشَ المِحَمَّينِ ، حَشَّ النّارَ تَحتَهُما غَرثانُ ، أمسَى بِوادٍ ، مُؤهِبِ الحَطَبِ

فمن أخذه من الأُهبة والتأهُّب همز ، إن شاء ، ومن أخذه من « وهب » وجعل الفاء واوًا لم يهمز ، إلاّ على قول من قال : مؤسَى . وقد تُؤُوِّلَ البيت على الأمرين جميعًا .

٧ *

مسـألـة

تقول : هذا أمرٌ مَحْوُولٌ عنه ، و[سَهمٌ][١] مَعْوُورٌ عنه ، أي : من شِدّته وعظمته ، يَحْوَلُ مُشاهِدُه ، ويَعْوَرُ[٢] من شِدّته ومصائب أعراضه . فتُصحِّحُ العين ولا تُعِلُّها ، لصحّتها في تصرُّف الفعل . وإذا كانوا قد صحّحوا المصدر مع اعتلال فِعله في نحو هذا ، فقالوا : « عارتْ عينُه عُوُورًا ، وحالَ عن العهد حُوُولاً » ، فتمَّ فتصحيحُ نحوِ : هذا أمرٌ مَحْوُول عنه ومَعْوُور من أجله ، أجدر . ألا ترى العين لمّا اعتلّت في « قامَ » اعتلّت أيضًا في : قِيام ، ولمّا[٣] صحّت في « قاوَمتُ » صحّت في : القِوام ؟

وهذا ممّا يؤنِس بأنهم إنّما أعلّوا نحوَ : مَصُوغ ومَبِيع ، لإعلال فِعله مع استثقال لفظه . ولك أن تقول : لو[٤] أُعِلّ نحوُ هذا لاعتلال فِعله لَما[٥] صحَّ نحوُ : غُزِيَ فهو

* الخاطريات لابن جنّي ص ٢٦ ـ ٣٢ .

(١) تتمة من الخاطريات ص ٢٩ . وانظر الصفحة التالية هنا .

(٢) في المطبوعة : يَحْوَلُّ مُشاهِدُه ويَعْوَرُّ .

(٣) في المطبوعة : وكما .

(٤) في المطبوعة : أو .

(٥) في المطبوعة : لـمّا .

مغْزُوٌّ ، ودُعِيَ فهو مَدْعُوٌّ . ويؤكّد هذا القولَ الثاني ، وأنّه[١] إنّما أُبدِلَ طلبًا للخفّة ، كثرةُ نحوِ : مَبْيُوْع ، واطِّرادُه في لغة تميم ، وقِلّةُ نحوِ : مَصْوُون ومَدْوُوف .

فعلى هذا ينبغي أن يكون باب « مَغْزُوّ » إنما أُبدِلَ استثقالاً ، ولِطوله أيضًا ، فجرى قولُه :[٢]

* ما أنا بالجافِي ، ولا المَجْفِيِّ *

وقولُه :

* أنا اللَّيثُ ، مَعْدِيا علَيَّ ، وعادِيا *

مَجرى قولهم : أُدحِيٌّ وأُدعِيّةٌ وأُحجِيّةٌ ـ وقد قالوا : دَحَيتُ ، في معنى : دحَوتُ ـ في إبداله لِطوله وثِقَل واوَيه .

ويشهد للمذهب الأوّل أنّا لم نرهم همزوا نحوَ : مَصْوُون ومَدْوُوف ، على كثرة الهمز في باب : حُؤُول وعُؤُور ،[٣] وقوله :

* سارتْ إلَيهِم سُؤُورَ الأبجَلِ الضّارِي *

فدلّ على أنه لو كان للاستثقال[٤] لا غيرُ لهربوا إلى همزه ، كما هربوا إلى همز نحوِ : سُؤُور وحُؤُول ، فقالوا : مِسكٌ مَدْؤُوفٌ ، وثوبٌ مَصْؤُونٌ . فتأمَّل هذه المواضع في تكافُئِها وقوةِ تناهُضِها .

فعلى ما تقدَّم : هذا أمرٌ مَحْوُولٌ عنه لشدّته ، وذا سهمٌ مَعْوُور عنه ، أي : إذا أصاب العين عارَها . وعلى هذا يقال : هذه عِلّةٌ مَصْيُودٌ عنها ، منَ الصَّيَد ، أي : إذا اعتلَّها البعيرُ صِيدَ[٥] لها ، فصحَّ في لغة تميم وغيرهم ، ولا يجري في انفراد تميم به

(١) في المطبوعة : وإنّه .

(٢) في المطبوعة : قولهم .

(٣) في المطبوعة : حُوول وعوور . .

(٤) في المطبوعة : الاستثقالُ .

(٥) في المطبوعة : صَـيِدَ .

مجرى : مَبْيُوع ومَكْيُول . وهذه مسألة لم نُودِعها كتابَنا الملقَّب[١] بـ « المُقتضَب » ، لأنها أغمضُ منه وهو يجفو عنها كذلك .[٢]

مسألة

قوله سبحانه : ﴿ والَّذينَ هُم لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ ﴾ ،[٣] إن كانت الزكاة عبارة عن الحدث بمنزلة الحياة والأذاة[٤] فالكلام على ظاهره ، وإن كانت عبارة عن العَين نحوَ الذهب والفضّة ، والإبل والشاء والبقر ، فهناك محذوف ، أي : والّذين هم لأداء الزكاة أو إخراج الزكاة فاعلون . فهو إذًا على حذف المضاف . ألا ترى أن الأعيان ليست من فِعل غيرِ الله ؟ سبحانه . وهذا الباب هو الأظهر لأنه هو المعتاد المألوف .

مسألة

قولُ الله ، تعالى : ﴿ إنْ[٥] يَسرِقْ فقَد سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبلُ ﴾ ،[٦] ومن حكم الجواب أن يكون مسبَّبًا عن الشرط ، وسَرَقُ أخيه كان قبل سَرَقِه المشروط به ، فذلك[٧] لأنه حملٌ على المعنى ، فكأنه قال : أن يسرقْ يَجرِ بذلك على شاكلته ، لأن هذا معلوم من أخيه .

وكذلك قوله ، تعالى : ﴿ فإن فاؤُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ،[٨] وليس كونُ الله ـ تعالى ـ غفورًا رحيمًا مسبَّبًا عن توبتهم ، لأن هاتين صفتان من صفات الله ـ سبحانه ـ قبلَ التوبة وبعدها . وكلام العرب أكثره هكذا حملاً على المعنى ، واكتفاءً من المُسبَّب بالسبب وبالسبب من المُسبَّب . فتأويله : يغفرِ الله لهم ويرحمْهم .

---

(١) في المطبوعة : الملقبِ .

(٢) في المطبوعة : عنها ، فلذلك .

(٣) زاد في المطبوعة : سورة المؤمنون : ٤ .

(٤) في المطبوعة : والأداة .

(٥) زاد قبله في المطبوعة : قالوا .

(٦) زاد في المطبوعة : سورة يوسف : ٧٧ .

(٧) في المطبوعة : وذلك .

(٨) زاد في المطبوعة : سورة البقرة : ٢٢٦ .

مسألة

نقيضُ قولهم : « إنّما سُمِّيتَ هانئًا لِتَهنأَ » وذلك البابِ تسميتُهم بنحو : كُلَيب وقُراد وزَمَعَة وضَبّ وحِسل ويَربوع . فلو كان في العَلَم عندهم طرَف من الوصفية ، كما يقول سِيبَوَيهِ وغيرُه في ترك صرف « أحمَرَ » منكَّرًا بعد تعريفه ، لتجنَّبوا نحو هذه الرذائل . لا بل تسميتُهم بها على أن الغرض في العَلَميّة إنّما هو السِّمة ، لتعريف الشيء وتخصيصه من بين سائر أُمّته ، كما يُحكى عن أبي الدُّقَيش ، وقد سئل عن اسمه فقيل له : ما معنى الدُّقَيش في كلامكم ؟ فقال : إنّما هي سِمات عندنا ، لا معنًى لها أكثرُ من ذلك .

وقد يمكن سِيبَوَيهِ ومن يَحتجّ له أن يقول : هذا لا يدفع[1] عن الأعلام قَدْر ما فيها من معنى الأوصاف ، لأنه يمكن أن يكون القوم إنّما سمَّوا أولادهم بأسماء الأحناش وغيرها من نحوها دفعًا للعين عنهم وتخاشعًا وتواضعًا ، كما يقال :

ضـــاءلتُها ، أدفَـــعُ عَنـــها العَينـــا فعـــــادَ ذاكَ بَهْجَـــــةً ، وزَينـــــا

مسألة

قوله :

* وقَد كانَ ، لَولا القُلُّ ، طَلاّعَ أنجُدِ *

استَعمل مع « فَعّال » ـ وهو للكثرة ـ « أنجُدًا » . وهو للقلة . وقول العجّاج أسلمُ من هذا :

* أطَّلِعُ النِّجادَ ، فالنِّجادا *

لأن « افتَعَلَ » لا يخصّ القِلّة دون الكثرة ، بل يصلح لهما جميعًا ، بل إذا كان « فَعَلَ »

---

(١) في المطبوعة : لا يرفع.

يصلح للكثرة نحو قولِه : « فقَتلاً بتَقتيلِ » ، وقولِه[١] : ﴿ غافِرِ الذَّنْبِ وقابِلِ التَّوبِ ﴾ ،[٢] كان « افتَعَلَ » أحرى بالكثرة .

ألا ترى إلى قول الله ، سبحانه : ﴿ لَها[٣] ما كَسَبَتْ ، وعلَيها ما اكتَسَبَتْ ﴾ ،[٤] فحقَّر قَدرَ الطاعة ، وعظَّمَ أمرَ المعصية ؟ فهو إذًا كقوله[١] : ﴿ تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ منهُ وتَنشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا ، أن دَعَوا لِلرَّحمنِ وَلَدًا ﴾[٥] ـ فهذا في المعصية ـ وقولِه[١] : ﴿ مَن جاءَ بالحَسَنةِ فلَهُ عَشرُ أمثالِها ﴾ ،[٦] فحقر الطاعة لثوابها وعند ثوابها . وهو فصل من العربية غريب .

٨ *

باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجميّ

اعلم أنهم كثيرًا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية ، إذا استعملوها ، فيُبدِلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا ، وربّما أبدلوا ما بعُد مخرجه أيضًا ـ والإبدال لازم ، لئلاّ يُدخِلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم ـ وربّما غيّروا البناء من الكلام الفارسيّ إلى أبنية العرب ـ وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف ، أو زيادة حرف أو نقصان حرف ، أو إبدال حركة بحركة ، أو إسكان متحرك أو تحريك ساكن ـ وربّما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه .

---

(١) زاد في المطبوعة : تعالى .

(٢) زاد في المطبوعة : سورة غافر : ٣ .

(٣) زاد قبله في المطبوعة : لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفسًا إلاّ وُسعَها .

(٤) زاد في المطبوعة : سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٥) زاد في المطبوعة : سورة مريم : ٩٠ ، ٩١ .

(٦) زاد في المطبوعة : سورة الأنعام : ١٦٠ .

* المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ص ٥٤ ـ ٦٠ .

فممّا غيّروه من الحروف ما كان بين الجيم والكاف ، ربّما[١] **جعلوه جيمًا** ، وربّما جعلوه كافًا ، وربّما جعلوه قافًا لقرب القاف من الكاف . قالوا : كُرْبَجٌ ، وبعضهم قال : قُرْبَقٌ . قال أبو عُمَرَ :[٢] سمعتُ الأصمعيَّ يقول : هو موضع يقال له : كُرْبَكُ .[٣] قال : يريدون : كُرْبَجُ[٣] . قال سالم بن قُحفانَ في « قُرْبَقَ » :

مـا شَـرِبَتْ ، بَعـدَ طـويٍّ القُربَـقِ ... مِـن شَـربةٍ ، غَـيرَ النَّجـاءِ الأدفَـقِ

وكذلك يقولون : كِيلَجةٌ وكِيلَقةٌ وقِيلَقةٌ ، وجُرْبُزٌ : للكُرْبُزِ ، وجَورَبٌ وأصله « گَورَبْ » ، ومُوزَجٌ وأصله « مُوزَهْ » .[٤]

وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاء ، وربّما أبدلوه باء ـ قالوا : فالُوذٌ وفِرِنْدٌ .[٥] وقال بعضهم : بِرِنْدٌ ـ وأبدلوا السين من الشين ، فقالوا للصحراء : « دَسْتٌ »[٥] ـ وهي بالفارسيّة : دَشْتْ ـ وقالوا : سَراوِيلُ وإسماعِيلُ . وأصلهما : شِروالْ وإشماوِيلْ . وذلك لقرب السين من الشين في الهمس .

وأبدلوا اللام من الزاي في : قَفْشَلِيلٍ ـ وهي المِغرَفة ، وأصلها : گَفْجَهْ لِيزْ ـ[٦] وجعلوا الكَاف منها قافًا ، والجيمَ شينًا ، والفتحةَ كسرةً ، والألفَ ياء .

وممّا أبدلوا حركتَه : زَورْ وآشُوبْ ،[٧] وممّا ألحقوه بأبنيتهم : دِرهَمٌ ألحقوه بهِجرَعٍ ،[٨] وبَهرَجٌ ألحقوه بسَلهَبٍ ، ودِينارٌ ألحقوه بدِيماسٍ ، وإسحاقُ بإبهامٍ ، ويَعقُوبُ بيَربُوعٍ ، وجَورَبٌ بكَوكَبٍ ، وشُبارِقٌ بعُذافِرٍ ،[٩] ورُزْداقٌ بقُرطاسٍ .

وممّا زادوا فيه من الأعجميّة ونقصوا : إبرَيسَمٌ وإسرافِيلُ وفَيرُوزُ ، وقَهرَمانٌ

---

(١) في المطبوعة : وربما .

(٢) في المطبوعة : أبو عمرو .

(٣) في المطبوعة بالتنوين .

(٤) في المطبوعة : « مُوزة » . وانظر ص ٣٥٩ منها .

(٥) في المطبوعة بلا تنوين . وكذلك كثير مما حقه التنوين أو عدمه أُغفل ضبطه .

(٦) في المطبوعة : كَفْجَلاز .

(٧) قالوا فيهما : زُورٌ وأشُوبٌ . وقد اضطرب الناشر في الضبط والتوجيه . انظر الكتاب ٢: ٣٤٣ واللسان (أشب) .

(٨) في المطبوعة :« بِهـَجرَعٍ » . انظر الكتاب ٢ : ٣٤٢ .

(٩) في المطبوعة : بِعَذافِر .

وأصله « قِرْمانْ » . وممّا تركوه على حاله فلم يغيّروه : خُراسانُ وخُرَّمُ وكُركُمٌ .

قال أبو عُمرَ الجرميُّ : وربّما خلَّطَتِ العرب في الأعجميّ ، إذا نقلته إلى لغتها . وأنشد عن أبي مَهديّةَ :[1]

يَقُولُونَ لِي : شَنبِذْ ، ولَستُ مُشَنبِذًا ... طَوالَ اللَّيالِي ، أو يَزُولَ ثَبِيرُ
ولا قائلاً : زُوذًا ، لِيَعجَلَ صاحِبِي ... و« بُستانُ » ، في صَدرِي ، عَلَيَّ كَبِيرُ
ولا تارِكًا لَحنِي ، لأُحسِنَ لَحنَهُم ... ولَو دارَ صَرفُ الدَّهرِ ، حَيثُ يَدُورُ[2]

« شنبِذ » يريدون : شُونْ بُوذِي . [و][3] زُوذْ : اعجَلْ . وبُستانْ : خُذْ .

قال : وإذا كان حُكي لك في الأعجميّة خلافُ ما العامّةُ[4] عليه فلا ترَيَنَّه تخليطًا . فإن العرب تُخلّط فيه وتتكلّم به مُخَلَّطًا ،[5] لأنه ليس من كلامهم . فلمّا اعتنفوه وتكلّموا به خلّطوا . وكان الفرّاء يقول : يُبنَى الاسمُ الفارسيُّ أيَّ بناء كان ، إذا لم يخرج عن أبنية العرب .

وذكر أبو حاتم أن رؤبةَ بنَ العجّاج والفُصحاءَ ، كالأعشى وغيره ، ربّما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية لتُستطرَف ، ولكن لا يستعملون المستطرَف ولا يصرِّفونه ، ولا يشتقّون منه الأفعال ، ولا يَرمون بالأصليّ [ويستعملون][6] المستطرَف ، وربّما أضحكوا منه ، كقول العَدَويّ :

* أنا العَرَبيُّ الباكْ *

أي : النقيّ من العيوب . وقال العجّاج :

* كَما رأيتَ في المُلاءِ البَردَجا *

وهم السَّبيُ . ويقال لهم بالفارسيّة : بَرْدَهْ . فأراد القافية .

* * *

(١) في المطبوعة : « المهدي » . وانظر ذيل اللآلي ص ٢١ .

(٢) في المطبوعة : للأحسَنِ لحنِهم . . . حِينَ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) في المطبوعة : « العلامة » . والتصويب من مطبوعة ليبزج لعام ١٨٦٧ .

(٥) في المطبوعة : مخَـلِّطًا .

(٦) تتمة من مطبوعة دمشق لعام ١٤١٠ ص ٩٩ .

باب ما يُعرف من المُعرَّب
بائتلاف الحروف

لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربيّة ، فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معرّبة ـ من ذلك : جَلَوبَقٌ[١] وجَرَنْدَقٌ والجَوقُ والقَبْجُ[٢] ورجلٌ أجوَقُ . وسترى ذلك مفسَّرًا في مواضعه ، إن شاء الله تعالى ـ ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربيّة . من ذلك : الجِصُّ والصَّنجةُ والصَّولَجانُ ، ونحوُ ذلك .

وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء . فإذا مَرّ بك ذلك فاعلم أن ذلك الاسم معرَّب ـ نحو : نَرجِسٍ ونَرْسٍ ونَورَجٍ ونِرْسِيانٍ ونَرْجةٍ ، على ما ستراه مفسَّرًا في مواضعه ـ وليس في كلامهم زاي بعد دال إلاّ دخيلٌ ـ من ذلك : الهِنداز والمُهَندِزُ . وأبدلوا الزاي سينًا فقالوا : المُهَندِسُ ـ ولم يَحكِ أحد من الثِّقات كلمة عربيّة مبنيّة من باء وسين وتاء . فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيلٌ .

فأمّا أمثلة العرب فأحسنها ما بُنِي من الحروف المُتباعدةِ المَخارجِ . وأخفُّ الحروف حروف الذَّلاقة ، وهي ستّة : ثلاثة من طرَف اللسان وهي : الراء والنون واللام ، وثلاثة من الشَّفتَينِ وهي : الفاء والباء والميم . ولهذا لا يخلو الرُّباعيّ والخماسيّ منها ، إلاّ ما كان من : عَسجَد . فإن السين أشبهت النون للصفيرِ الذي فيها ، والغُنّةِ التي في النُّون . فإذا جاءك مثالٌ خُماسيّ أو رُباعيّ ، بغير حرف أو حرفين من حروف الذَّلاقة ، فاعلم أنه ليس من كلامهم ، مثلُ : عَقْجَشٍ وحُظائِجٍ ،[٣] ونحوِ ذلك .

فهذه جملة من القول في هذا الفن كافية . وقد رتّبنا هذا الكتاب على حروف المعجم ، ليَسهل مَرامُه ويكمُل نظامُه .

---

(١) في المطبوعة : « جَلَويَقٌ » . وانظر اللسان والتاج (جلبق) .

(٢) في المطبوعة : « القَبَـجُ » . وانظر منها ص ٣٠٩ .

(٣) في المطبوعة : « حُظائج » . وانظر مطبوعة دمشق ص ١٠١ .

٩ *

المجلس الرابع والعشرون

وهو مجلسُ يومِ الثُّلاثاءِ[١] الثامنِ من جُمادَى الآخِرةِ، سنةَ ستّ وعشرين وخمسمِائةٍ، يتضمّن قول النابغةِ الجعديّ في وصف فرس:

كــأنَّ حَوامِيَــهِ، مُــدبِرًا، خُضِبْنَ، وإن كـانَ لَـم يُخضَـبِ

حِجــارةُ غَيــلٍ، بِرَضراضــةٍ كُسِـينَ طِـلاءً، مِـنَ الطُّحلُـبِ

الحاميتان :ناحيتا الحافر عن يمين وشِمال. وقال ابن قُتَيبةَ: الحاميتان: عن يمين السُّنبُك وشماله. والسُّنبُك: طرَفُ مُقدَّم الحافر. وقيل: الحامية: أعلى الحافر. والقول الأوّل أثبتُ. والغَيل: الماء الجاري على وجه الأرض. والرَّضراضة: الصُّلبة. ويستحبُّ في الحوافر أن تكون سُودًا وخُضرًا، لا يبيضُّ منها شيء، لأن ابيضاضها رِقّة.

شبَّهَ حوافره بحِجارة مقيمة في ماء قليل. وذلك أصلبُ لها. ويقال للصّخرة التي بعضها في الماء وبعضها خارجٌ: أتان الضَّحلِ ـ والضَّحلُ: الماء القليل ـ وذلك النهاية في صلابتها، وإيّاها عنى المتنبّي بقوله:

* أنا صَخرةُ الوادِي، إذا ما زُوحِمَتْ *

وإذا كانت جوانب الحافر صِلابًا على الوصف الذي ذكرناه، وكانت سُودًا أو خُضرًا، فمَقاديمها أصلب وأشدّ سوادًا أو خُضرة.

وقوله «خُضِبْنَ» عند أبي عليّ في موضع نصب بأنه حال من الحوامي، والعامل فيه ما في «كأنّ» من معنى الفعل، كقول النابغةِ الآخَر، في وصف قرن الثور

* الأمالي الشجرية لابن الشجري١ : ١٥٦ ـ ١٥٨.

(١) في المطبوعة: الثلاثا.

ونُفوذه في صفحة الكلب :

كأنَّهُ ، خارِجًا مِن جَنْبِ صَفحتِهِ ، سَفُّودُ شَرْبٍ ، نَسُوهُ عِندَ مُفتأدِ[١]

والشَّرْب : جمع شارب . والمُفتأد :[٢] المَطبخ والمَشوَى . ولم يجعل « خُضُبْنَ » خبر « كأنّ » ، لأنه جعل خبرها قوله « حِجارةُ غَيل » ، ولم يجز أن يكونا خبرين لـ « كأنّ » على حدّ قولهم : هذا حُلوٌ حامِضٌ ، أي : قد جمع الطَّعمَينِ . قال : لأنك لا تجد فيما أخبروا عنه بخبرين أن يكون أحدُهما مفردًا والآخرُ جملة . لا تقول : زيدٌ خرج عاقلٌ .

والقول عندي أن يكون موضع « خُضِبْنَ » رفعًا بأنه خبر « كأنّ » ، وقوله « حِجارةُ غَيل » خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ ، أي : هي حجارةُ غَيلَ . وأداة التشبيه محذوفة ، كما قال :

* فهُنَّ إضاءٌ ، صافِياتُ الغَلائلِ *

أي : مِثلُ إضاءٍ . والإضاء : الغُدرانُ ، واحدها أضاةٌ : فَعَلَةٌ ، جُمعتْ على : فِعال ، كرَقَبة ورِقاب . شبَّهَ الدُّروع في صفائها بالغُدران . ومثله في حذف حرف التشبيه في التنزيل : ﴿ وأزواجُهُ أُمَّهاتُهُم ﴾ أي : مثل أُمّهاتهم في تحريمهنَ عليهم وإلزامهم تعظيمَهنَّ .

وأمّا قوله « مدبرًا » فحال من الهاء ، والعامل على رأي أبي عليّ ما تقدّره في المضاف إليه من معنى الجارّ . يعني أن التقدير : كأنّ حواميَ ثابتةً له مدبرًا ، أو كائنةً له . قال : ولا يجوز تقديم هذه الحال ، لأن العامل فيها معنًى لا فعلٌ محض . قال : ولا يجوز أن يكون العامل في قوله « مدبرًا » ما في « كأنَّ » من معنى الفعل ، لأنه إذا عمل في حال لم يعمل في أُخرى . يعني أن « كأنّ » قد عمل في موضع « خُضِبْنَ » النصبَ على الحال ، فلا يعمل في قوله « مدبراً » .

وهذا القول يدلّ على أنه يُجيز أن ينصب حالَ المضاف إليه العاملُ في المضاف . وإذا كان هذا جائزًا عنده ، وقد قرّرتَ أن يُجعل عاملُ « خُضِبْنَ » :

---

(١) في المطبوعة : مقتأد .

(٢) في المطبوعة : والمقتأد .

« كأنّ » ،[١] فالعامل إذًا في قوله « مدبرًا » ما في « كأنّ » من معنى الفعل . وهذا ـ أعني نصبَ حال المضاف إليه بالعامل في المضاف ـ[٢] إنّما يجوز إذا كان المضاف ملتبسًا بالمضاف إليه كالتباس الحوامي بما هي له ، ولا يجوز في قولك : « ضربتُ غلام هندٍ جالسةً » أن تنصب « جالسة » بـ « ضربتُ » ، لأن الغلام غير ملتبس بهند كالتباس الحوامي بصاحبها .

ولا يجوز عندي أن تنصب « جالسة » بما تقدّره من معنى اللام في المضاف إليه ، فكأنك قلتَ : « ضربتُ غلامًا كائنًا لهند جالسة » ، لأن ذلك يوجب أن يكون الغلام لهند في حال جلوسها خاصة . وهذا مستحيل . فكذلك[٣] « كأنّ حواميَه مدبرًا » ، إن قدرت فيه :« حواميَ ثابتةً له مدبرًا » ، وجب أن يكون الحوامي له في حال إدباره دون حال إقباله . وهذا يوضح لك فساد إعمالك في هذه الحال معنى الجارّ المقدر في المضاف إليه . فلا يجوز إذًا : « ضربتُ غلامَ هند جالسةً » لذلك ،[٤] ولعدم التباس المضاف بالمضاف إليه .

ونظير ما ذكرناه ، من جواز مجيء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف ملتبسًا به ، قولُه تعالى : ﴿ فظَلَّتْ أعناقُهُم لَها خاضِعِينَ ﴾ ، أخبرَ بـ « خاضعين » عن المضاف إليه . ولو أخبر عن المضاف لقال : خاضعةً أو خُضَّعًا أو خَواضعَ . وإنّما حسُنَ ذلك لأن خضوع أصحاب الأعناق بخضوع أعناقهم . وقد قيل فيه غيرُ هذا . وذلك ما جاء في التفسير ، من أن المراد بأعناقهم كُبراؤهم . وقال أهل اللغة : أعناقهم : جماعاتهم ، كقولك : جاءني عنق من الناس ، أي : جماعة . فالخبر ، في هذين القولين ، عن الأعناق .[٥]

(١) في الخزانة ١ : ٥١١ : جائزًا عنده فإن جعل« خضبن » خبر « كأنّ » .

(٢) سقط الاعتراض من الخزانة .

(٣) في الخزانة : وكذلك .

(٤) في المطبوعة : « كذلك » . والتصويب من الخزانة .

(٥) بعد هذا في المجلس المذكور موضوع آخر ، لا علاقة له بقول النابغة الجعدي . ولذلك أغفلناه .

١٠ *

تفسير القرآن بالقرآن
وتفسيره بالسُّنّة[١]

فإن قال قائل : فما أحسنُ طريق للتفسير ؟[٢] فالجواب أنّ[٣] أحسن الطرق في ذلك أن يُفسَّر القرآنُ بالقرآن . فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخَر ، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخَر .

فإن أعياكَ ذلك فعليك بالسُّنّة . فإنها شارحة للقرآن وموضحة له . بل لقد قال الإمام أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ : كلُّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو بما[٤] فهمه من القرآن . قال الله تعالى : ﴿ إنّا أنزَلْنا إلَيكَ الكتابَ بالحَقِّ ، لتَحكُمَ بَينَ النّاسِ بما أراكَ اللهُ . ولا تَكُنْ للخائنينَ خَصيمًا﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وأنزَلْنا إلَيكَ الذِّكرَ ، لتُبَيِّنَ للنّاسِ ما نُزِّلَ إلَيهِم ، ولَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما أنزَلْنا علَيكَ الكتابَ إلاّ لتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذي اختَلَفُوا فيه ، وهُدًى ورَحْمةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ ﴾ .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : « ألا إنِّي أُوتيتُ القُرآنَ ومثلَهُ مَعَهُ » ، يعني السُّنّةَ . والسُّنّةُ أيضًا تنزل عليه بالوحي ، كما ينزل القرآن ، لأنها تُتلى كما يُتلى . وقد استدلّ الشافعيّ وغيره من الأئمّة على ذلك بأدلّة كثيرة ، ليس هذا موضع ذلك .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه . فإن لم تجده فمن السُّنّة ، كما قال رسول الله ﷺ لمُعاذ حين بعثه إلى اليمن : « بِمَ تَحكُمُ » ؟ قال : بكتاب الله . قال : « فإن لَم تَجِدْ » ؟ قال : بِسُنّةِ رسول الله . قال : « فإن لَم تَجِدْ » ؟ قال : أجتهد رأيي .

---

* مقدمة في أصول التفسير للإمام ابن تيمية ، مطبوعة القاهرة ص ٩٣ ـ ١٠٠ .

(١) زاد في المطبوعة : وأقوال الصحابة .

(٢) في المطبوعة : التفسير .

(٣) في المطبوعة : إن .

(٤) في المطبوعة : « مما » . والتصويب من مطبوعة دمشق .

قال:[١] فضربَ رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «الحَمدُ لله الَّذي وفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِما يُرضِي اللهَ». وهذا الحديث في المساند والسُّنن بإسناد جيد.

تفسير القرآن بأقوال الصحابة

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السُّنَّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة. فإنهم أدرى بذلك لِما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصّوا بها، ولِما لهم من الفهم التامّ والعِلم الصحيح، لا سيّما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديِّين، منهم عبد الله بن مسعود.

قال الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ: حدّثَنا أبو كُريب، قال: أنبأنا جابر بن نوح، قال: أنبأنا الأعمش عن أبي الضُّحى مسلم بن صُبَيح عن مسروق: قال عبد الله، يعني ابنَ مسعود: والذي لا إلٰـه غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلاّ وأنا أعلمُ: فيمَ نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلمُ مكان أحدٍ أعلمَ بكتاب الله منّي تناله المطايا لأتَيته. وقال الأعمش أيضًا عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود، قال: كان الرجل منّا إذا تعلم آياتٍ لم يجاوزهنّ حتّى يعرف معانيَهنّ والعمل بهنّ.

ومنهم الحَبر والبحر عبدُ الله بنُ عبّاسٍ، ابنُ عمّ رسول الله ﷺ وتَرجُمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له، حيث قال: «اللّهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التّأويلَ». وقال ابن جرير: حدّثَنا محمّد بن بشّار: أنبأنا وكيع: أنبأنا سُفيان عن الأعمش، عن مسلم عن مسروق: قال عبد الله، يعني ابنَ مسعود: نِعمَ التَّرجُمانُ للقرآن ابنُ عبّاس.

ثم رواه عن بُندارٍ عن جعفرِ بن عَون [عن][٢] الأعمش به كذلك. فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود، أنه قال عن ابن عبّاس هذه العبارة. وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين، على الصحيح، وعُمِّرَ[٣] بعده ابنُ عبّاس ستًّا وثلاثين سنة. فما ظنُّكَ بما كسَبه من العلوم بعد ابن مسعود؟

---

(١) أي: الراوي للحديث.

(٢) تتمة يقتضيها السياق.

(٣) في المطبوعة: وعَـمّر.

وقال الأعمش عن أبي وائل : استخلف عليٌّ عبدَ اللهِ بنَ عبّاسٍ على المَوسم ، فخطب في الناس ، فقرأ في خُطبته سورةَ البقرة - وفي روايةٍ سورةَ النُّور - ففسّرها تفسيرًا ، لو سمعته الروم والترك والدَّيلم لأسلموا .

ولهذا فإن غالب ما يرويه إسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ السُّدِّيُّ الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ، ابن مسعود وابن عبّاس . ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهما ما يحكوانه[1] من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ ، حيث قال : « بَلِّغُوا عَنِّي ولَو آيةً ، وحَدِّثُوا عَن بَنِي إسرائيل ، ولا حَرَجَ . ومَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ مِنَ النّارِ » . رواه البخاري عن عبد الله بن عمرٍو . ولهذا كان عبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو قد أصاب يوم اليرموك زاملتَينِ ، من كُتب أهل الكتاب ، فكان يحدّث منهما بما فهمه من هذا الحديث ، من الإذن في ذلك .

ولكنّ هذه الأحاديثَ الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد . فإنها على ثلاثة أقسام : أحدها : ما علمْنا صحّته ممّا بأيدينا ممّا يشهد له بالصدق . فذاك صحيح . والثاني : ما علمْنا كذبه بما عندنا ممّا يخالفه . والثالث : ما هو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل . فلا نؤمن به ولا نكذّبه ، وتجوز حكايته لِما تقدّم . وغالب ذلك ممّا لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني .

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا ، ويأتي عن المفسِّرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماءَ أصحاب الكهف ، ولونَ كلبهم وعدّتهم ، وعصا موسى من أيِّ الشجر كانت ، وأسماءَ الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ، وتعيينَ « البعض » الذي ضُرب به المقتول من البقرة ، ونوعَ الشجرة التي كلّم الله منها موسى ، إلى غير ذلك ممّا أبهمه الله في القرآن ، ممّا لا فائدة في تعيينه على المكلَّفين في دنياهم ولا دينهم .

ولكنّ نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز ، كما قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ : ثَلاثَةٌ رابِعُهُم كَلبُهُم . ويَقُولُونَ : خَمسةٌ سادِسُهُم كَلبُهُم . رَجمًا بالغَيبِ . ويَقُولُونَ : سَبعةٌ وثامِنُهُم كَلبُهُم . قُلْ : رَبِّي أعلَمُ بِعِدّتِهِم ، ما يَعلَمُهُم إلاّ قَليلٌ . فلا تُمارِ فِيهِم إلاّ مِراءً ظاهِرًا ، ولا تَستَفتِ فِيهِم مِنهُم أحَدًا ﴾ .

---

(١) في المطبوعة : عنهم ما يحكونه .

فقد اشتملتْ هذه الآية الكريمة على الأدبِ في مثل هذا المَقام ، وتعليمِ ما ينبغي في مثل هذا . فإنه ـ تعالى ـ أخبر عنهم بثلاثة أقوال ، ضعَّفَ القولين الأوّلين ، وسكت عن الثالث ، فدلّ على صحّته ـ إذ لو كان باطلاً لردَّه كما ردّهما ـ ثم أرشد إلى أن الاطّلاع على عدّتهم لا طائل تحته . فيقال في مثل هذا : « قلْ : ربّي أعلمُ بعدّتهم » فإنه ما يعلم بذلك إلاّ قليل من الناس ، ممّن أطلعه الله عليه . فلهذا قال : « فلا تُمارِ فيهم إلاّ مِراءً ظاهرًا » أي : لا تُجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك . فإنهم لا يعلمون ن ذلك إلاّ رجم الغيب .

فهذا أحسنُ ما يكون في حكاية الخلاف ، أن تُستوعَب الأقوالُ في ذلك المَقام ، وأن يُنبه على الصحيح منها ويُبطَلَ الباطلُ ، وتُذكَرَ فائدةُ الخلاف وثمرته ، لئلاّ يطولَ النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فيُشغَلَ به عن الأهمّ .

فأمّا مَن حكى خلافًا في مسألة ، ولم يستوعب أقوال الناس فيها ، فهو ناقص ـ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ـ أو يحكي الخلاف ويطلقه ، ولا ينبّه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا . فإن صحّح غير الصحيح عامدًا فقد تعمّد الكذب ، أو جاهلاً فقد أخطأ . كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظًا ، ويرجع حاصلها إلى قول أو قو لين معنًى ، فقد ضيّع الزمان ، أو أكثر[1] ممّا ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبَي زُور . والله الموفق للصواب .

* * *

(١) في المطبوعة : « وتكثر » . والتصويب من مطبوعة دمشق .

الخاتمة

وبعد ، فقد أطلنا المسير في هذه الحلقة المباركة ، إذ تتبعنا مناهج القراءة للنصوص الأدبية والعلمية في عدة مستويات ، وخصصنا مستوى التوجيه منها بالعناية والتفصيل ، واستعرضنا أهمّ المصادر والمراجع التي تسعف القارئ في توجيه حلول المسائل والمشكلات والمعضلات ، ثم وقفنا مع أبي زيد الأنصاري وكتابه « النوادر » ، نتعرّف ما يفيدنا في العمليات التوجيهية ، وأتبعنا ذلك صفحات من مستهل الكتاب المذكور ، لتنفيذ المنهج المرسوم في التوجيه . وأخيراً نشرنا مجموعة نصوص تراثية من الموضوعات العلمية المختلفة ، وأعددناها ميسَّرة لمن يريد متابعة خطانا في هذه السبيل . وبهذا نكون قد أدّينا الأمانة ، وحققنا ما رسمناه من خطوات .
والحمد لله ربّ العالَمينَ .

* * *

المؤلف

الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة: وُلِدَ في حلب سنة ١٩٣٣، ونـال فيهـا الشَّهادة الثانوية، وأهليّة التَّعليم الابتدائي، مع مُزاوَلته للمِهَن الحُرَّة. ومِن جامعةِ دمشق حاز الإجازة في عُلوم العربيّة، وأهليّة التَّعليم الثانويّ، والدِّبلوم الخاصَّـة في الإدارة والتَّفتيش التَّربوي، بـين عـامي ١٩٥٥ و١٩٦٠، وفيهـا أَعَـدَّ رسـالة للماجستير في التَّفتيش التَّربويّ، ثُمَّ مَنحتـه جامعـة القـاهرة درجـة الماجسـتير، فالدُّكتوراه في الأدب القديم، سنة ١٩٦٦.

دَرَّس الأدب القديم والنَّحو العـربيّ ومَنـهج البحـث في جامعـات حلـب واللاذقية وبكّين وفاس والعين والقصـيم، وأشـرف علـى رسـائل لنيـل درجـتي الماجستير والـدُّكتوراه في الأدب والنَّحـو، وشـارَكَ في لِجـان التَّحكـيم لهمـا، وفي لِجان علمية وثقافية، وندوات ومُؤتمرات عربيـة وإسـلامية، وتقـويم إنتـاج بعض الزُّملاء وبحوث علمية للمجـلاَّت المحكِّمـة، وانْتُخِـبَ عضـواً في بعـض المجامع العربية.

أصـدر عشـرات الكتـب، في الأدب والإعـراب والصَّـرف والعـروض، وعشرات من المقالات العلمية في الدوريات العربية والإسلامية، وهو منذ عشـر سنوات يُعِدُّ تحقيق «تفسير الجلالين»، باعتماد نُسَخ خطية، والمصادر التي رجع إليها الجلالان في تصنيف تفسيرهما، ليكون بين أيدي الناس مضبوطاً وميسَّـراً، مع إلحاق أسباب الـنزول بمواضـعها اللازمـة لهـا، وتوثيـق الأخبـار، وتقـويم الإسرائيليات، وتفصيل للإعراب والصرف ومعاني الأدوات، وتعقُّـب لمـا وقـع للمـؤلفين، مـن سـهو في النقـل والتفسـير وعلـوم العربيـة، وتلفيـق للعبـارات والأخبار، واختيار لضعيف الأقوال والتوجيهات.

الإنتاج العلمي
للأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة

* في التحقيق :

اسم الكتاب	المؤلف	الأجزاء	المكان والتاريخ
الإيضاح في شرح سقط الزند وضوئه	الخطيب التبريزي	٢ م	حلب ٢٠٠٠
تفسير الجلالين الميسر	الجلالان		بيروت والقاهرة١٤٢٤
تهذيب إصلاح المنطق	الخطيب التبريزي		ط ٢ بيروت ١٩٩٩
تهذيب الألفاظ	الخطيب التبريزي		بيروت ١٤٢٤
الجنى الداني في حروف المعاني	المرادي		ط ٣ بيروت ١٩٩٢
دليل كتابة البحوث العلمية (مراجعة للبحث والكتابة)	وليد سراج		حلب ١٩٨٩
ديوان سلامة بن جندل	الأحول عن الأصمعي والشيباني		ط٢ بيروت ١٩٩٢
ديوان طرفة بن العبد (مراجعة للتحقيق)	الأعلم الشنتمري		دمشق ١٣٩٥
ديوان علقمة الفحل (مراجعة للتحقيق)	الأعلم الشنتمري		حلب ١٣٨٩
رسائل ومشروعات (إشراف علمي)	لطلاب الدراسة العليا		سورية ـ المغرب ـ القصيم
شرح اختيارات المفضل	الخطيب التبريزي	٤ م	ط ٢ دمشق ١٤٢٣
شرح الألفية	المرادي	٢م	بيروت ١٤٢٣
شرح المعلقات العشر	الخطيب التبريزي		ط ١٠دمشق ١٩٩٧

* **في التأليف العلمي المتخصص**

اسم الكتاب	المؤلف	الأجزاء المكان والتاريخ
ابن عصفور والتصريف	فخر الدين قباوة	ط ٢ دمشق ٢٠٠٠
أبواب ومسائل من الخصائص والإنصاف	فخر الدين قباوة	ط ٢ دمشق ٢٠٠١
الأخطل الكبير	فخر الدين قباوة	ط ٣ القاهرة ٢٠٠٣
إشكاليات البحث والنقد النحويين	فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٤
إعراب الجمل وأشباه الجمل	فخر الدين قباوة	ط ١١ حلب ٢٠٠٣
إعراب القرآن الكريم (أقراص مسجلة للكبتار)	فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٤
الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد	فخر الدين قباوة	القاهرة ٢٠٠١
بوادر شرح الشعر	فخر الدين قباوة	دمشق ١٣٩٥
التحليل النحوي ـ أصوله وأدلته	فخر الدين قباوة	القاهرة ١٤٢٢
تحليل النص النحوي ـ منهج ونموذج	فخر الدين قباوة	دمشق ١٩٩٧
تصريف الأسماء والأفعال	فخر الدين قباوة	ط ٣ بيروت ١٩٩٨
تطور مشكلة الفصاحة والتحليل البلاغي وموسيقى الشعر	فخر الدين قباوة	دمشق ١٩٩٩
سلامة بن جندل الشاعر الفارس	فخر الدين قباوة	ط ٢ دمشق ١٩٩٤
قراءة موجهة لنصوص التراث في رحاب المكتبة العربية ـ مناهج ونماذج	فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٤
مشكلة العامل النحوي ونظريةُ الاقتضاء	فخر الدين قباوة	دمشق ١٤٢٣
منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات	فخر الدين قباوة	ط ٢ دمشق ١٩٩٧

شرح الملوكي في التصريف	ابن يعيش	ط ٢ بيروت ١٩٨٨
شرح شعر زهير بن أبي سلمى	ثعلب	ط ٢ دمشق ١٩٩٦
شرح قواعد الإعراب	محيي الدين الكافيجي	ط ٤ دمشق ١٩٩٦
شرح مقصورة ابن دريد	الخطيب التبريزي	ط ٢ بيروت ١٩٩٤
شعر الأخطل	السكري	ط ٣ دمشق ١٩٩٦
شعر زهير بن أبي سلمى	الأعلم الشنتمري	ط ٤ دمشق ٢٠٠٢
في موكب النور (إشراف ومراجعة)	فاطمة محمد شنون ٥ م	دمشق ١٣١٨ - ١٤٢٣
القسطاس في علم العروض	الزمخشري	ط ٢ بيروت ١٩٨٩
كتاب الاختيارين	الأخفش الأصغر	ط ٣ دمشق ١٩٩٩
كتاب الألفاظ	ابن السكيت	بيروت ١٩٩٨
كتاب الجمل في النحو	الخليل بن أحمد	ط ٥ دمشق ١٩٩٥
مبرز القواعد الإعرابية	الرسموكي	بيروت ١٩٨٧
المفصل في تفسير القرآن العظيم	الجلالان	بيروت ١٤٢٤
الممتع الكبير في التصريف	ابن عصفور	ط ٦ بيروت ١٩٩٦
موضوعات في الأدب واللغة والنحو (تقويم مع التقارير)	لزملاء من الجامعات	جامعات البلاد العربية
نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز (مراجعة للتحقيق)	فخر الدين الرازي	بيروت ١٩٨٥
الوافي في الروض والقوافي	الخطيب التبريزي	ط ١١دمشق ١٩٧٠

*　*　*

المهارات اللغوية وعروبة اللسان	فخر الدين قباوة	دمشق ١٩٩٩
المورد الكبير	فخر الدين قباوة	أدب الحوزة ١٣٩٨
المورد النحوي الكبير	فخر الدين قباوة	ط ٧ دمشق ١٩٩٨
المورد النحوي	فخر الدين قباوة	ط١٠ دمشق ١٩٩٤
نصوص نحوية	فخر الدين قباوة	ط ٢ دمشق ١٩٩٩
وظيفة المصدر في الاشتقاق والإعراب	فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٤
ولايزالون يقاتلونكم : في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان	فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٤

مقالات في الأدب واللغة والنحو والنقد ، نشرت في المجلات التالية : مجمع اللغة العربية بدمشق ، والعربية ، والعربي ، والمعلم العربي ، والخفجي ، وبحوث جامعة حلب ، والفكر العربي ، والمنتدى ، والجامعة الإسلامية ، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية ، والآداب بقسنطينة ، والثقافة الإسلامية ، وعالم الكتب ، والأحمدية ، وفي صحيفة البيان ، وصحيفة المستقلة ، وصحيفة المدينة ، مع بحوث علمية في الأدب واللغة والنحو والنقد ، شاركت في مؤتمرات وندوات بالبلاد العربية والإسلامية .

* * *



هـــذا الـــكـــتـــاب

يضع لك حلول مشكلات المصادر التراثية

فقد شنّ رجالات الاستعمار وصنائعُه حروبًا على التراث العربي الإسلامي ، ليقطعوا صلتنا بالماضي ، وما فيه من علوم ومعارف وحضارة تمدنا بقدرات بناء المستقبل ، وليربطونا بعجلتهم أيتامًا على موائد اللئام . ولكن حروبهم ذهبت سُدًى ، وما زالت أسواق النشر تسجّل إقبال الناس على التراث إقبالاً ، تنقطع دونه أنفاس كل المصنفات من جميع الفنون والعلوم والآداب .

والشائع الآن أن كثيرين ممن يقتنون المصادر التراثية قلما يتابعون قراءتها بوعي وإستيفاء ، لما فيها من حواجز معرفية تحول دون الاستيعاب الكامل والاستفادة الموضوعية . ولذلك جاء هذا الكتاب ، يمهد السبل ويزيل الحواجز ويضع المفاتيح في أيدي القرّاء الأعزاء . وقد كان الزملاء الكرام وما زالوا يحاولون مثل ماتضمنه ، في الجامعات والمعاهد ، كل بمناهج تناسب البيئة العلمية التي هم فيها ، من دون مصنف ينير السبيل .

ولهذا وجب أن يصدر كتابنا رائدًا ، يجوب المجاهيل ، ويصف دقائق الرحلة وخطوات الإجراءات العملية ، لجميع الاختصاصات والمنازع . فكان أن مهد ببيان مستويات القراءة للنصوص ، وما تتطلبه من أعمال ، تخص مستوى أو تعم الجميع ، ثم بسط أهم المصادر والمراجع المساعدة .

ومن ثم جعل " نوادر " أبي زيد الأنصاري نموذجًا للقراءة توجُّهُ بين خزائن المكتبة ، فعرّف بالمؤلف والكتاب ، وجعل الصفحات الأولى منه ميدانًا لتطبيق مستوى قراءة التوجيه ، في حل مشكلات النص اعتمادًا على المصادر والمراجع المناسبة . وعلق على النص أيضًا بدراسة تفصيلية ، تفصل ما يقدمه للباحث من حقائق ومعلومات، في التلقي والرواية ، والملامح الاجتماعية واللغوية .

وأخيرًا وضع بين أيدي المخاطبين نصوصًا نموذجية ، تصلح للتوجيه العملي ، يتدرب فيها القاصدون للعلم والعمل ، ولخدمة التراث بإخلاص ووفاء .

دار الملتقى

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - حلب

تلفاكس : ٢٢٨٩٣٤١

www.dar-almultaqa.com

E-Mail: info@dar-almultaqa.com